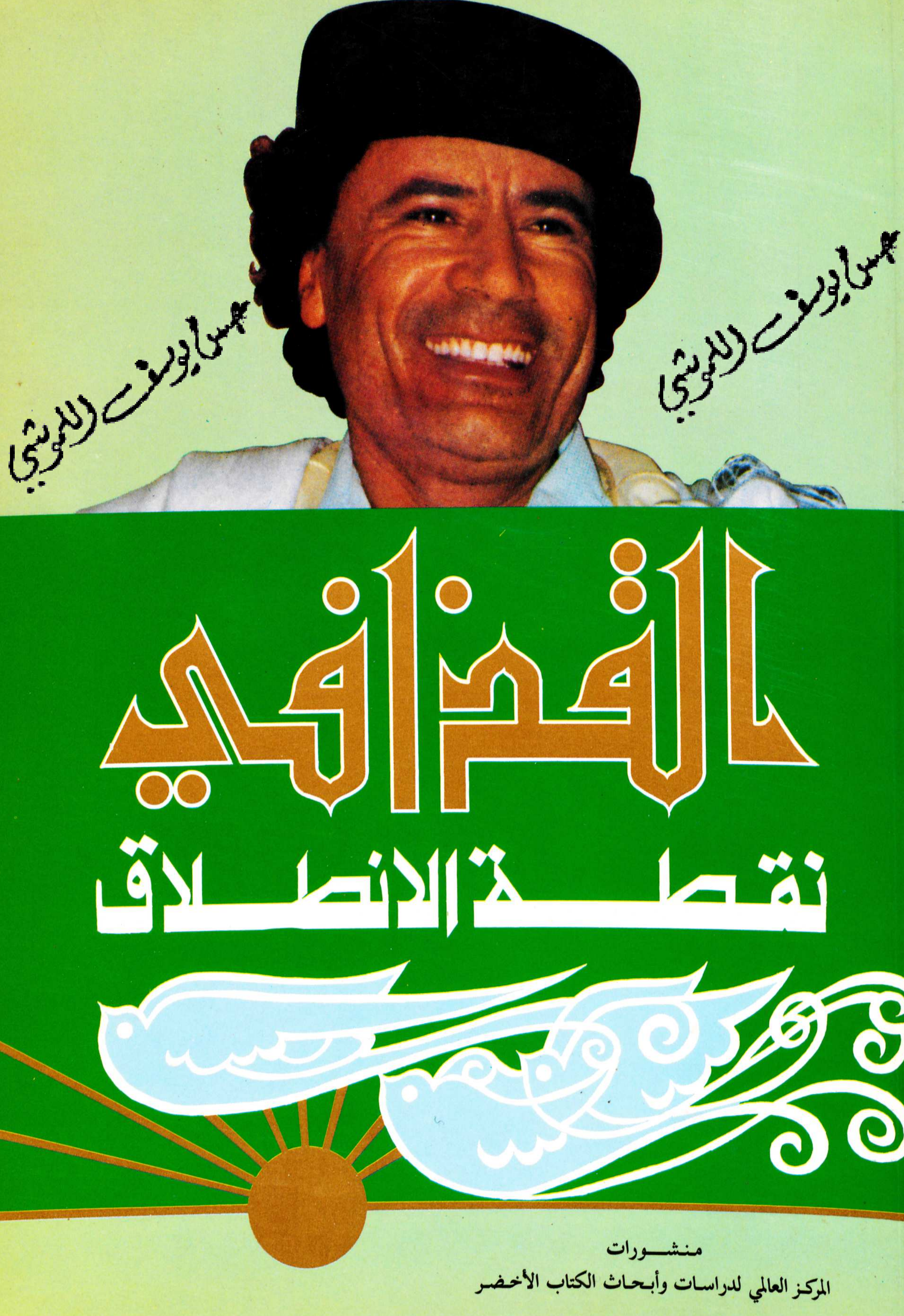

عيسى يوسف اللوبشي
عيسى يوسف اللوبشي
القذافي
نقطة الانطلاق
منشورات
المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

● القذافي نقطة الانطلاق ●

أوراسيو كالديرون

القــذافــي
نــقــطــة الإنــطــلاق

تــرجمــة
د. أنور حسن طربيه
بوينس أيرس ـ الأرجنتين

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية ـ بنغازي

222 / 1986م

الطبعة الأولى
الفاتح ـ 1986م

فهـــرس المحتـويـات

الإهـــــــداء

إلى قائد ثورة الفاتح، العقيد معمّر القذافي

اعترافاً أزلياً له بالدعم التضامني الذي قدمه للشعب الأرجنتيني في أصعب ساعات الحرب التي خاضها ضدّ الإمبريالية البريطانية وحلفائها محاولاً استرجاع الجزر والمناطق البحرية المتاخمة لها في جنوب الأطلسي التي هي ملك شرعي له والتي تخضع حالياً لهيمنة الاستعمار الذي لا بدّ أن يزول عن هذا العالم مهما طال الزمن...

مقدمة

عندما تمّ خلال شهر الحرث (نوفبر) من عام 1981م. في مدينة بوينس ايرس تقديم الطبعة الأولى باللغة الاسبانية من كتابي الأول عن قائد الثورة في ليبيا «القذافي وعملية القدس»، شعرت وللحظات بأن النهاية بالنسبة للجماهيرية وبالنسبة لهذا الكتاب أيضاً قد أصبحت قريبة نظراً للعدوان العسكري الذي كان من المتوقع حدوثه والذي كانت على وشك القيام به قوات مشتركة تتبع لأمريكا وللكيان الصهيوني وحتى لبعض الدول المجاورة التي كان زعماؤها يستجيبون لمصالح الحلف الامبريالي الذي تتزعمه أمريكا، كمصر وغيرها.

ومع ذلك، فإن قدرة العقيد القذافي وبراعته في تفادي أخطر المشاكل التي تخلقها له المؤامرات الامبريالية مكّنتاه، ليس فقط من تدعيم موقفه ومكانته أمام الجماهير العربية والليبية والحركات الثورية الموجودة في العالم، بل وأيضاً من إبراز شخصيته بعزمٍ أشدّ في مجال السياسة الدولية.

لقد أتيح لي القيام بستّ زيارات للجماهيرية منذ تاريخ ظهور كتابي الأول حتى الآن، الأمر الذي جعلني أرى بأم عيني الانجازات التي حققتها ثورة الفاتح خلال هذه المدة نظراً لأمور عديدة منها خطة التحول الخمسية (1981–1985م). التي تمّ تنفيذها بفضل المساندة الشعبية الضخمة وبالرغم من الحصار الدولي الذي فرض على الجماهيرية بتحريض من أمريكا.

إنه لمن المستحيل أن يطوف شخص ما أرض الجماهيرية دون أن تلفت انتباهه التغييرات التي تحدث خلال فترات زمنية قصيرة لا تتجاوز كل منها أربعة أو خمسة أشهر، فهناك دائماً أبنية جديدة تشيّد وجسور تقام وطرق عامّة تشقّ بالاضافة الى المستشفيات والكليات والمدارس والمزارع الخ... وهناك دائماً مشاريع صناعية تنفّذ وحملات واسعة النطاق تجرى لرفع مستوى السكان الثقافي والتربوي.

إن جماهيرية عام 1981م. أي عندما أنهيت كتابي الأول تختلف تمام الاختلاف عن جماهيرية اليوم التي حركت مشاعري من جديد والتي لن يتمكن أحد، من انتزاع منزلتها أمام العالم كتجربة ثورية فريدة من نوعها.

ليس للواقع الليبي أي مثيل، وذلك ليس نظراً للتقدم الذي تمّ إحرازه في المجال الاجتماعي – الاقتصادي وحسب، بل أيضاً لأن قائد الثورة بحكمته، لم يسمح بأن ينشأ في بلاده نظامُ اقتصادٍ

استهلاكي بعيد كل البعد عمّا هو ضروري لخدمة النظام الاقتصادي الطبيعي والمصلحة العامّة. لقد عرف كيف يعطي عبر مثاله الشخصي وروحيته العميقة البرهان القاطع الذي كم وكم تحتاج إليه المجتمعات التي تضلّ الطريق في بعض الأحيان ـ وخاصة عندما تنال حاجاتها المادية ـ نحو تحقيق هدف أسمى يرتكز في هذه الحالة بالذات على القيم الدينية والقومية، دون القيام بتكييف تطلبات الحياة الدنيوية مع الدفاع عن الوطن ومع شريعة الله.

إن السنوات تمرّ والقذافي يواصل النضال كفارسٍ معاصر يناضل ضدّ أشخاص من لحم ودمّ يحركون القوى السياسية ـ العسكرية والاقتصادية وأقوى وسائل الاتصال في العالم.

ولقد كان كتابي الأول عن القائد نتاج لعمل نضالي كان على وشك أن يكلفني حياتي. ومع ذلك فإن أولئكَ الذين وجهوا إليّ الانتقادات وهددوني بالموت، اضطروا بعد أشهرٍ قليلة فقط وخلال الحرب ضدّ بريطانيا للاعتراف بأخطائهم وبكبرياء النفس لدى قائد الثورة الليبيّة، نظراً للدعم غير المشروط الذي قدمه العقيد القذافي والجماهيرية لشعبنا الذي كان يناضل من أجل قضية حقّة.

و إذا كان كتابي السابق قد تركز بشكل أساسي على الدراسة التحليلية لتجربة ثورة الفاتح والإعلان عن تأييدي الكامل لأسس النظرية العالمية الثالثة، فإن كتابي الجديد هذا، بعنوان «القذافي، نقطة الانطلاق» لا يهدف فقط إلى الإعتراف بالجميل للرجل الذي، تنفيذاً لمبادئه وعهوده، جازف بالمصالح الليبية على المستوى الدولي للقيام بدعم القوات العسكرية الأرجنتينية حتى آخر لحظة من نزاعها مع الامبريالية البريطانية وأنصارها الأوروبيين والأمريكيين، بل يهدف أيضاً للإعلان عن تصور صريح هو: تأييد الجماهيرية في نضالها على مختلف الأصعدة والقيام بدراسة جدية للتجربة التاريخية للنظرية العالمية الثالثة واعتبار العقيد معمر القذافي نقطة انطلاق مثالية لكل أولئك الذين هم على استعداد للقيام، في إطار حركة قومية ثورية، بإعلان وخوض حرب غير محدودة ضدّ مراكز السيطرة العالمية، بالإضافة إلى رفض أي نوع من التبعية أو التواطؤ مع التكتلات الضخمة التي تشكلها الدول المنحازة للرأسمالية وللشيوعية العالمية.

شيء آخر قصدته من وراء هذا الكتاب وهو أن يتعرف القارىء على الصورة الحقيقية للقذافي: إنه الطفل الذي عاش حياة قاسية جداً في المخيم البدوي الذي ولد فيه حيث كان يضطر للسير على قدميه للذهاب إلى مدرسته التي كانت تبعد عن خيمة والده مسافة لا تقل عن ثلاثين كيلومتراً. إنه الطفل الذي كان يضطر للنوم على الأرض الباردة في أحد المساجد خلال أربعة أيام من كل أسبوع، حيث لم يكن باستطاعته تغطية مصاريف أي مأوى يلجأ إليه.

إنه الشاب الذي ذاق طعم مختلف أنواع العذاب والاضطهاد لأنه أعلن عن إنتمائه القومي للقضية العربية والعمل الوحدوي.

إنه الشاب الذي دخل الكلية العسكرية وخطّط ونظّم وفجّر ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة عام 1969م. بينما لم يكن له من العمر سوى سبع وعشرون سنة.

إنه الرجل الذي هو منذ ستة عشر عاماً وحتى الآن القائد الروحي والسياسي لشعبه وقد تجاوز

حدود الجماهيرية حاملاً الراية والحربة الأولى في النضال ضدّ الامبريالية وضدّ الاستعمار.

أردت أيضاً أن أكرر في هذا الكتاب الإعلان عن وجهة نظري التي ذكرتها مراراً في كتابات سابقة وفي مؤتمرات وندوات وملتقيات عالمية حول النظرية العالمية الثالثة والكتاب الأخضر الذي طرحه العقيد معمر القذافي للعالم وخاصة للشعوب التي ضلّت الطريق نحو التحرر، كمنطلق لحل المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد واجهت النظرية العالمية الثالثة والكتاب الأخضر تهجمات شرسة من قبل من هم ملتزمون ومنحازون بتصوراتهم العالمية وبأساليب حياتهم وأنظمتهم السياسية وتركيبة حكوماتهم، لمصالح الدول العظمى والتكتلات السياسية ـ العسكرية والاقتصادية التي تستجيب للرأسمالية وللشيوعية العالمية.

إن الرأسماليين يحاربون القذافي بتصورهم العالمي القائم على المركزية البشرية والفردية ومذهب المتعة الذي كرّس نظام استغلال الانسان لأخيه الانسان.

والشيوعيون يحاربونه بتصورهم العالمي القائم أيضاً على المركزية البشرية التي هي في هذه الحالة مادية و إلحادية يرتكز عليها نظام استغلال الانسان من قبل دولة تقنية بيروقراطية تتحكم بها زمرة ماركسية ـ لينينية استخدمت الاشتراكية كوسيلة لاستغلال الشعوب. إنها ليست سوى رأسمالية على مستوى أكبر هدفها الرئيسي هو حصر السلطة الاقتصادية بين أيدي مجموعة صغيرة من الأشخاص.

إنهم يحاربونه لأن نظريته العالمية الثالثة تتخذ أساساً لها الدين والقومية اللذين لا يتطابقان أبداً مع المبادىء المادية والإلحادية للرأسمالية وللشيوعية العالمية. يحاربونه لأنه حذّر دون ريب من المساوىء التي يعاني منها العالم المعاصر. يحاربونه لأنه قائد صمّم على تصدر القيادة ومواجهة القوات الامبريالية. يحاربونه لأنه لن يبيع أبداً ضميره أو إيمانه أو إخلاصه لشعبه وللقضية العربية التي تعتبر المسألة الفلسطينية محورها الأساسي.

إن القذافي هو رجل فريد من نوعه. إنه، وكأبطال التاريخ العظماء، لم يرضَ بأن يكون فقط مجرد مراقب للأحداث يستغلها في لحظة ما لمصلحته. لقد عرف كيف يجسد ويترجم إلى الواقع إرادته الجبارة وأن يؤثر بشكل بارز على مجرى أحداث جماهيريته العربية الليبية وأحداث وطنه العربي الكبير.

لقد قلت وأقول دائماً أن العالم لولا وجود القذافي لكان يختلف تماماً عمّا هو عليه الآن، ومما لا شك فيه هو أنه سوف يتغير تماماً إذا هو رحل عنه لا سمح الله.

إنه من العسير على أي انسان أن يؤيد شخصية هي موضع جدل كشخصية القذافي، منطلقاً فقط من نظرة سطحية أو منبهراً بأضواء النظرية التي تبقى نظرية مهما كانت أهميتها. لهذا، فان تأييدي له يرتكز على أسس كثيرة، فالقذافي ليس منظراً فقط، إنه قائد شعوب وقوى تلعب دوراً رئيسياً على مسرح الأحداث الدولية.

إن أي قائد كان، يجب أن يبشر بأفعاله قبل أقواله، فمن السهل جداً التحدث عن الدين دون الاهتمام بما يفرضه من واجبات، ومن السهل جداً التحديث عن الثقافة وعن التقاليد ثم تقبل التغلغل الثقافي والعادات الغريبة. ومن السهل جداً التحدث عن السياسة دون الاضطلاع على الأقل بعلم وفنون القيادة. ومن السهل جداً التحدث عن العدالة الاجتماعية دون العمل على تأسيس نظام توزيع عادل ومنصف. كما وانه من السهل جداً التحدث عن التضامن الدولي ثم التخلي عن الشعوب وتركها تواجه مصيرها أمام الهجمات الامبريالية.

هذه هي بشكل عام تصرفات القسم الأكبر من القادة العالميين الذين يعدون بشيء و يفلعون شيئاً آخر، ينشرون فكرهم ثم يعملون عكسه، يصلّون أمام الناس و يتعانقون فما بعد مع من يحرق معابدهم، يعلنون عن مساندتهم للحقوق الانسانية ثم يرتشون و يسجنون و يطعنون في الظهر.

إن القذافي يختلف عن كل هؤلاء، فهو على الصعيد الديني يبشر بأفعاله، وعلى الصعيد السياسي يتقن علم وفنون القيادة، انه لا يمسح أبداً بذراعه ماكتبه بيده. إن نظريته قد أصبحت واقعاً لأنه أعطى شعبه كل ما وعده به، بل أكثر بكثير، وذلك عن طريق نظام المشاركة في الانتاج. يضاف إلى ذلك إنه كمناضل، كان ولا يزال وسيقف دائماً إلى جانب الشعوب المقهورة وضدّ المتسلطين الذين يعملون على استمرارية الاحتلال الاستعماري سواء بصورة مباشرة أو عن طريق العملاء الذين يسهمون في تنفيذ مخططات الاستعمار الحديث.

لقد خصّصت عدة فصول من هذا الكتاب لدراسة التغييرات التي حدثت في المجتمع الليبي منذ أول شهر الفاتح (سبتمبر) عام 1969م. وحتى الآن، والتي هي الدليل الأكثر وضوحاً على أن العقيد القذافي هو قائد يعطي الوعود و ينفذها.

وقد حاولت في الجزء الرابع والأخير إعطاء لمحة عامة عن المأساة التي تعيشها شعوب امريكا اللاتينية وافريقيا والأمة العربية، قاصداً بذلك دعم تصور العقيد القذافي في إطار السياسة الدولية انطلاقاً من النظرية الثالثة التي تتجسد بالتعاون النضالي دفاعاً عن الشعوب التي، كالشعب الفلسطيني والعربي والافريقي واللاتيني، تخوض المعركة من أجل انعتاقها الحقيقي ومن أجل التخلص نهائياً من التبعية الاستعمارية والاحتلال الأجنبي والهيمنة الامبريالية التي أغرقتها في دوامة من الفوضى والبؤس والتدهور.

إنني، اذا تفهم القارىء جوهر هذا الكتاب، أكون قد أتممت قسماً من المهمة التي أخذتها على عاتقي والتي هي إزاحة الستار الخفيّ الذي استخدمته وسائل الإعلام لحجب صورة القذافي الحقيقية، ومساندة النضال العالمي الذي يرتكز على نظرية ثالثة ليست بغريبة أبداً عن الشعب البيروني الأرجنتيني.

إن الاقتراح هو أن نعود ونلتقي من جديد لأن الكفاح مستمر في نقطة الانطلاق.

أوراسيو كالديرون

شهر الصيف (يونيو) 1985م



القائد

لمحة موجـــزة عـن سيرة حيـــاتـــه

من الصحراء، معمّر المرمِّم...

قليلة جداً هي الشخصيات التي أيقظت حبّ الاستطلاع لدى الجميع وهي تلعب دوراً ما على مسرح السياسة الدولية خلال السنوات الأخيرة كقائد الثورة في ليبيا العقيد معمر القذافي.

إن وسائل الاتصال المنتشرة في العالم والتي تحركها مراكز السلطة العالمية بغية عزل وتدمير الجماهيرية وسلب الشعب الليبي حقه في أن يكون هو نفسه صانع مصيره، تقوم بشنّ حرب نفسية بالية، بقدر ما هي إلحاحية ووحشية، ضدّ الرجل الذي عرف كيف يوفق في شخصه بين القوة المنظمة للوصول إلى السلطة وبين قدرة الابداع الضرورية جداً لتسجيل بصمات في العمل الثوري لن تمحيها أبداً عوامل الزمن.

لهذا فإنه من الصعب وبل من المستحيل بالنسبة لغير المطّلع أن يقيّم المعيار التاريخي الحقيقي لهذه الشخصية الفريدة من نوعها.. شخصية معمر القذافي الذي أمضى فترة شبابه في العمل على ترميم المثل العليا التي كانت في الزمن القديم وتحت راية الإسلام أسس الحضارة العربية العظيمة.

وللأسف فإن الكتب الكثيرة التي ألّفها بعض الكتّاب الحياديين ومن بينهم الأصدقاء، عن حياته وشخصيته وفكره، لا تخدمه كثيراً، ربما لأنها اقتصرت على إيجاز وبأسلوب الوصف الخارجي والشكلي، بعض المعلومات والتواريخ والأحداث البارزة التي ترتبط به متغاضية عن ناحية بالغة الأهمية هي الناحية الخلقية.

إن المهمة التي تقع على عاتقي هي في غاية الصعوبة ولن أتمكن من القيام بها على أكمل وجه دون إجراء دراسة تحليلية للعوامل العائلية والاجتماعية والنضالية التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر في شخصيته.

هناك في سرت، شهر أين النار (يناير) 1942:

إن قبيلة «القذاذفة» البدوية التي كانت قد قدمت من الصحراء العربية بعد أن انتقلت من شرق مصر إلى سواحل المغرب على المحيط الأطلسي، قررت الإقامة في منطقة سرت وبالتحديد بالقرب من محلةٍ يطلق عليها اسم «أبوهادي»، فنصبت خيامها هناك بصورة نهائية.

وكما هو الحال بالنسبة لكافة القبائل الرحّل، فإن قبيلة القذاذفة.. قد فضّلت تلك المنطقة القاحلة على الذعر المتواصل الذي كان يخيم على المنطقة الساحلية الغنية على البحر الأبيض المتوسط والتي كانت مسرحاً للمعارك الدامية بين الجيوش الأجنبية التي كانت تتقاتل فيما بينها من أجل السيطرة على ليبيا.

في ذلك الحين، أي في شهر أين النار (يناير) عام 1942م. كان لا يزال بالإمكان شمّ رائحة البارود الذي تركته وراءها قوات روميل ومونتجومري بعد اشتباكات عنيفة سجلت بداية مرحلة حسم الحرب في منطقة شمال افريقيا. وفي ذلك الوقت بالذات كانت الأسرة البدوية الفقيرة المؤلفة من أبو منيار القذافي وزوجته عائشة، تشهد ولادة طفل جديد أسموه معمّر.

منذ تلك اللحظة بالذات بدأ النجم الإيطالي ينحدر شيئاً فشيئاً كخطوة سابقة لهزيمته النهائية في الحرب العالمية الثانية التي سجلت نهاية مرحلة الاستعمار. هذه المرحلة التي كانت قد بدأت عام 1911م عندما أعلنت حكومة «جيوفاني جيوليتي» الحرب على تركيا، وأدى ذلك إلى انسحاب العدو التركي بواسطة اتفاقية «أوشي» التي وُقّعت بتاريخ 15 من شهر التمور (أكتوبر) عام 1912م، من حماية التراب الليبي.

وأحدث القرار الايطالي بغزو «مكان تحت الشمس» في الأراضي الخصبة في شمال ليبيا بحراً من الدم في هذه المنطقة استمر حوالي عقدين من الزمن، أي خلال المرحلة التي بدأت مع الغزو الايطالي عام 1911م. وانتهت مع موت زعيم المقاومة الليبية الشيخ عمرالمختار الذي أعدم أمام شعبه بتاريخ 16 من شهر الفاتح (سبتمبر) عام 1931م. وذلك بأمر من الجنرال «رودولفو غراسياني».

لقد كان عمر المختار رمزاً للروح التي لا تقهر بالنسبة للبدو الذين كانوا يناضلون لطرد أعدائهم من أرضهم المغتصبة، وسجلت حياته المجيدة ونضاله الطويل واستشهاده بحبل المشنقة التي نصبها له المستعمر، أحرفاً من نار على صفحات تاريخ شعب كان طيلة قرون عديدة، هدفاً للمستعمرين وللغزاة الطامعين.

كان القذافي دائماً يصغي لأحاديث شيوخ القبيلة عن أعمال الظلم والتعسف التي كان يقوم بها المستعمرون ضد الشعب الليبي وعن الأعمال النضالية التي كان يقوم بها المجاهدون، كما كان يتردد على مسامعه دائماً ما قاله زعيم المقاومة الشيخ عمر المختار خلال حديثه الأخير مع غراسياني قبل تنفيذ حكم الاعدام بيوم واحد، حيث قال له: «إما أن ننتصر و إما أن نموت، لكننا لن نستسلم أبداً».

وأظهر معمر منذ صغره بأنه كان يتميز عن زملائه في المخيم، فكان يثير بأسئلته دهشة المدرِّس «الفقيه» الذي كان يتنقل بين القبائل ليعطي الأطفال دروساً في الآيات القرآنية الكريمة وأصول القواعد والحساب والهندسة.

إن قساوة حياة المخيّم حيث كان على الأطفال أن يسهموا في بعض الأعمال، صقلت شيئاً

فشيئاً طباعه وعلمته أن الاتحاد والتضامن هما القاعدتان الأساسيتان لتطور المجتمع. وقد تكون تلك اللحظات من حياته هي التي جعلته فيما بعد يؤمن بأن الشعب العربي إن لم يتحد لن يستطيع أبداً التخلص من أعدائه الداخليين أو صدّ أي اعتداء خارجي جديد.

وتميز معمّر عن غيره من أطفال المخيم بأنه كان يحب التأمل والتفكير، فكان يبتعد عن المخيم كلما سنحت له الفرصة ليلجأ إلى مكان منعزل يجلس فيه وحيداً يتأمل ويفكر ويترقب حلول العصر على صحراء سرت التي لا يكف عن العودة إليها متأملاً ومفكراً وباحثاً عن حلول للمشكلات الخطيرة والصعبة التي يواجهها.

وقد تميز القذافي منذ صغره بالمثابرة والاجتهاد، فكان يسهر الليالي لاتمام دروسه دون أن يترك جانباً واجباته التي كان يجب أن يقوم بها في المخيم. إنه لم يهمل مرة في حياته واجباته الاجتماعية التي كان يقوم بها على أكمل وجه رغم كل المصاعب التي كان يواجهها للقيام بواجباته المدرسية.

إنني إذ أتطرق لذكر هذه الأمور وخاصة المصاعب التي كان يواجهها لمواصلة دراسته، فلعلّ ذلك يساعد في دحض بعض المعلومات التي وردت في كتاب «الفارس الخامس» والتي تشير إلى ثمة صدمة نفسية أصيب بها معمر خلال فترة شبابه نظراً لأن والده كان يرغمه على الذهاب إلى المدرسة.

إن هذا غير صحيح، فالقذافي كان يضطر أحياناً للتغيب عن المدرسة بناء على طلب والده «أبو منيار» ليعاونه في أعماله داخل المخيم.

سبها.. أيام الدراسة والنضال:

أنهى معمر المرحلة الابتدائية من دراسته وهو في الرابعة عشرة من عمره، وكان والده قد قرر حينئذٍ الانتقال إلى منطقة «فزان» فاغتنم هو هذه الفرصة لدخول المدرسة الإعدادية في سبها.

وهكذا، تعرف هناك على عبد السلام جلود فوحّدا جهودهما واتفقا على السير معاً على طريق النضال. والجدير بالذكر هو أن هذا التآخي بينهما مازال مستمراً حتى الآن ولم ينته بانتصار ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة.

وبدأ القائد في سبها أعماله النضالية الأولى فصمم على محاربة الحكم الملكي الذي كان يحتل المرتبة الخامسة بين مصالح أمريكا وبريطانيا في منطقة شمال افريقيا.

وكانت شخصية الزعيم العربي الراحل جمال عبدالناصر محط إعجاب الشاب معمر الذي لم يتردد لحظة واحدة في اعتناق الفكر القومي والوحدوي والثوري الذي كان يحمله وينادي به ذلك الزعيم العربي الكبير.

ونستطيع التأكيد على أن عبد الناصر بفكره وبأعماله النضالية قد أثر تأثيراً شديداً على الخط

السياسي الذي انتهجه القذافي وعلى النظام الذي أقامه بعد نجاح الثورة لإحداث تغييرات جذرية في المجتمع الليبي.

ان ارهاصات ثورة الفاتح كانت تمور في صدر معمر الفتى ومعمر الشاب قبل أن يفجرها صباح الأول من شهر الفاتح (سبتمبر) 1969م.

وفي تلك الفترة المبكرة من حياته، وهو مازال في العقد الثاني من عمره كان يحرص على إخفاء هذه الارهاصات عن الجميع عدا قلة من إخوانه من طلبة المدرسة الثانوية في سبها.. إخوانه الذين يشاركونه قيمه ومثله العليا الوطنية والقومية..

ومع ذلك وتحت وطأة ظروف غير عادية ظهر الفتى الشاب معمر أبو منيار القذافي الى النور في ما أسميه «تحديات معمر الفتى» اخترتُ منها اثنين في كتابي هذا.

كان التحدي الأول يوم الخامس من شهر التمور (أكتوبر) 1961م حيث قاد الطالب القذافي في مدينة سبها مظاهرة طلابية إنضمت إليها جماهير غفيرة من الشعب تنادي بسقوط الخونة الرجعيين الذين قاموا بتنفيذ مؤامرة اغتالت اول وحدة عربية قامت في النصف الثاني من هذا القرن بين البلدين العربيين مصر وسوريا في دولة واحدة حملت اسم «الجمهورية العربية المتحدة».

ان تفاصيل الاعداد الصعب والتنفيذ الأصعب لهذه المظاهرة القومية يحتاج لفصل كامل.. المظاهرة التي ترفع في المملكة الليبية المحمية بالقواعد الأمريكية والبريطانية، ترفع علم الجمهورية العربية المتحدة وصور رئيس جمهوريتها الزعيم العربي جمال عبد الناصر، حقا انه التحدي وانه أيضا المعنى العظيم لهذه المظاهرة الذي جاء في وقت كانت فيه جميع وسائل الإعلام العالمية والعربية (باستثناء المصرية) تحاول بكل طاقاتها أن تقبر فكرة الوحدة العربية، فانطلقت هذه المظاهرة من عمق الصحراء العربية.. في سبها لتؤكد على تمسّك العرب بوحدتهم وأنها آتية لا ريب فيها. وكلف هذا التحدي الأول معمر القذافي غاليا فقد دخل اسمه منذ ذلك اليوم الى ملفات أجهزة الأمن وطرد من مدارس ولاية فزان، ثم تمكن بعد صعوبات وتعقيدات من الانتساب الى المدرسة الثانوية في مصراتة.. وهناك كان التحدي الثاني...

حين دخل جونسون مفتش اللغة الانجليزية، وهو بريطاني، أحد فصول الدراسة في المدرسة الثانوية بمصراتة وقف الطلبة احتراما للمفتش وذلك بايعاز من المدرس، وهذا الوقوف تقليد طبيعي يجرى لأي مفتش أو مدرس أو مدير أو حتى زائر يدخل أي فصل دراسي. لقد وقف الطلبة كلهم الا الطالب معمر أبو منيار القذافي فقد بقي جالسا في مقعده حين عرف أن الداخل بريطاني.. كان هذا هو التحدي الثاني للفتى.

وتغاضى المفتش البريطاني عن فعلة الطالب العربي الليبي ولكن نظرات كره تبادلاها دفعت البريطاني لأن يستفز معمر فوجه إليه سؤالا من درسه فكان جواب معمر الصمت ونظرات الكره الثابتة. كان معمر أبو منيار القذافي يرى في هذا الجونسون وكأنه نصب تاريخي

لكل أنواع الاستعمار التي مرت على هذا البلد.. يرى فيه القواعد البريطانية التي تقتطع من هذه الأرض الطيبة شرائح تقيم عليها معسكرات للاستعمار الجديد.. استعمار القواعد والمعاهدات والحكام العملاء، يرى في هذا المفتش الحروب التي خاضتها بريطانيا ضد قوات المحور النازي الفاشستي مستخدمة هذا البلد العربي بشاطئه وسهله وصحرائه مسرحا لهذه الحروب التي ليس لشعبه فيها أية مصلحة أو فائدة، بل العكس هو الصحيح فما زالت مخلفات تلك الحروب الأوروبية على هذه الأرض العربية الافريقية من بقايا ألغام وقنابل ملقاة هنا وهناك تتفجر حتى اليوم بين أيدي المواطنين الليبيين وأبنائهم مخلفة ضحايا ومشوهين.. وبعد كل ذلك يدخل هذا البريطاني على هؤلاء الفتية من المواطنين ويقفون له احتراما.. لا لم يقف ولن يجيب على سؤاله.. وتزداد نظرات الكره التي تنطلق من عيني معمر كرها ثم حقدا. ويشعر المدرس العربي بتوتر الجو بين الطالب معمر والمفتش جونسون ووجد بأنه لابد من نزع الفتيل قبل أن يتفجر الموقف الى ما لا يحمد عقباه للطالب ويمكن أيضا للمدرس فيطلب من الطالب مغادرة الفصل.. ويغادر الطالب معمر أبو منيار القذافي قاعة الفصل الدراسي «انه أنت يا بريطاني الذي يجب أن يخرج..».. ولقد صدق الفتى وعده ولكن بحجم أكبر، فبعد أقل من عشر سنوات ستخرج بريطانيا كلها من الأرض الليبية مطرودة، وهذه المرة بعصا قائد ثورة الفاتح العقيد معمر القذافي.

الطريق نحو عملية القدس:

بعد ذلك بفترة قصيرة، تمّ في مصراته عقد اجتماع عام، كان الأول من نوعه، للحركة التي أسسها والتي كانت قد بدأت تنخر شيئاً فشيئاً أركان الحكم الملكي.

واتفق الجميع على أنه من المستحيل تحقيق الثورة دون الحصول على مساندة فئة ولو صغيرة من القوات المسلحة، فقرروا العمل على إدخال ثلاثة من أعضاء الحركة إلى الكلية العسكرية وذلك للقيام بمهمة تنظيم الخلايا السرّية في صفوف الجيش وإجراء الاستعدادات لتنفيذ الخطة المرسومة، وذلك في اللحظة المناسبة.

وتم أيضاً تشكيل التنظيم العسكري السرّي الذي حمل اسم «الضباط الوحدويون الأحرار» وذلك على غرار الحركة التي أسسها جمال عبد الناصر سابقاً وحركة الضباط التي كان قد أسسها اللواء بيرون في الأرجنتين.

إن الوحدوية تعني العمل على تحقيق الوحدة بين مختلف الدول العربية في دولة واحدة. ان هذا الهدف كان أحد أهم الأهداف الرئيسية التي أنشئت من أجلها هذه الحركة الثورية.

وواجهت عملية تنظيم هذه الحركة عراقيل كثيرة وصعبة جداً، تمّ تخطّيها بفضل الإرادة الصلبة لدى القذافي ولدى زملائه الذين صمموا على النضال إلى جانبه، والذين رفعوا شعاراً لهم كلمات أسد الصحراء: «إما أن ننتصر وإما أن نموت.. لكننا لن نستسلم أبداً».

وكانت عملية تشكيل الخلايا الثورية وتثقيفها تعتبر من أهم العراقيل التي واجهتها الحركة، حيث لم يكن من السهل أبداً بالنسبة لأولئك الشباب الثوريين الحصول على الكتب والمنشورات الضرورية لأي تحضير عقائدي.

وكان القذافي يعرف جيداً أن ما يجب القيام به ليس الوصول إلى السلطة وحسب، بل أيضاً ممارستها و إحداث تغييرات جذرية على الصعيد الثقافي ليتحقق فيما بعد التجسيد العملي لمبادىء الثورة.

وفرضت اللجنة المركزية لحركة الضباط الوحدويين الأحرار التي تأسست عام 1964م. تدابير مشددة على أعضائها لاتباع أساليب الحياة التي تتماشى مع الدين الإسلامي ولتجنب أي انحراف خلقي أو أي انشقاق يمكن أن يحدث داخل الحركة. فمنع أعضائها من شرب الخمر ولعب القمار والتردد إلى أماكن اللهو.

وفي إطار عملية التخطيط لمرحلة ما بعد الثورة، أصدر القذافي أمراً يقضي بأن يقوم كل واحد من أعضاء التنظيم الوحدوي بالتخصص في المجال الذي يتماشى مع موهبته ورغبته.

و بما أن القذافي كان مولعاً منذ صغره بالتاريخ فقد دخل كلية الآداب بقسم التاريخ بجامعة بنغازي للحصول على الشهادة الجامعية في هذا المجال. وتبعه بعد ذلك بعض زملائه، كل حسب رغبته الخاصة.

وكانت عملية التغلغل في صفوف القوات المسلحة تتم وفق الخطة المرسومة، وهذا ما أتاح للجنة المركزية الحصول على معلومات كانت ضرورية جداً للتعرف عن كثب على الوضع الداخلي لهذه القوات.

لم يكن القذافي يغفل ولو للحظة واحدة عن مراقبة سير المخططات وعملية تنفيذها داخل القوات المسلحة. وطبعاً كانت السرّية في التحرك مهمة جداً، ولهذا تم تشكيل مجموعة عسكرية سرّية تخضع لمراقبة مشدّدة كي لا يتم كشف المخطط من قبل أجهزة الاستخبارات التابعة للحكم الملكي، فارتكاب أي خطأ كان سيؤدي بالطبع إلى كشف الخطة وبالتالي إلى إفشال الثورة.

وبرز في ذلك الحين عدد من زملاء القذافي الذين لعبوا دوراً رئيسياً في عملية تحضير وتنفيذ الثورة، وما زالوا حتى الآن يقفون إلى جانبه دفاعاً عن الثورة، وهم عبد السلام جلود وأبوبكر يونس جابر ومصطفى الخروبي والخويلدي الحميدي.

وكان الاهتمام العسكري يتركز، وطبعاً دون إهمال المناطق الأخرى، على منطقة «برقه» وخاصة بنغازي، حيث كانت تتمركز وحدة هجومية مخصصة لحماية القصر الملكي.

ولم يهمل الثوريون في مخططاتهم عامل الخطر الذي كان ينتج عن تواجد القواعد العسكرية الأجنبية التابعة لأمريكا وبريطانيا والتي انطلق منها الدعم للعدوان الثلاثي على مصر نتيجة أزمة السويس.

لقد كان القذافي يشعر باشمئزاز خاص نحو تواجد الجيوش الأجنبية، ومرات عديدة كان يضطر لضبط أعصابه واندفاعه للقيام بعمليات تخريبية ضدها، كانت لو نفذها ستؤدي إلى لفت انتباه قوات الملك وبذلك يتعرقل سير الخطة.

لكنه كان لا يتجاهل أبداً ما كان يشكله هذا التواجد من خطر ليس بالنسبة لمستقبل الثورة وحسب، بل أيضاً بالنسبة لوحدة الأمة العربية في نضالها ضد الاحتلال الصهيوني.

إن القذافي قد تعلم أن الإخلاص للمثل العليا هو أقوى من النار، وأن الانسان كي يكون قائداً لابد أن يكون شريفاً مخلصاً وكريماً. ولابد أنه فكر مرات عديدة أن الجيوش الأجنبية سوف تخرج من وطنه يوماً إلى غير رجعة.

وفي شهر هانيبال (أغسطس) من عام 1965م. تخرج القذافي من الكلية العسكرية. كان عمره إثنتا وعشرون سنة فقط. وبعد مدة قصيرة ظهر إسمه في قائمة أسماء الضباط الذين تم ارسالهم إلى بريطانيا لاتباع دورات تخصصية.

ولم يستطع القذافي أبداً التكيف مع أسلوب الحياة البريطانية، وكان أنيسه الوحيد الذي لا يفارقه أبداً هو حنينه لبلده خلال الأشهر القليلة التي أمضاها في بريطانيا.

لقد كانت هذه التجربة مهمة جداً بالنسبة للقذافي حيث تمكن من التعرف عن كثب على واقع بريطانيا في مرحلة الانحطاط التي كانت تمر بها بعد أن كانت في يوم من الأيام امبراطورية عظيمة.

ان الإهانات المتواصلة التي كان يعاني منها هؤلاء الضباط العرب في ذلك المقر العسكري البريطاني، لم تكن سوى حافز آخر لهم كي يصمموا أكثر وأكثر على العودة إلى ليبيا لمواصلة النضال من أجل التحرر.

وبعد أن عاد القذافي إلى طرابلس مروراً بإيطاليا، اتصل فوراً بزملائه أعضاء الحركة ليطلع على آخر الأحداث التي حصلت خلال وجوده في بريطانيا.

وبعد مدة قصيرة رُقي إلى رتبة ملازم أول ونُقل إلى معسكر قاريونس الذي يقع على مسافة أربعة كيلومترات شرقي مدينة بنغازي.

ووقعت في تلك الفترة أحداث عديدة تركت في نفس القذافي أثراً عميقاً، وكان أهمها العدوان الصهيوني على مصر وسوريا والأردن الذي فقدت فيه هذه الدول جزءاً كبيراً من أراضيها بما فيها المنطقة القديمة من مدينة القدس والأماكن المقدسة بالنسبة للمسيحيين والمسلمين.

وكان الموقف المتراخي الذي اتخذه الملك إدريس تجاه هذه الأحداث يعود لإلتزاماته السابقة مع أمريكا وبريطانيا. فكان ذلك إهانة أخرى بالغة الخطورة بالنسبة للقذافي الذي كان وبصفته رجلاً عسكرياً يعرف تماماً أهمية الدعم الذي كان بإمكان الوحدات الليبية المتواجدة على الحدود أن تقدمه لمصر خلال العدوان.

وراودته من جديد فكرة القيام بعمليات تخريبية في القواعد العسكرية الأجنبية انتقاماً منها، لكنه قرر بصورة نهائية الابتعاد عن هذه الأمور وتركها جانباً، وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقاً.

يضاف الى ذلك أن قاعدة «ويلس» الأمريكية التي كانت موجودة في مدينة طرابلس، كانت تضم حوالي خمسة آلاف جندي، كما كانت تحتوي على تجهيزات ضخمة، وكانت تحتل المرتبة الثانية في أهميتها بعد القاعدة التي كانت موجودة في «ويسبادن» في ألمانيا الغربية.

وكان وجود مدرج للطائرات في هذه القاعدة يسمح للوحدات الجوية البريطانية التي كانت متواجدة في طبرق بالانتقال إلى طرابلس وباستخدام طائراتها المقاتلة من نوع (هوكر هنتر).

ولم تكن المخططات الثورية حتى ذلك الوقت ناضجة بشكل يمكن معه القيام بمحاولة لدك عرش الملك ولتحريك القوات المسلحة لدعم مصر. فالحكم الملكي كان يتمتع بالحماية الكافية من قبل وحدة الدفاع (القوة المتحركة) التي كانت متمركزة في برقه والتي كانت تملك مخزناً حربياً ضخماً كان يوازي بقوته قوة الجيش النظامي بكامله.

وكان الجهاز السرّي للضباط الوحدويين ينمو شيئاً فشيئاً بفضل انضمام عناصر جديدة من الجيش. لكن بعض الأعضاء القياديين أرسلوا إلى الخارج للقيام بدورات وفق اتفاقيات كان قد وقعها الحكم الملكي آنذاك مع أمريكا وبريطانيا.

وكان القذافي يراقب جميع التحركات ويدرس جميع الخطوات بدقة متناهية ولم يترك شيئاً مهما كان صغيراً إلا ودقق فيه.

وفي مطلع عام 1969م. اتفقت اللجنة المركزية لحركة الضباط الوحدويين الأحرار على أنه أصبح من المستحيل الانتظار أكثر، حيث أن الحركة قد وصلت إلى درجة عالية جداً من النضوج، وأصبح هناك خطر بأن تتمكن أجهزة الاستخبارات من كشف مخططاتها واعتقال قيادتها.

وبالرغم من ذلك، كانت العملية العسكرية التي سميت بعملية القدس تتأجل لسبب أو لآخر. أما الظروف التي كانت تؤدي إلى تأجيل موعد تنفيذ هذه العملية فهي ظروف تستحق الذكر، وذكرها هو أفضل طريقة لتكذيب أولئك الذين يتهمون القائد الليبي بأنه كان السبب في موت بعض الأشخاص دون أن يكون لذلك ضرورة.

إن التأجيل الأول لموعد تفجير الثورة كان سببه الحفلة الغنائية الضخمة التي أقامتها المطربة المصرية المشهورة أم كلثوم في نفس اليوم الذي كان محدداً لتنفيذ العملية أي بتاريخ 12 مارس عام 1969م. وبما أن عدداً كبيراً من الشخصيات المدنية والعسكرية التي كانت تعتبر من ألد أعداء الثورة قد حضرت هذه الحفلة فإن أية محاولة لاعتقال هذه الشخصيات في تلك الليلة، كانت ستؤدي دون شك إلى وقوع عدد كبير جداً من الضحايا بما في ذلك المدنيين الأبرياء.

وتأجل موعد تفجير الثورة مرة أخرى نتيجة انتقال الملك بصورة مفاجئة إلى برقه حيث وضع نفسه تحت حماية قواته الدفاعية والقوات المتواجدة في القواعد البريطانية. وسبب هذا الانتقال أن شيئاً ما قد لفت انتباه قوات الأمن والاستخبارات الحكومية. وهكذا، كان هناك امكانية بقطع الطريق على الملك ومهاجمته في قصره بطرابلس، لكن القذافي أراد تجنب وقوع مواجهة دموية مع قوات الملك كان سينتج عنها حتماً وقوع عدد كبير من الضحايا.

وفي منتصف شهر هانيبال (أغسطس) من العام نفسه، أصبح التردد أمراً لا يتحمله أعضاء القيادة الثورية حيث أن أجهزة الاستخبارات الحكومية كانت قد كشفت وجود الحركة وأصبح لديها معلومات شاملة عن بعض التحركات السياسية ـ العسكرية وحتى أسماء بعض الضباط الذين يقودونها.

وفي الواقع، كان تعجرف القوات الملكية عاملاً رئيسياً لهلاكها، فبالرغم من حصولها على المعلومات اللازمة بما فيها أسماء قادة الحركة، لم تكن تصدق بأن مجموعة من الشبان العسكريين شبه المراهقين، قد يتجرأون على القيام بمحاولة انقلابية لاستلام السلطة.

وكما هو بديهي، لم يعد بإمكان المجموعة الثورية الانتظار أكثر، فقام القذافي باستدعاء جلود لاجتماع عاجل في ترهونة ووضع معه اللمسات الأخيرة للخطة وحدد موعد التنفيذ الساعة الثانية والنصف من فجر الفاتح من سبتمبر.

عمليــة «القدس»:

بدأ تنفيذ العمليات العسكرية في الموعد المحدد، تم اعتقال كبار ضباط القوات المسلحة وأهم الشخصيات السياسية في الحكومة.

ساعات قليلة مضت، وكانت عملية «القدس» قد حققت أهدافها.. وسُمع صوت القائد من بنغازي وهو يعلن للشعب الليبي أول بيان للثورة.. فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم
أيها الشعب الليبي العظيم:

تنفيذاً لإرادتك الحرة، وتحقيقاً لأمانيك الغالية، واستجابة صادقة لندائك المتكرر الذي يطالب بالتغيير والتطهير ويحث على العمل والمبادرة، ويحرض على الثورة والانقضاض... قامت قواتك المسلحة بالإطاحة بالنظام الرجعي المتخلف المتعفن الذي أزكمت رائحته النتنة الأنوف واقشعرت من رؤية معالمه الأبدان.

وبضربة واحدة من جيشك البطل تهاوت الأصنام، وتحطمت الأوثان، فانقشع في لحظة واحدة من لحظات القدر الرهيبة ظلام العصور. من حكم الأتراك، إلى جور الطليان، إلى عهد الرجعية والرشوة والوساطة والمحسوبية والخيانة والغدر.

وهكذا منذ الآن تعتبر ليبيا جمهورية حرة ذات سيادة تحت اسم «الجمهورية العربية الليبية» صاعدة بعون الله، إلى العمل، إلى العلا، سائرة في طريق الحرية والوحدة والعدالة الاجتماعية، كافلة لأبنائها حق المساواة، فاتحة أمامهم أبواب العمل الشريف.

لا مهضوم ولا مغبون، ولا مظلوم، ولا سيد ولا مسود، بل إخوة أحرار في ظل مجتمع ترفرف عليه إن شاء الله راية الرخاء والمساواة، فهاتوا أيديكم، وافتحوا قلوبكم، وأنسوا أحقادكم، وقفوا صفاً واحداً ضد عدو الأمة العربية، عدو الإسلام، عدو الإنسانية الذي أحرق مقدساتنا وحطم شرفنا.

وهكذا سنبني مجداً، ونحيي تراثاً، ونثأر لكرامة جرحت وحق أغتصب. ويا من شاركتم عمر المختار جهاداً مقدساً من أجل ليبيا والعروبة والإسلام. ويا من قاتلتم مع أحمد الشريف قتالا حقاً.

يا أبناء البادية، يا أبناء الصحراء، يا أبناء المدن العريقة، يا أبناء الأرياف الطاهرة، يا أبناء القرى، قرانا الجميلة الحبيبة.. ها قد دقت ساعة العمل.. فإلى الأمام.

وإنه يسرنا في هذه اللحظة أن نطمئن إخواننا الأجانب بأن ممتلكاتهم وأرواحهم سوف تكون في حماية القوات المسلحة وأن هذا العمل غير موجه ضد دول أجنبية أو معاهدات دولية أو قانون دولي معترف به، وإنما هو عمل داخلي بحت يخص ليبيا ومشاكلها المزمنة.

وإلى الأمام والسلام عليكم ورحمة الله

مجلس قيادة الثورة

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا بعد مرور خمس عشرة سنة ونصف على هذا الحدث العظيم الذي جعل ليبيا تتحول إلى طليعة الدول التي تناضل ضد التحالف الصهيوني ـ الامبريالي، نستطيع القول أن التحول السياسي والثقافي في ليبيا كان تحولاً جذرياً وعملاً عملاقاً يصعب على البعض الاقتناع بأن رجلاً واحداً أشرف على تصميمه وتنفيذه، هو قائد الثورة معمر القذافي.

ان الشرح المفصّل لكل التغييرات التي حدثت على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، بالاضافة إلى الإنجازات العملاقة التي تحققت حتى الآن في مختلف المجالات، يحتاج إلى موسوعة كاملة.

على كل حال، أن أحد أهداف هذا الكتاب هو تلخيص هذه الانجازات ونقلها للقارىء.

الشخص والمزاج

مقر القيادة العامة للقائد.. باب العزيزية... شهر الكانون (ديسمبر) 1982م

سنوات عديدة مرّت على ذلك اليوم الذي لا يمكن أن أنساه من شهر النوار (فبراير) عام 1976م. عندما أتيحت لي الفرصة لمقابلة قائد الثورة الليبية العقيد معمر القذافي في مقر قيادته العامة الذي يقع في مكان لا يبعد كثيراً عن وسط مدينة طرابلس.

وفي منتصف شهر الحرث (نوفمبر) عام 1982م. وصلت مرة أخرى إلى العاصمة الليبية مدعوّا للمشاركة كمراقب في المؤتمر التاسع والثلاثين لوزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الافريقية، والمؤتمر التاسع عشر لرؤساء هذه الدول.

لقد كانت ثالث زيارة أقوم بها للجماهيرية خلال ذلك العام، حيث كنت قد قمت بزيارتين سابقتين خلال شهري الصيف (يونيو) والفاتح (سبتمبر) من العام نفسه، وذلك للقيام بمساعٍ عاجلة ودقيقة تتعلق بالأزمة الناتجة عن المحاولة الفاشلة التي قامت بها القوات الأرجنتينيةً لاسترجاع جزر (مالفيناس وجورجياس وساندويش) الجنوبية والمناطق البحرية التابعة لها.

وكانت مدينة طرابلس تعيش في ذلك الوقت جواً من التوتر الشديد حيث كان سيتقرر في تلك الأيام ما إذا كان القائد سيرأس تلك المنظمة الافريقية أم لا.

وبدون شك، كانت الدول الغربية الكبرى تقوم بمختلف أنواع المناورات والتدخلات للحؤول دون وصول قائد الثورة لرئاسة منظمة الوحدة الافريقية والقيام فيما بعد بنشر وجهة نظره في العالم حول كيفية حل المشكلات السياسية الخطيرة والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها القارة والتي هي من بقايا ورواسب الاستعمار والتي يصعب إزالتها نهائياً نتيجة التعامل الخياني العلني للعملاء الذين تستخدمهم الامبريالية للسيطرة على بعض الدول الافريقية.

هذا، وفي الوقت الذي كان فيه قائد الثورة متيقظاً لكل هذه الأمور يحضر برامج في غاية الأهمية بالنسبة لافريقيا، كانت بعض الوفود تقوم بجولات سياحية في أسواق طرابلس برفقة حاشياتها التي لم يكن لديها أدنى معرفة لماهيّة التعبير عن وجهات النظر. ولم يكن الاجتماع قد انتهى بعد، حتى عُرف تقريباً حظ القائد. فالخيانة وعدم التسامح وضعف الإرادة من قبل

الكثيرين بالاضافة إلى بعض الشوائب الأخرى، انتصرت على محاولة القذافي لترؤس هذه المنظمة الافريقية ليس إلا لهدف واحد وهو النضال لتحرير شعوب تلك القارة.

إن الضغوط التي مارستها الدول الغربية وأعمال الرشوة والتهديد والإغواء التي قامت بها من أجل السيطرة على الرؤساء الأفارقة، أدت إلى إبعاد هؤلاء الأشخاص عن أداء واجبهم بدعم وبتأييد قائد شقيق لهم يتحلى بقدرة وشجاعة كافيتين لأن يرفع صوته عالياً أمام الأمم المتحدة وكافة المنظمات الدولية الأخرى معلناً كل الحقائق التي يجهلها هذا العالم المرتبك الذي تتحكم به وسائل الاتصال التابعة لمراكز السيطرة العالمية.

وبعد عدة أسابيع من المباحثات الساخنة، غادر رؤساء الدول والحكومات ومعهم مرافقوهم مدينة طرابلس دون التوصل إلى أي اتفاق.

وهكذا تبخرت مرة أخرى امكانية اتحادهم والتفافهم حول الشخص الذي يتميز بنبله وسخائه ودفاعه عن مصالح كافة الشعوب الافريقية التي تناضل من أجل استقلالها التام.

وبينما كنت أقوم بتحضير أمتعتي للعودة إلى بوينس ايرس يائساً كئيباً بسبب النتائج السلبية لتلك الاجتماعات المرهقة، وبسبب عدم تمكني من مقابلة القائد، وصل إلى الفندق الذي كنت أقيم فيه مبعوث من القيادة العامة ليعلمني بأن المقابلة سوف تتم بعد دقائق معدودة.

وقبل ذلك بثلاثة أيام، كنت قد قمت بزيارة لجامعة قار يونس في مدينة بنغازي. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما رأيت القائد هناك يعطي درساً لطلاب تلك الجامعة حول الكتاب الأخضر. وهذا ما حصل أيضاً مع الصحفي الذي كان يرافقني، فارتبك واصطدم بأحد المصورين فسقطت آلة التصوير من يده. ضحك الجميع وابتسم القائد قائلاً: «لقد تأخرتم بالوصول»، وعاد ليواصل الدرس الذي كان يلقيه.

ووقف عدد من الطلاب الحاضرين يجيبون على بعض الأسئلة حول بعض الجوانب الفنية المتعلقة بكيفية تطبيق النظرية العالمية الثالثة. وكان القائد يقوم تكراراً بشطب ما كان يكتبه الطلاب لتصحيحه. وحول مشكلة الأجور، قال القائد وهو يشير لصحفية كندية حسناء أنها رغم جمالها مستغلة من قبل حكام بلدها لأنها تأخذ أجراً مقابل عملها، كما أكد على أن الجماهيرية تعمل على إزالة كل أنواع الاستغلال بصورة نهائية.

وبعد حوالي ساعتين انتهى القائد من إعطاء الدرس وغادر المكان بعد أن قام بمصافحة كل الطلاب الذين رافقوه إلى السيارة التي كانت بانتظاره وهم يرددون الهتافات والأناشيد الثورية.

وفي صباح اليوم التالي توجه القائد إلى سرت ليلجأ كعادته إلى المكان الذي يجلس فيه وحيداً يصلي ويتأمل تلك الصحراء التي شهدت ولادته، ويخطط لكل عمل ينوي القيام به.

ان القذافي قلّما يتوقف ليفكر بما مضى.. إنه رجل كلقبه «قذافي» يتطلع للمستقبل بكل أمل وثقة. إنه ينتقي من تجاربه كل ما هو ضروري لتجنب الأخطاء وتفاديها، ولإيجاد الطريق

المناسب لتحقيق حلمه القديم وهو تحقيق الوحدة العربية. إنه حلم عظيم جداً لا يمكن مقارنته أبداً بكل الأعمال المتقلبة التي يقوم بها بعض الحكام والتي ترتكز بصورة رئيسية على مصالحهم الشخصية السخيفة.

كانت السيارة التي نقلتني إلى باب العزيزية، ترافقها سيارتان تنقلان بعض المسئولين عن المراسم، تجتاز المدينة بسرعة فائقة، إلى أن وصلت إلى مقر القيادة العامة فدخلته من بابه الرئيسي.

كان المطر يهطل بغزارة منذ عدة أيام، كما كانت الغيوم السوداء تشير إلى أن الطقس لن يتبدل بسرعة.

كنت مسروراً لدرجة الانفعال عندما اجتزت بعض الأبواب الداخلية للدخول أخيراً إلى المبنى الرئيسي الحديث.. وبعد فترة قصيرة من الانتظار قال لي أحد الحاضرين: «سيستقبلك القائد في خيمته».

وبعد اجتياز حديقة صغيرة، رأيت فيها ذلك الصقر المعدني الضخم. المعلق على حائط المبنى، والمطر لا يتوقف لحظة واحدة عن الهطول بغزارة، دخلت إلى الخيمة حيث كان قائد الثورة بانتظاري، فقال لي وعلى وجهه ابتسامة لا زيف فيها ولا تصنع: «أهلاً وسهلاً»، «كيف حالك.. كويس».. ثم صافحني بشدة ودعاني للجلوس.

وحضر تكل المقابلة الأخ ابراهيم ابجاد، أحد معاونيه المخلصين، الذي تعرفت عليه منذ سنوات عديدة، والدكتور خليفة العزابي الذي قام بمهمة الترجمة، بالاضافة إلى جمع من الصحفيين الليبيين الذين يمثلون بعض الصحف والمجلات والاذاعتين المرئية والمسموعة وذلك لنقل وقائع المقابلة.

وكان القائد قد وصل إلى ذلك المكان قبل لحظات عديدة وهو يرتدي بزة عسكرية خضراء اللون وفوقها معطف، لقد حضر إلى ذلك المكان رغم غزارة المطر ورداءة الطقس.

وبعد أن رافقني بكل لطف إلى مقعدي وقدم لي كأساً من الشاي الليبي، جلس على كرسي بالقرب مني وسألني بصوته الجهوري: «كيف حال الأرجنتين»؟ مشيراً بذلك للوضع الناتج عن الهزيمة التي منيت بها القوات الأرجنتينية في منطقة «بويرتو أرختينو».

فأعربت له بالتفصيل عن وجهة نظري حول الموضوع وسلمته نسخة باللغة العربية من البيان الذي أصدرته أمانة الإعلام التابعة لرئاسة الجمهورية الأرجنتينية حول حقوقنا المشروعة في منطقة جنوب الأطلسي. وشكرت القائد مرة أخرى على المساعدة غير المشروطة التي قدمها للشعب الأرجنتيني وذلك بإرسال المعدات الحربية لقواتنا المسلحة دون أي مقابل أو أي شرط.

لقد شكرت القائد على هذه المساعدة لمرات عديدة في لقاءاتي السابقة به خلال شهري الصيف (يونيو) والفاتح (سبتمبر) من العام نفسه، وفي حديثي خلال البرنامج الخاص الذي نقلته الإذاعة المرئية الليبية والذي استغرق حوالي الساعة من الوقت.

وكان القائد بنظراته الخارقة التي يتميز بها يصغي إليّ ويجيبني على كل تساؤلاتي.

مرات عديدة حاولت أن أنهض لأودعه شاكراً له هذه الفرصة التي أتاحها لي لمقابلته، لكنه في كل مرة كان يدعوني لمواصلة الحديث.

لقد تناولنا في حديثنا أهم المشاكل التي تحدث على مسرح السياسة الدولية، فكان بكل بطء وتأني يحلل هذه المشاكل ويعرب عن وجهة نظره تجاه كل ما يحدث في افريقيا وأمريكا اللاتينية ومنطقة الشرق الأوسط وأوروبا. وهذا طبعاً ما يؤكد على إطلاعه الواسع ورؤيته الواضحة لكل تلك الأمور.

لقد لمست من خلال حديثه أنه على اطلاع تام على الوضع الأرجنتيني الحالي، ليس فقط ما يتعلق بالحرب مع بريطانيا بل أيضاً كل ما يتعلق بالوضع الداخلي للأرجنتين وعلى بعض الأمور التي يجهلها حتى بعض المواطنين الأرجنتينيين.

وكان من السهل جداً ملاحظة آثار التعب والأرهاق على وجهه بعد تلك الأيام الطويلة التي تخللتها اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية بالإضافة إلى الرحلات التي كان يقوم بها إلى مطار طرابلس لاستقبال عدد كبير من رؤساء الدول والحكومات الذين حضروا للمشاركة في المؤتمر.

وقال لي أحد معاونيه قبل الدخول إلى الخيمة أن القائد لم يغمض له جفن خلال ثلاثة أيام. أنه أمر في الحقيقة يدعو للإعجاب، وهو تيقظه دائماً حتى لأصغر الأمور.

ان القذافي الذي رأيته في تلك اللحظة، لم يتغير أبداً، هو نفسه بذكائه وبشاشته ولطفه وصراحته وكرمه. إنني لم أسمع منه قط أي كلمة حقد أو عبارة تدل على ضغينة شخصية تجاه أحد.

كان يتكلم وهو يحرك جمر الموقدة التي كان لهيبها ينشر رائحة عطرة داخل الخيمة.. كنت أراقب كل تحركاته بدقة وتمعن.

انه بنظراته المميزة وبكلامه المتروي، لا يمت بأي صلة لتلك الصورة التي تعوّد الاعلام الحاقد أن يصفه بها. إنه رغم الارهاق الجسدي والتوتر النفسي الذي عاشه خلال تلك الأيام، كان يتكلم وكأنه أستاذ جامعي ذو خبرة أكاديمية ضخمة، أو كأنه ذلك الشيخ الفقيه الذي أعطاه الدروس الابتدائية الأولى.

والقائد متوسط القامة، نحيل الجسد، لطيف الملامح، خفيف الحركة، لا يهتم كثيراً بنوع الملابس التي يرتديها، فأحياناً يرتدي اللباس العسكري .. وأحياناً يرتدي «الجرد» الليبي التقليدي أو بعض الملابس ذات التصميم الأوروبي أو الشرقي التي تتميز عادة بقبة «ماو». إنه لا يعرف اللفّ والدوران في حديثه، يتكلم دائماً بصراحة متناهية، كما يكره قواعد وشكليات المراسم فكم من مرة كان يضطر حراسه أن يلحقوا به بسرعة حيث من عادته أن يقود سيارته بنفسه.

إنني لم أرَ أبداً من بين كل الشخصيات والرؤساء الذين عرفتهم شخصاً واحداً يترك كالعقيد معمر القذافي مثل هذه الشكليات جانباً.

فبإمكان أي شخص أن يقترب من مقعده في محاضرة ما أو على مائدة طعام أو في أي احتفال عام، دون أن يؤدي ذلك إلى التفاف مائتي حارس حوله كما يفعل بقية الرؤساء.. وهذا طبعاً إذا كان الشخص يحترم نفسه ويختار الفرصة المواتية للاقتراب منه.

لقد كان لي الشرف العظيم بالجلوس إلى جانبه على مائدة الطعام في القصر الشعبي خلال حفلة اختتام «المؤتمر العالمي حول الصهيونية والعنصرية»، وذلك في شهر ناصر (يوليو) من عام 1976م. أي منذ عشر سنوات تقريباً.

كنا نجلس على وسادات مريحة جداً وأمامنا المأكولات العربية اللذيذة عندما وقف أحد أعضاء الوفود الحاضرة وألقى قصيدة شعرية ارتجالية احتفاء به، وأذكر أننا تبادلنا بعض الأحاديث حول تطورات الأزمة مع بريطانيا خلال تلك السنة.

وكان القذافي قد سلمنا قبل ذلك بعدة أشهر رسالة موجهة للسيدة ايزابيل بيرون التي كانت لا تزال في منصب الرئاسة، وقد عرض عليها في تلك الرسالة المساعدة العسكرية في حال وقوع أية مواجهة بين الأرجنتين وبريطانيا. قال لي آنذاك: «لا تنس، سنقدم للأرجنتين كل ما تحتاجه دون حدود»...

وهكذا، بعد ذلك بسنوات عديدة، تماشياً مع مبادئه المستقيمة، وبدون أي تفكير استغلالي رغم تفاهة الحكومة العسكرية في بوينس آيرس، حطت على الأرض الأرجنتينية طائرات محملة بالأسلحة وبقطع الغيار الحيوية، لتصل فيما بعد إلى أولئك الجنود الذين كانوا يقاتلون في ساحة المعركة ضد الامبريالية البريطانية.. هكذا نفذ القائد كلمته ووفى بوعده...

لقد قلت مرة لأحد أهم أعضاء مجلس ضباط البحرية الأرجنتينية عندما كنا ندرس امكانية طلب المساعدة من ليبيا: «اعدموني إذا كنت مخطئاً.. ان العقيد القذافي هو قائد ثوري يختلف تماماً عن الشخص الذي ترسمه وسائل الإعلام».

بعد ذلك بأيام معدودة حصلت البعثة العسكرية الأرجنتينية التي كانت تزور طرابلس للغاية نفسها، على تأكيد ليبيا بتقديم الدعم للأرجنتين.

وللأسف، قامت وسائل الإعلام المريضة بعد ذلك وبالأسلوب القذر نفسه الذي تتبعه دائماً بالمطالبة بمعلومات عن حصانين أرجنتينيين كانت الحكومة الأرجنتينية قد أرسلتهما للقائد الليبي اعترافاً له بالجميل، تنفيذا لأمر مباشر أصدره الرئيس غاليتييري.

إن هذين الحصانين يصولان حالياً في مقر «اتحاد الفروسية الليبية»، ولم يكن إرسالهما من قبل غاليتييري سوى نوعاً من الشكر للرجل الذي وفى وبكل سخاء بوعوده للشعب الأرجنتيني في أدق اللحظات التي سبقت الهزيمة، معرضاً للخطر المصالح الليبية في بريطانيا التي لم تغفر أبداً للقائد هذا العمل الذي قام به.

لقد قال لي القائد مرة، خلال تلك المقابلة في ذلك اليوم الممطر من شهر الكانون (ديسمبر) عام 1982م. إن النظرية العالمية الثالثة قد تكون الطريق الأفضل لحل مشكلات شعوب أمريكا اللاتينية. إننا في الواقع نتفق بأن نظرية العدالة والنظرية العالمية الثالثة اللتين تتميزان بخطهما الثالث، تنبعان من مصدر واحد هو ترسيخ العدالة في الحياة الداخلية للشعوب وخلق نظام عادل على الصعيد الدولي حيث مراكز السلطة العالمية تفرض ارادتها على العالم الثالث وتستغله وتهينه باستمرار.

ونتفق أيضاً بأن نظرية العقيد القذافي العالمية الثالثة قد تمكنت ـ ولو أنه يصعب عليّ كبيروني الاعتراف بذلك ـ من الانتشار عن طريق عمل ذكي يتماشى مع الواقع الليبي الداخلي، بينما تنازلت حركة العدالة بعد وفاة اللواء بيرون عن المبادرة لقوى أخرى كانت تقوم بسلب راياتها، أنها تسير نحو التفكك نتيجة الصراعات الداخلية على السلطة.

وبينما كنت أنظر للقائد بكل انتباه وهو يطرح وجهة نظره، تفهمت جيداً لماذا لم تتجمد الثورة في ليبيا كغيرها من الثورات العديدة التي قامت في هذا العالم. إن ثورة الفاتح قد بسطت نفسها في المجتمع الليبي عن طريق التطبيق العملي للفكر الذي طرحه القائد، وهو يعرف حق المعرفة أنه لا وجود لمشاركة الإنسان الفعالة في المجال السياسي بدون هذا التطبيق.

والواقع هو أنه ما من أحد يستطيع أن يتفوق على العقيد القذافي في المجال الثوري، إنه يتصدر جميع الثوار في العالم.. إنه التغيير بنفسه.. وهو الثورة بحد ذاتها.

كانت تلك المقابلة في غاية الأهمية، وانتهت بعناق شديد على مدخل الخيمة. وبعد ذلك بثلاثة أيام غادرت طرابلس آملاً أن أعود مرة أخرى في يوم من الأيام رغم إدراكي لكل المخاطر والمؤامرات التي تحاك ضد الجماهيرية. وهكذا غادرت الجماهيرية الأولى وأنا أتساءل بيني وبين نفسي، ككل المرات السابقة، ما إذا كانت الظروف ستسمح لي بالعودة مرة أخرى.

وبعد أشهر قليلة، وبالتحديد في شهر الطير (ابريل) عام 1983م. زرت الجماهيرية مرة أخرى للمشاركة في «الملتقى العالمي الأول حول فكر الكتاب الأخضر».

في تلك المناسبة تمكنت من عرض وجهة نظري حول موضوع «الموارد المحدودة للنظرية العالمية الثالثة»، وذلك بحضور عدد كبير من الوفود وبعض الرؤساء الأفارقة وممثلي حكومات بعض دول أمريكا اللاتينية.

وحضر القائد إلى قاعة المؤتمر مرات عديدة، وكانت له مداخلات حول مواضيع مختلفة، كما كان وكعادته يجلس بين الحاضرين كأي شخص عادي رغم أن القاعة كانت كلما دخل إليها تضجّ بالهتافات والأناشيد التي كان ينشدها أشبال اللجان الثورية الليبية.

وفي تلك المناسبة لم أتمكن سوى من مصافحته وأنا أقول له بضع كلمات باللغة العربية التي لا أعرف منها إلا القليل: «كيف حالك، شكراً.. إنني فرحان جداً.. شكراً جزيلاً على الضيافة.. الله يحفظك.. مع السلامة الأخ العقيد معمر».

المـزاج والخلـق:

لكي نقوم بإجراء دراسة حول مزاج وخلق القائد لابد أن ننطلق من قاعدة أساسية وهي أن المزاج والخلق يرتبطان ببعضهما البعض رغم أنهما يمثلان وقائع مختلفة.

فالمزاج هو مجموعة الميول الباطنية التي تنبع من التركيب العضوي لكل شخص، بينما الخلق، الذي يضم أيضاً بين عناصره الأساسية ومقوماته المزاج، هو النتاج المألوف لمختلف التأثيرات النفسية والبيئية التي تسهم في صهر الشخصية المعنوية للفرد.

إن دراسة وتحليل المعلومات عن حياة العقيد القذافي منذ طفولته حتى الآن، انطلاقاً من قاعدة الأحداث الحياتية وعبر اجراء تقييم لها، تسمح بوضع صورة خلقية حقيقية لشخصية القائد بملامح دقيقة تختلف تماماً عن الصورة المزيفة التي ظهرت في مطبوعات مختلفة خلال السنوات الأخيرة الماضية.

إن نفسية كل شخص تتغير وفق تغير المراحل المختلفة لحياته، لهذا فإنه من المناسب إعطاء صورة للعقيد القذافي في كل مرحلة من مراحل حياته أي في سن الطفولة وفي سن الصبا وفي سن المراهقة وفي سن الشباب وفي سن الرجولة، وذلك وفقاً للترتيب الذي تفرضه أفضل دراسة لاهوتية للخلق.

في ســن الطفولة:

خلال مرحلة طفولته التي تسبق كل ما هو متعلق بالنواحي الخلقية، كان معمر يتميز عن كافة أطفال المخيم بإدراكه لجميع الأمور رغم أنه لم يكن يتمتع بعد بقدرة العقل الكافية، كما كان يتميز بإصغائه لشيوخ القبيلة ولوالديه اللذين أخضعاه لقساوة الحياة في ذلك المخيم البدوي.

ورغم أن الأطفال حتى سن السادسة يتصرفون بشكل غريزي وأناني فإن معمر كان دائما ميالاً نحو القيام بأعمال إنسانية وتضامنية.

وكان معمر يرقب دائماً تصرفات أفراد قبيلته فوجد أن كل واحد منهم كان يتعاون مع الآخرين في كافة الأعمال مشكلاً بذلك نوعاً من الترابط والاتحاد والتضامن. وهذا ما جعل القذافي يكثر من تساؤلاته التي كان يوجهها لأقربائه ولشيوخ القبيلة حول مسألة التضامن.

في ســن الصبــا:

ما من دراسة جدية تستطيع تحديد السن الذي كان فيه معمر عندما بدأ يتصرف بتعقل تام. ان من عرفه عن كثب قد أكد على بعض الأحداث الهامة وبعض المؤشرات المذهلة التي ظهرت خلال مرحلتي الطفولة والصبا. لكن، وهذا أمر طبيعي، لا يستطيع تفسير الدافع الحقيقي لمثل تلك التصرفات.

لقد كان والداه، وإن كان ذلك بديهياً، قد تفهما أن من واجبهما معاملة طفلهما معاملة خاصة نظراً لأنه كان يظهر من خلال تصرفاته أنه ذو خلق وطباع فريدة رغم صغر سنه، كما تفهما أيضا أن من واجبهما غرس أفضل البذور في شخصه كي لا يسببان في إحباط مقدراته وكفاءته.

وما أن تجاوز معمر مرحلة الصبا حتى بدأت تستيقظ في نفسه تلك الميول للتعلم وتحصيل المعرفة في كافة مجالات الحساب والهندسة والقواعد والتاريخ وبصورة خاصة الدين الاسلامي والتاريخ.

وقد يعود الفضل في أن يكون القائد اليوم أحد أبلغ المفسرين للقرآن الكريم، لذلك الاهتمام المبكر بالاطلاع على حقائق الدين الاسلامي. فما كان من الضروري أبداً أن يقوم أحد بتذكير معمر بإتمام واجباته الدينية، لقد كان هو نفسه يعرف كل ذلك وخاصة عندما كان على عتبة سن المراهقة حيث كان يعتبر أن الالتزام بالدين ركناً أساسياً وهدفاً أسمى لكل مسلم صالح.

في ســن المــراهقة:

خلال هذه المرحلة من حياته، وقعت أحداث مهمة جداً تركت آثاراً عميقة في نفس معمر.

إن هذه المرحلة، أي بين الثانية عشرة والخامسة عشرة من العمر، تترك في نفس كل شخص آثاراً عميقة تنعكس على سلوكه الخلقي والديني، وذلك نتيجة للتحولات الجسدية والنفسية التي تحصل عادة في هذه المرحلة من حياة الانسان.

لقد عانى معمر من البيروقراطية التي حرمته من الدخول في السنة الابتدائية الأولى، رغم أنه كان مؤهلاً لذلك وللنجاح أيضاً في الفصل الدراسي الأول.

وعانى أيضاً من المزاح الجارح من قبل زملائه الصغار الذين كانوا يضايقونه ويسخرون من لهجته البدوية، كما أثر فيه تأثيراً عميقاً فقدان المساواة الاجتماعية الذي كان ينعكس أيضاً على العلاقة بين الأطفال.

كيف واجه معمر كل هذه المشاكل؟

لقد انصرف كلياً لتحضير نفسه تحضيراً جيداً، فتمكن بذلك، ليس فقط من تعويض الوقت الذي خسره بل أيضاً تمكن من إنهاء المرحلة الابتدائية قبل بعض زملائه الذين كانوا يسبقونه بأشواط عديدة.

ودرس معمر اللغة العربية وتعمق فيها لدرجة أنه تحول إلى مدقق ومحافظ على قواعد اللغة ومطالب بإزالة اللهجات العامية وفرض اللغة العربية الصحيحة.

بعد ذلك بدأ معمر يعمل من أجل تحقيق المساواة وذلك عن طريق النضال من أجل العدالة الاجتماعية.

لقد كانت كل لحظة من حياة القائد تجربة ايجابية، فقد حول الحزن إلى تفاؤل وسعادة وهناء، وحول الظلم الذي كان يعاني منه إلى حافز للبدء بالنضال الطويل من أجل التحرر، وحول المرارة الناتجة عن الهزائم العربية إلى عصارة تغذي أسمى قضية وهي قضية الوحدة.

لقد أيقظت تلك السنوات ميوله، وساعدته تلك التجارب الأولى على تدعيم روح التمرد عنده، فبدأت تظهر آنذاك بصورة علنية الدلائل الأولى على عصيانه ضد ذلك الوضع الذي فرض عليه فرضاً.

لقد أنهى معمر الشاب أول مرحلة من نضاله بتفجير ثورة الفاتح التي أظهرته أمام العالم كواحد من الشخصيات الشابة التي لا تهدأ ولا تمل من العمل الثوري التحرري.

لقد تمكن خلال مدة لا تتجاوز العقد من الزمن، أي منذ كان عمره خمس عشرة سنة حتى أصبح عمره سبع وعشرون سنة، من تحقيق طموحاته بإعادة الحرية لليبيا والسير على درب النضال لتحقيق هدف أسمى وهو وحدة الأمة العربية تحت راية الإسلام، مقتنعاً ومؤمناً بأن الوحدة هو السلاح الوحيد ضد التدخلات الأجنبية وضد السيطرة الاستعمارية وضد كافة أشكال التواجد الامبريالي وضد كافة مظاهر التخلف الذي تعاني منه الأمة العربية قاطبة.

في سـن الشبـاب:

ما أخصب هذه المرحلة من حياة القائد، إنها المرحلة التي انصقل فيها خلقه وشخصيته المميزة وتحددت فيها ميوله العظيمة نحو المثل العليا التي جعلت منه قائداً سياسياً وعقائدياً وعسكرياً كأولئك القادة الكبار الذين مشوا قبله على درب العروبة والإسلام مثل صلاح الدين الأيوبي وعمر بن الخطاب.

لقد كانت هذه المرحلة من حياته مليئة بالأحداث الهامة التي أسهمت في ترسيخ إرادته الجبارة. فمنذ تمرده في مدرسته الثانوية على المفتش البريطاني «جونسون»، احتجاجاً على التدخل الأجنبي بشؤون ليبيا الداخلية، مروراً بعملية اعتقاله لتدخله المباشر في المظاهرات الاحتجاجية خلال شهر التمور (اكتوبر) عام 1961م. إلى قيام الثورة عام 1969م. كلها كانت أحداث هامة جداً حصلت خلال تلك المرحلة من حياته.

وطبعاً لا يمكننا أن نتجاهل تلك البصمات التي تركها في نفسه أجداده وشيوخ القبيلة، وتلك العبرة التي أخذها من أولئك الأبطال وشهداء النضال الذين سقطوا دفاعاً عن وطنهم ومن أجل استقلال ليبيا، ومن أولئك الأبطال العرب مثل جمال عبد الناصر.

ولا يمكننا أن نتجاهل أيضاً تلك المقدرة وقوة الإرادة التي لا مصدر لها سوى العناية الإلهية والتي جعلت معمر يعرف كيف يختار الطريق الصحيح لتحقيق أسمى الأهداف.

في ســن الــرجولة:

إن الإنسان كوحدة جوهرية من جسد وروح يتمتع عادة في هذه المرحلة من حياته بكامل قوته وحيويته ووعيه و إدراكه. إن معمر قد دخل هذه المرحلة من حياته وهو يمارس قيادة شعبه الروحية والسياسية.

وقد إكتملت خبرته السياسية والقيادية خلال هذه المرحلة من حياته وذلك لأنه حاول دائماً الاستفادة من أخطائه ومن أخطاء الغير وعمل دائماً على التعلم من التجارب.

إن روحيته العميقة ـ وأسمح لنفسي هنا بتكرار هذا الأمر ـ تنبع من إيمانه الشخصي الخالص النقي الذي لا تشوهه شائبة، بأن الجوهر الإلهي هو الأساس لجوهر كل الأشياء.

إنه صادق، على خلاف زعماء سياسيين آخرين، لأنه يدافع عن حقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية التي قربته إلى الله سبحانه وتعالى.

لهذا قال مرة أن هذه الحقيقة ثابتة لا تتغير: «هذه هي شريعة الله. إن الحقيقة واحدة وأبدية لا تتغير. لا تخص دولة معينة أو فرداً ما. إنها تخص البشرية كلها».

إنه قائد سياسي، لكنه وقبل كل شيء قائد روحي، لأن كل أعماله ترتكز على العامل الانساني وعبر التفسيرات القرآنية التي تعتبر قاعدة أساسية للنظام السياسي الذي يطبّق حالياً في الجماهيرية رغم كل الصعوبات الناتجة عن تجسيد هذه التفسيرات في هذا العالم الدنيوي الذي نعيش فيه.

إنسانيــة القائــد:

إن وسائل الإتصال المنتشرة في العالم ليست في الواقع وسائل نقل للأحداث بل عاملاً مؤثراً يوجه للرأي العام، كما أنها اعتادت على نقل صورة مشوهة لقائد الثورة كلما أدلى بتصريح ما، وخاصة عندما يتطرق لمواضيع تتعلق بالسياسة الدولية.

وما يحدث هو أن هذه الوسائل، عمداً أو بغير عمد، تحكم عليه خطأ خاصة وأن إحدى الفضائل التي يتحلى بها القذافي دون غيره من القادة والزعماء السياسيين في عصرنا هذا، هي الصدق.

إنه القائد العربي الذي لا مثيل له بإخلاصه لمثله العليا. كما أن القاعدة الايديولوجية والمنهجية التي وضعها لثورة الفاتح لم تتغير ولم تتبدل في جوهرها حتى الآن.

إن القذافي لن يتغير أبداً، ولن يتمكن أحد في يوم من الأيام التفاوض معه على حساب الإسلام أو على حساب الوحدة العربية والنضال من أجل الحقوق التامة للشعب الفلسطيني البطل في كل تراب وطنه.

لقد كان بإمكانه دون شك تجنب مشاكل كثيرة وقلق كبير لو أنه فعل كأكثر القادة السياسيين أي: إعتبار الكذب المؤذي أمراً عادياً في علاقاته مع رعيته أو مع حكام آخرين، بالإضافة إلى نشر وجهات نظر مزيفة عبر وسائل الاتصال.

إن القذافي الرجل المتدين يعرف تماماً أن القانون الإلهي الطبيعي يفرض قول الحقيقة دائماً. لهذا فإنه عندما يتكلم بصراحته المعهودة لا يهمه أبدا أن يقوم البعض بتفسير كلماته بغير ما تعنيها أو بتحوير خطبه وتصريحاته. ان ما يهمه فقط هو قول الحقيقة.. كل الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة.

إذا كان ذلك جريمة، فلنكن كلنا مجرمين.

إننا إذا زيفنا فكرنا الداخلي بتغيير تعبيرنا الخارجي له، نكون قد خالفنا الترتيب الطبيعي للأمور الذي وضعته وأمرت به إرادة الله، فالازدواجية في التصرف وفي السلوك هي موقف سيء لكل مسلم ولكل مسيحي، ولكل صاحب دين.. أي دين.

يجب الإنتباه إذن لهذه الفضيلة التي يتحلى بها القائد والتي تحثه دائماً على قول الحقيقة والتعبير عما بداخله بصدق وبدون أي تزييف أو خداع، كما تخلق في نفسه نوعاً من الإحتقار للتزييف الذي يخيم على عالمنا اليوم.

هل يمكن إعتبار القائد بطلاً؟..

إننا لو إتبعنا تعريف «مايّو» للبطولة حيث يقول: «ان البطل هو من يشارك بصورة غير عادية في صنع التاريخ ويتدخل بشكل حاسم في مجرى الأحداث»، لوجدنا بأننا نستطيع اعتبار القائد بطلاً.

إنه فسَّر وصمَّم وجسَّد التاريخ بقدرته الإبداعية مشاركاً بشكل ملحوظ في مجرى الأحداث. وكما قلت سابقاً: «لولا القذافي لكان العالم على غير صورته الحالية، وبدون أي شك، ان هذا العالم سيتغير إذا ما غاب هو عنه».

ولكي نضع صورة دقيقة للقائد، لابد من أن نلجأ إلى ترتيب أدق وهو ذكر المواهب الطبيعية التي يتمتع بها، والفضائل التي يتحلى بها وكل الواجبات التي يقوم بها على أكمل وجه.

المواهب الطبيعية:

إن الموهبة الأولى التي يستطيع أي شخص كان أن يلحظها في شخص القائد هي قدرته على قيادة شعبه ودفعه في طريق النضال المتواصل للتأكيد على القيم الوطنية العليا والدفاع عنها عن طريق الوحدة والإخلاص.

لقد تمكن القائد، مع مرور الوقت، من تجاوز كل المكائد والخيانات التي كان يقوم بها أولئك الذين يريدون هلاكه، والفضل في ذلك يعود إلى إيمانه وصلواته وتأملاته و إلى ذلك التوازن العقلي ـ العاطفي الذي تمكن من تحقيقه. وهذه هي فضيلة من الفضائل التي يتمتع بها القائد.

لقد أكد القائد على هذا التوازن في مناسبات عديدة وذلك عبر مراعاته للظروف التي

كانت تعيشها ليبيا سابقاً. فكم من مرة كان يتحكم برغبته بتوجيه ضربة قاسية لأعداء شعبه الذين كانوا يمارسون ضده كل أنواع التعسف والظلم، ليلجأ إلى التأمل ومراعاة الظروف والتصرف بحكمة تاركاً كل تلك الرغبات جانباً.

وبرز هذا التوازن أيضاً عندما قامت أمريكا بأعمالها العدوانية في خليج سرت عام 1981م. إن أمريكا بأعمالها الاستفزازية تلك ضد ليبيا، لم تكن تبحث سوى عن ذريعة لتتدخل عسكرياً في ليبيا ولتدمر بمساعدة بعض عملائها الأفارقة النظام السياسي المعتمد حالياً في الجماهيرية، من أجل السيطرة على ثرواتها الطبيعية الضخمة. لقد كان هذا العمل يستحق هجوماً واسع النطاق تقوم به ليبيا ضد الأسطول السادس الأمريكي الذي كان يغزو مياهها الإقليمية.

لكن القذافي لم يتسرع بل تصرف بكل حكمة وتروي، فقام بردة فعل سياسية عنيفة أبرز من خلالها للعالم أجمع نوايا أمريكا وأعمالها العدوانية الاستفزازية ضد ليبيا مؤدياً بذلك إلى افشال مخططاتها واحراج موقفها أمام العالم وأمام حلفائها.

ومن المواهب التي يتحلى بها القائد أيضاً قدرته على التبصر والتأمل، وهذه موهبة فطرية ظهرت فيه وهو مازال في سن الطفولة. لقد كان في تلك المرحلة وفي المراحل التي تبعتها من حياته يلجأ دائماً في سرت التي شهدت ولادته، للتأمل وللتفكير بكل ما هو سيء أو حسن بالنسبة له شخصياً وبالنسبة لأسرته وقبيلته. ومع الوقت أصبحت هذه التأملات تنمو وتكبر شيئاً فشيئاً حيث لم تعد تقتصر على مشكلات أسرته وقبيلته بل تعدت ذلك وأصبحت تشمل مشكلات شعبه وجميع أشقائه في افريقيا وفي الأمة العربية، كما وأيضاً جميع المضطهدين في هذا العالم الذين يريدون التحرر من قيود العبودية والاستعمار.

إن هذه الموهبة لدى القائد تظهر أيضاً في ممارسته للقيادة الروحية والسياسية لكل أولئك الذين يرون في شخصه ـ ليس في الجماهيرية وحسب ـ بل وفي كل أنحاء العالم، أعظم قائد يتمسك بموقفه الثالث ويعمل جاهداً لإيجاد أفضل وأنسب الحلول لكل المشكلات الضخمة والخطيرة التي يعاني منها العالم المعاصر.

إنه متعقل جداً وخاصة في تقدير كفاءة أولئك الأشخاص الذين يتم اختيارهم للقيام بأهم الوظائف، لكنه لا يتدخل أبداً في عملية اختيار الأعضاء المسؤولين في الأمانات والادارات الشعبية التي تدير كافة المرافق وقطاعات الدولة في الجماهيرية وذلك طبقاً للنظام المعتمد حالياً وهو نظام «سلطة الشعب»، باستثناء عملية اختيار معاونيه ومساعديه، حيث في هذه الحالة يلعب الإخلاص بالإضافة للكفاءة العالية دوراً حيوياً. إنه لا يفضل أبداً أي شخص عن غيره لمجرد دوافع عاطفية أو شخصية.

إن القائد يعامل كل أشقائه الليبيين بكل لطف، ويراقب بنفسه دائماً سير الأعمال في مختلف قطاعات الخدمات العامة ومستوى إتمام الواجبات من قبل المواطنين. إنه لا يتردد في

الإحتجاج أحياناً أمام اللجان المسؤولة في حيّ ما على عدم إتمامها لواجباتها في تنظيم الشوارع العامة مثلاً، عندما يلمس ذلك بنفسه خلال جولاته الشعبية المفاجئة في بعض الأحياء.

إنه شخص متواضع وعادي جدا، وهذا أمر لا يخفى على كل من يعرفه معرفة جيدة. إنه، وعلى سبيل المثال، يقوم هو نفسه بتقديم الشاي لضيوفه، وهو بنفسه يقوم بتصليح محرك سيارته الخاصة إذا ما تعطلت في الشارع العام دون الاهتمام بصراخ من لا يعرفه لأول وهلة.

لكن لابد من الإشارة هنا إلى أنه بقدر ما هو متواضع ومسامح هو أيضاً صارم بالنسبة لقضية الواجبات والقيام بها على أكمل وجه. إنه أول من يفرض عقاب عادل لأولئك الذين يقصرون في اتمام واجباتهم، وذلك لتجنب الأخطاء التي لا تصحح، إنه يشدد في إعطاء التوجيهات الصارمة للمحافظة على التعايش بين المواطنين واحترام حقوق الناس.

الفضـــائــل:

إذا تركنا جانباً فضيلة الصدق التي يتحلى بها والتي أشرت إليها سابقاً، لابد لي من أن أذكر فضيلة التروي. فبالرغم من رأي البعض بأن بعض تصرفاته تدل على عدم التروي، فإن الحقيقة تختلف عن ذلك تماماً، حيث أن تصرفاته ليست سوى تصرفات رجل قد صمم على مواجهة الأمور بعد إجراء دراسة عميقة لها وبعد التأكد مما إذا كانت عواقبها جيدة أو سيئة، ملائمة أو غير ملائمة.

إن القذافي لا ينسى أبداً تجارب الماضي التي ترتبط بتاريخ بلده ليبيا أو بتاريخ المناطق العربية أو دول العالم كله، باحثاً في كل تجربة عن السبب الرئيسي للنجاح أو للفشل.

إن القائد يدرك تماماً أنه لابد من ربط وتفسير الأحداث التاريخية الهامة لشعبه أو لأي شعب آخر، للتوصل الى استنتاج يستطيع من خلاله تفادي الأخطاء السابقة والتعلم منها.

إن من عادته الإصغاء لكل من يكلمه، و إذا لاحظ شيئاً جديداً خلال الحديث أو أمراً مهماً، لا يتأخر أبداً في طلب تفسير مفصل لذلك.

إنه في قيادته لشعبه وفي ايجاده الحلول لكافة المشكلات الداخلية، وفي صراعه المتواصل مع مصالح العالم الخارجي، يثبت على أنه متعقل وذكي وحذر.

لقد إستطاع القائد بذكائه وحنكته وحذره أن يجد حلولاً لكافة المسائل التي جعلت الجاهيرية تصطدم أكثر من مرة مع القوات الإمبريالية، وذلك طبعاً بسبب النظام الذي تنتهجه الجاهيرية والخط الثوري الذي تسير عليه.

إن القائد يأخذ دائماً بعين الإعتبار تطلعات شعبه ومشكلاته وحاجاته، ويقوم بإجراء دراسة لكافة المعلومات التي تصله عن طريق أمناء الإدارات والمكاتب الشعبية وكافة الإختصاصيين في مختلف المجالات.

وبعد إجراء دراسة عميقة ومفصلة لكافة الأمور يقوم بتحديد أسلوب العمل وبإعطاء التوجيهات اللازمة للأمناء.

ان القذافي يتبع الأسلوب ذاته في حل كافة المشاكل الداخلية والخارجية. وكثيراً ما يبدو وكأنه ليّن في أسلوبه لكنه صارم جداً عندما تتطلب الظروف ذلك. إنه يتميز عن غيره من القادة بعزيمته الجبارة وخاصة عندما تدعو الحاجة لاتخاذ قرارات هامة وحاسمة. فكم هناك من قادة يُظهرون لشعبهم بأنهم يتمتعون بقدرة عالية بينما هم في الواقع ليسوا بقادرين على اتخاذ قرارات حاسمة وعاجلة لأمور تتعلق بمصلحة الشعب نفسه، فيتراجعون الى الوراء ويتخاذلون ثم يختارون الطريق الأسهل وإن كان غير الملائم، وهذا ما يؤدي عادة الى أزمة معقدة يقع فيها هذا الشعب الذي يخضع لقيادتهم السياسية.

إنه قائد عادل، يعمل جاهداً، منذ صدور أول بيان للثورة، على تحقيق العدالة في كافة المجالات وخاصة في مسألة توزيع الإنتاج. كما يعمل على تحقيق العدالة الإجتماعية من أجل المصلحة العامة ومن أجل سعادة شعبه.

إنه رجل شهم، وشجاعته تزيد في تدعيم قوة شعبه وفي دفع قوى الإسلام والأمة العربية نحو تحقيق الأهداف السامية. إنه يرفع راية أولئك الذين يناضلون لتنتصر القضية ليس عن طريق القوة وحسب بل أيضاً بعظمة النفس والروح.

ان كل الإنجازات التي قام بتحقيقها في مجالات الثقافة والتربية والعلوم والفنون والأشغال العامة والإنعاش الإجتماعي بالإضافة الى التغيير الجذري للجهاز الإنتاجي، كلها تتكلم عن شهامته وعن نضاله لتحقيق الازدهار في بلده.

إنه يكره الترف وحياة الرفاهية فهو يعيش حياة تقشف وتديّن. كم وكم يختلف إذن عن أولئك القادة الذين يبذرون ثروات بلادهم ويعيشون حياة فسق وترف في مراكز اللهو العالمية.

إن الجامعات والمستشفيات الضخمة ومعامل التكرير والنهر الصناعي وأعمال التنمية الزراعية وتربية المواشي وشراء أحدث معدات التقنية لتصنيع المواد الغذائية... ليست سوى شاهد صامت على نضال وشهامة هذا القائد العقيد معمر القذافي.

آفـــــاق القــــــائــــــد

إن أي شخص كان، إذا وقف عدة لحظات في صحراء سرت ليرقب حلول العصر، يتأكد من أنه من المستحيل إيجاد حدود دقيقة في الأفق. وكذلك ان من يدرس عن عمق تصورات قائد الثورة وتطلعاته وأحلامه يستطيع التأكد من أن آفاق عظمته ليس لها حد تنتهي عنده.

لقد كان هدفه خلال السنوات الأولى من فترة شبابه تحرير شعبه من الظلم والقهر. وكانت السنوات التي تلتها تزيد في صقل طباعه وفي ترسيخ شخصيته الى أن تفجرت في نفسه تلك الإرادة الجبارة التي مكنته من نقل نسمات الحرية من صحراء سرت الى كافة بقاع الأرض.

ولم تكن تسمية نظريته بعالمية مجرد صدفة، فهدفه هو حمل روح ثورة الفاتح إلى خارج حدود الجماهيرية، ومن هنا أتت هذه التسمية.

لقد كان ذلك في الحسبان، حيث أن هذا القائد الذي لا يهدأ لا يستطيع أن يكون مجرد مشاهد ينظر من بعيد لكل الأحداث التي تهزّ هذا العالم والتي تقوم بها الدول الضخمة لتكبل الشعوب وتمنعها من السير في طريق الحرية الفردية والوطنية.

ولم يكن بإمكان القذافي وهو مسلم متدين أن يقف مكتوف الأيدي أمام الملاحقات والتهجمات على المجتمعات الإسلامية المنتشرة في كافة أنحاء العالم.

هل كان بإمكانه وهو الرجل الثائر أن يدير ظهره للشعب الفلسطيني الشهيد، المطرود من أرضه والذي يعاني بإستمرار من المذابح التي تقوم بتنفيذها قوات الحلف الصهيوني الإمبريالي الذي يضم أحياناً بعض الحكام العملاء في الدول العربية؟

هل كان بإمكانه وهو من يعتز بعروبته أن يقف بعيداً عن مشكلة فلسطين المحتلة وخاصة بعد أن قام الصهاينة بترسيخ الاحتلال وتعزيزه في الأماكن الإسلامية المقدسة وذلك بتأييد الدول الغربية الضخمة وحتى من بعض الدول اليسارية!

وهل كان بإمكانه وهو من فجّر ثورة الفاتح العظيمة أن يقف بعيداً عن تلك المخططات العدوانية التي يتم رسمها وتنفيذها من الخارج لتدمير الثورة واستعباد الشعب العربي الليبي من جديد؟!

إذا كان ردنا على كل هذه التساؤلات بنعم، فلا كان القذافي قذافي، ولا كانت ليبيا اليوم جماهيرية، ولا كان الليبيون أحراراً، بل كانت هذه القطعة الضخمة من القارة الأفريقية أرضاً مستعبدة من قبل شركات النفط المتعددة الجنسيات وعملائها، وكانت أراضيها لا تزال حتى اليوم قاعدة للقوات الامبريالية تنطلق منها لتوجيه الضربات على الدول العربية الشقيقة.

لا وألف لا.. إن القذافي قد ناضل وجسّد بنضاله النظام الجماهيري في ليبيا وسوف يستمر في نضاله حتى آخر رمق من حياته وحتى آخر قطرة دم تجري في عروقه، كي تتحقق الحرية لكافة الشعوب المقهورة في هذا العالم.

بارك الله هذا الرجل الشجاع الذي تذكر في أدق وأصعب ساعات حربنا ضد الامبريالية البريطانية أن هناك حفنة من الجنود الأرجنتينيين البواسل يلقون حتفهم في ساحة القتال التي كانت رقعتها ستشمل المنطقة بكاملها حيث للبريطانيين فيها مصالح كثيرة ومتعددة.

خمس عشرة سنة من العمل الشاق، أي منذ أن تفجرت ثورة الفاتح عام 1969م. والنتائج والإنجازات التي تحققت هي دليل قاطع على قدرة القائد الابداعية.

إن هذه الثورة ترتكز على سلطة لن تستطيع أية قوة في العالم أن تدمرها ألا وهي «سلطة الشعب».

إن الإنجازات التي تحققت تدهش أكثر إذا أخذ بعين الإعتبار تلك الجهود الضخمة، المعنوية والمادية، التي لم توجه لمسائل الجماهيرية الداخلية بل وجهت للخارج وبذلت من أجل تحقيق الدعم الأخوي لشعوب أخرى.

كم من مرة توقفت لأتأمل القضايا التي يناضل القذافي من أجلها، هذا النضال الذي يظهر في كل أعماله لتجسيد الوحدة القومية للعرب، أو لأتأمل السبب في أن يكون القذافي كما يقول «لاتوري دي فيليز» صقر فريد من نوعه.

إن الواقع هو أن القذافي قد حافظ على إخلاصه للقيم التي دافع عنها منذ أن كان في سن المراهقة.. هذه القيم التي كانت بمثابة القاعدة الأساسية للفكر الوحدوي أولاً ولثورة الفاتح ثانياً.

إنه لم يتلاعب قط بالمبادىء الأساسية ولم يخنها أو يساوم بها أبداً، فهي روح حياته التي رهنها من أجل ترميم الحضارة العربية وجعل الإسلام محركاً معنوياً للنضالات الضخمة والقرارات الحاسمة.

لقد درس التاريخ دراسة عميقة، وهو الذي حصل على كافة المعلومات التي هي بمثابة المواد الأولية للعلوم السياسية. لقد تعلم من التجارب الايجابية والسلبية ومن نجاح وفشل الجماهير العربية في مهمتها الثورية.

إن حياته كلها ــ بإستثناء طفولته فقط ــ تشهد على نضاله من أجل قضية الثورة العربية، بالإضافة إلى أنه قد عانى الأمرّين من تصرفات كثيرين من حكام الدول الشقيقة في المنطقة

الذين كانوا يدّعون التضامن معه بينما كانوا في الواقع يطعنوه في ظهره، وتضامنهم لم يكن سوى كلام، ووعودهم لم تكن سوى حبر على ورق.

لقد تفهم القذافي هذا الواقع وحمل على عاتقه مسؤولية تاريخية وهي قيادة الجماهيرية العربية، مؤكداً على سخطه من أولئك الذين يتاجرون بدماء الأبطال والشهداء الذين سقطوا في ساحات القتال دفاعاً عن القيم القومية العليا، لتحقيق مصالحهم الشخصية.

ان القائد يعمل باستمرار على تفجير الطاقات الثورية العربية التي تنمو وتنتشر رغم محاربة الامبريالية لها، التي لا تريد أن تتوحد الأمة العربية وتستقل كلياً. إنه يناضل لإنقاذ قضية دفنتها خيانات ومؤامرات أكثر حكام وقادة الدول الشقيقة.

إن القائد قد أضاف لدروس التاريخ عملية تبني مقاييس جديدة ظهرت بعد عملية التطهير العقائدي والاستراتيجي لكافة التركيبات البالية. فزود الحركة الثورية العربية بتوجيه موضوعي واضح.

إن القضية الفلسطينية بطريقها المغروس بالأشواك، هي كالزجاج الشفاف الذي يمكن عبره مراقبة درجة ولاء الحكام العرب لأكثر شعوب الأمة العربية تألماً.. الشعب الفلسطيني.

إن القذافي، وبدون أي شك، هو الرجل الذي يحافظ دائماً على إخلاصه ووفائه لهذه القضية، وبدون أي تردد. إن الدفاع عن القضية الفلسطينية هو بالنسبة له واجب يتطلب الاهتمام الدائم. إنه لا يبخل بتقديم المساعدات غير المحدودة لكافة القوى المناضلة.

لقد كان ومازال أحد الداعين لرفع مستوى النضال من أجل تحرير فلسطين لدرجة الدخول في حرب حاسمة، أي الإنتصار أو الموت دون أي نوع من التنازل أو الاستسلام.

إنه اذا اصطدم مرة ببعض القادة الفلسطينيين فلأنه لا يرضى ولا يسمح لهؤلاء بأن يحولوا مسؤولياتهم القيادية الثورية الى انقياد وخضوع لأولئك الذين يملأون لهم جيوبهم بالدولارات كي يحسنوا نظرتهم تجاه الرجعية والإمبريالية، ولا داعي هنا لذكر أية أسماء، فهي معروفة لدى الجميع وأعمالهم لا تغفل على أحد.

إن تحرير فلسطين هو أمر يحتل المرتبة الأولى في آفاق القائد، وهو أحد أسمى أهداف ثورة الفاتح التي سميت بعملية «القدس» نسبة الى المدينة التي توجد فيها الأماكن المقدسة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين، والتي احتلها الصهاينة واختاروها عاصمة لكيانهم وهذا طبعاً خرق للقوانين الدولية ولميثاق الأمم المتحدة.

لقد كان بإمكان القذافي أن يحصر كافة الجهود الثورية ضمن إطار ليبيا ولمصلحة الشعب الليبي فقط، وهذا أمر لا يستطيع أي مسؤول عربي أو غير عربي أن يلومه عليه. لكن القذافي، الرجل الثوري الحقيقي، لا يرضى ولن يرضى أبداً بأن لا تكون مسألة تحرير فلسطين ضمن مبادىء وأهداف هذه الثورة العربية: ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة.

لقد تعلم القائد من التجارب الماضية وعرف أنه كي يتجنب الجمود الثوري لابد من القيام

بأعمال ترعب أحياناً جميع القادة العرب، ومن أهمها تسليم السلطة للشعب كي يكون هو نفسه صانع قراراته وليس دمية في يد حاكم مستبد. فهكذا يتحمل الشعب مسؤوليته التامة بالنضال وبتقنين طاقاته بصورة عملية وبتزويد القيادة بكافة المعلومات المتعلقة بعلم القوى المتوازنة للنظام الإجتماعي وللعلاقات المتبدلة مع دراسة تطوراتها للتحكم بمسيرة وحيوية فعالة.

إن أولئك القادة الذين ينتقدون القذافي يجهلون تماماً الواقع الداخلي للجماهيرية، بل أكثر من ذلك، إنهم في ممارستهم للقيادة في بلادهم يعاملون شعوبهم وكأنها غير قادرة على ممارسة حريتها بصورة صحيحة أو غير قادرة على التعبير عن رأيها أو الإعلان عن مشاكلها الإجتماعية بشكل صحيح، أوكأنها مجرد آلة ليس عليها سوى تلقي الأوامر وتنفيذها.

إن القذافي يدرك تماماً أن هؤلاء الحكام والقادة، ليسوا قادرين على قيادة شعوبهم في مسيرة النضال الوحدوي لتحقيق النصر للأمة العربية.

وهنا لا يعني إلا أن أتساءل كيف بإمكان هؤلاء الأشخاص أن يعالجوا الأمور بحكمة وببراعة طالما أنهم فقدوا سلطتهم نتيجة ضعفهم وتحيزاتهم وعدم إيمانهم بالأعمال الثورية؟!

وفي آفاق القائد أيضاً بذل جهود مضنية لاستئصال داء الأقليمية المبنية على الانشقاقات التي خلقتها الدول الاستعمارية لتمزق الأمة العربية. فقسمتها الى دول عديدة ووضعت بينها أعداء طامعين، كي لا يتفق أحد مع أحد، ولكي يتم إبعاد أية إمكانية توصل الى تحقيق الوحدة بين هذه الدول.

لقد باءت كل محاولاته السابقة بالفشل، لكن القائد يعيد الكرة مرات ومرات لتحقيق الوحدة مع دول شقيقة، فبالأمس مع مصر وسوريا والسودان، واليوم مع المغرب وغداً الجزائر وبعد غد مع تونس... إن فكرة تحقيق الوحدة لا تفارقه أبداً، وبكل تأكيد لن يتوقف عن القيام بمحاولات لتحقيقها حتى آخر لحظة من حياته.

إن الوحدة العربية هي حلم من أحلامه الكبرى، ولن يترك طريقاً الا وسيتبعه أو جهداً الا وسيبذله لتحقيقها مهما واجهه من صعوبات وضغوط يفرضها عليه أعداؤه الذين هم أعداء الإسلام وأعداء الأمة العربية وأعداء الثورة الفلسطينية.

ان القائد يعتبر الحركة الثورية في ليبيا هي الحركة التي تحمل على عاتقها مهمة قومية وعالمية لا تعترف بحدود ولا تقبل بالأساليب التقليدية في النضال.

إنها تهدف إلى تحقيق التدمير الكامل للعدو الذي لا يعرف الشفقة والرحمة حيث أن القتل والرشوة والخيانة هي أسلحته المفضلة..

إن الجماهيرية تستخدم كافة أساليب القتال وبكل أنواع الأسلحة وتعمل على تحقيق النصر عن طريق الحرب الشاملة، فالقذافي يعرف تماماً أن الحوار مع هذا النوع من الأعداء يعني تثبيت الهزيمة والإعتراف بها.

ولابد من الإشارة هنا إلى موقف الدول الإستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى ومعاملتها السيئة لحلفائها من القادة العرب الذين قدموا لها الدعم خلال تلك الحرب ووقفوا الى جانبها. إنها إذا كانت تعامل أصدقاءها وحلفاءها بهذا الشكل، فكيف ستعامل أعداءها؟

إن إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هي أهم مسارح عمليات بالنسبة للقذافي حيث أنه يعرف تماماً أن هذه الشعوب تضطر لحمل السلاح لمواجهة التكتلات الضخمة للدول المنحازة للرأسمالية وللشيوعية العالمية.

إنهم مخطئون جداً أولئك الذين يؤكدون على أن الجماهيرية هي قمر صناعي للاتحاد السوفياتي أو إمتداد لحلف وارسو في منطقة شمال افريقيا. لا وجود في الجماهيرية لأية قواعد عسكرية أجنبية أو أية أساطيل بحرية سوفياتية، خلافاً لما يحصل في عدة دول أوروبية تدّعي بأنها مستقلة بينما هي في الواقع تخضع من الناحية الأمنية لقرارات ومصالح منظمة حلف شمال الأطلسي بشكل عام ولقرارات أمريكا ومصالحها بشكل خاص.

وبالإضافة الى أن القذافي يوجه انتقادات للنظام الشيوعي فإن المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر قد أصدر دراسة رسمية للكتاب الأخضر يشرح فيها هذا الكتاب بالتفصيل ويعلن فيها التشابه بين النظامين الرأسمالي والشيوعي اللذان يفترض أن يكونا متناقضين فيما بينهما. وتؤكد هذه الدراسة التي سنأتي على ذكرها في الفصول اللاحقة، على أن الرأسمالية والشيوعية هما في الواقع وجهان لعملة واحدة.

وتحمل هذه الدراسة عنوان «شروح الكتاب الأخضر»، و إننا إذ نذكر بعض الفقرات من هذا الكتاب فلأننا نهدف من ذلك إلى إزالة أية شكوك حول الروح والكلمة اللتين تحثان القائد على السير قدماً نحو تحقيق حلمه بتحرير الشعوب المقهورة.

يقول الكتاب: «فالحكومة في ظل مجتمع الرأسمالية تحتفظ بالسلطة السياسية والإقتصادية لخدمة النظام الرأسمالي ولا يمكنها أن تكون محايدة بينه وبين أي نظام يمكن أن ينشأ على أنقاضه، فهي تلتزم بالحفاظ على التركيبة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في مجتمع الطبقة الرأسمالية بما يضمن استمرار المصالح الإقتصادية و إستثمار النشاط الإقتصادي لمصلحة الرأسمالية.

وهو ذات الدور المنوط بالحكومة الماركسية، فمهمتها هي الحيلولة دون قيام نظام بديل عن الماركسية، ومحاربة القوى المضادة لها بالإضافة الى قيامها بتثبيت رأسمالية الدولة وحمايتها، مما يجعل خلق أداة سياسية لتحقيق ذلك ضرورياً. وهنا نشأت دكتاتورية الحزب الشيوعي على المجتمع.

والنتيجة، إنه ليس هناك اعتبار للديمقراطية في النظامين كليهما. بل إن الاعتبار كله ينصب على تأكيد المصالح الإقتصادية للطرف السيد، وهو الطبقة الرأسمالية في المجتمع الرأسمالي والحكومة الرأسمالية في المجتمع الماركسي. واذا تفحصنا الجانب السياسي في النموذجين نجد أنهما

يتماثلان كلياً إذا استثنينا بعض الفروقات الشكلية. فمثلاً نجد في النموذج الأول شعباً وحكومة، كذلك نجد في النموذج الثاني شعباً وحكومة، كما نجد تماثلاً شديداً فيما يخص الشرطة والجيش وغير ذلك من الإدارات الحكومية..

وحتى إذا كانت الحكومة في النموذج الأول تصنعها الطبقة الرأسمالية لخدمة مصالحها والمحافظة على استثماراتها. فإن الحكومة في النموذج الثاني هي أيضاً لا يخلقها الشعب بل هي حكومة الحزب الماركسي».

إن القائد قد دشّن في الجماهيرية ما أسماه «عصر الجماهير»، وهو ما وصفه اللواء بيرون بساعة الشعوب.

إن عصر الجماهير بالنسبة للقائد هو حجر الأساس للثورة وهو محرك التاريخ. كما أن ضمّ الجماهير العربية للجماهيرية لتوجيهها نحو تحقيق النصر النهائي للثورة العربية هو أيضاً نقطة أساسية في آفاق القائد، هذه الآفاق التي لا تعرف اللون «الأحمر» إلا في إنعكاس أشعة الشمس عند الغروب في صحراء سرت، واللون الوحيد للراية التي يحملها القائد ومعه القوى المناضلة التي يقودها، هو لون الخصب والسلام والإسلام «الأخضر».



النـظــــريَّـــة



□ أسس وأركان النظرية العالمية الثالثة □

تمهيد لدراسة النظرية العالمية الثالثة:

إن الجماهيرية تؤكد في كافة الوثائق التي تعبر عن «سلطة الشعب» وعن فكر قائد الثورة طبعاً، على أن النظرية العالمية الثالثة لا تعتبر عملاً مختلفاً أو إبداعياً أو خيالياً، بل هي تعبير شامل لمبادىء ومثل عليا جاءت نتاجاً لكفاح الشعوب على مرّ العصور في معركة الحرية صاغها المفكر الثائر معمر القذافي وأعطاها البعد الإنساني العالمي.

إن النظرية العالمية الثالثة تتمتع بقوة معنوية ضخمة، والفضل في ذلك يعود للقيم الروحية العليا التي أحيتها والتي بإمكان أي رجل أو إمرأة أن يتقبلها رغم اختلاف معتقداتهم الدينية. لهذا طرحها القائد كنقطة انطلاق لحل المشكلات الكبرى من ثقافية وسياسية و إجتماعية و إقتصادية وعسكرية، وهي ما نواجهها في عصرنا هذا.

زد على ذلك المشاركة الشعبية وممارسة السلطة من قبل الشعب، اللتين تعتبران قاعدة العدالة في المجال السياسي.

يضاف إلى ذلك أيضاً أن الإشتراكية في ليبيا هي أيضاً التعبير عن العدالة الإجتماعية في المجال الإقتصادي، كما أن النضال المسلح لسحق الإمبريالية بكل أشكالها هو الأسلوب الوحيد الذي يحقق السلام الحقيقي لكافة الشعوب.

إن القائد يرفض رفضاً قاطعاً كل ما هو متعلق أو مرتبط بشكل أو بآخر بالإستعمارين القديم والحديث وبالإمبريالية.. وهذا ما يحمله بالطبع على رفض كل النظريات المادية الموجودة في العالم.

إن القذافي يعتبر الحياة الدنيوية إمتداداً للمبادىء وللقوى وللقدرات السماوية ما فوق العادية. لهذا يرفض أي نوع من التثنية بين ما هو روحي، وما هو مادي وبين ما هو مقدس، وما هو علماني.

إنه لمن المستحيل تغيّر مفاهيم القذافي الأساسية وجوهرها على مرّ الزمن، رغم أن هناك من يؤكد العكس، فقد قال أحد الصحفيين المعروفين منذ مدة قصيرة أن القذافي «قد تغيّر كثيراً.. إنه الآن مادي وعلمي»...

إن القائد في دفاعه عن نظريته يقول أن النظرية العالمية الثالثة ليست من صنع الإنسان فقط وقاعدتها الوحيدة هي الحقيقة. ويقول أيضاً: «هناك فارق شاسع بين الحقيقة وبين النظرية.. فالنظرية تخضع لتغييرات وتعديلات بينما الحقيقة ثابتة لا تتغير».

ويقول أيضاً: «هذه هي شريعة الله، الحقيقة هي دائماً واحدة أبدية لا تتغير. ليست ملكاً خاصاً لدولة أو لفرد: إنها ملك للإنسانية جمعاء. بينما النظرية تستخدم لمصلحة جماعة معينة أو مجموعة من الأفراد. إن الفلسفة تتوقف عند الحدود السياسية وحدود الدول والشعوب، لكن الدين لا يعرف حدوداً سياسية يتوقف عندها. إن الإيمان والحقيقة ملك للجميع، والنظرية يمكن أن تصلح لطرح فكرة، والفلسفة هي لخدمة أغراض البعض.

إن المجتمع الإسرائيلي مثلاً، يرتكز على مبدأ العنصرية وفلسفة صهيونية تعتبر الاسرائيليين شعب الله المختار والشعب الذي يتمتع بحق العيش على أنقاض شعوب أخرى.

إن هذه الايديولوجية قد ترجمت إلى الواقع، إنها فلسفة عنصرية صهيونية تخدم مصالح جماعة معينة على حساب جماعات أخرى. إن القومية اليهودية تهدف إلى جمع اليهود وتشكيل شعب واحد ذو جنسية واحدة. هذا هو مفهوم هذه القومية: إن هذا الشعب يجب أن يكون شعباً عدوانياً ومصمماً على العيش على حساب دول أخرى تحيط به. لكن الإيمان لا يقبل بهذا على الإطلاق».

ويعلن القذافي «إن القومية العربية لا تنتهج الأسلوب نفسه لأنها ليست عدوانية ولا تعيش على حساب الغير. إنها تتمتع بميول طبيعية نحو التعايش السلمي مع شعوب أخرى، والمبرر الذي تجده لتفسير تعايشها هو التطلع نحو حقوق الشعوب الأخرى والتعاون معها بأسلوب إنساني، الأمر الذي يعود بالخير على الأمة العربية وعلى باقي الدول».

ويقول القائد أيضاً: «من المهم جداً أن نعلن أن الإعلام الإمبريالي الغربي الذي تسيطر عليه الصهيونية يقوم بإطلاق التحديات ضد القومية العربية وضد الإسلام كما وأيضاً ضد الإشتراكية، بالإضافة الى أنه يشكك بنظرية العالم الثالث».

ولإزالة أية شكوك حول القاعدة الدينية التي تعطي الحياة للنظرية العالمية الثالثة، يكفي أن نذكر فقرة بارزة من «الإعلان عن قيام سلطة الشعب» وبنده الثاني الذي يؤكد على أن كتاب المسلمين المقدس (القرآن الكريم) هو شريعة المجتمع في الجماهيرية.

وتنص هذه الفقرة على ما يلي: «إن الشعب العربي الليبي وقد استرد بالثورة زمام أمره، وملك مقدرات يومه وغده، مستعيناً بالله متمسكاً بكتابه الكريم أبداً مصدراً للهداية وشريعة للمجتمع، يصدر هذا الإعلان إيذاناً بقيام سلطة الشعب، ويبشر شعوب الأرض بانبلاج فجر عصر الجماهير».

أما الفقرة الثانية فتنص على ما يلي: «القرآن الكريم هو شريعة المجتمع في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية».

ولإعطاء تفسير للعلاقة الموجودة بالنسبة للقائد بين الكتب المقدسة والنظرية العالمية الثالثة وقيمة الدين كنقطة إنطلاق لأي قانون، لابد من ذكر مفاهيم قيّمة أخرى.

يقول القذافي: «إن القرآن الكريم يأتي في عدة آيات على ذكر كثيرين ممن إنقذهم الدين من الظلام وحملهم إلى النور». ويقول «إن الظلام هنا لا يقصد به ظلام الليل والنور لا يقصد به نور النهار مشيراً إلى الغموض الذي يخيم على وجود الكون الذي لا تفسير له».

ويقول القذافي مديناً بعض التيارات الدينية: «ان الدين قد ذهب الى أبعد من ذلك وأكد على أن كل هذه الأشياء قد خلقها الله. لهذا، إننا في هذا البلد لا نرغب بمدارس الوجودية ولا بالصهاينة ولا بالمستعمرين وخططهم المؤذية».

ويؤكد أيضاً على أن الإنسانية تتطلب ديناً وكتاباً مقدساً لتحقيق وحدتها، ونظرية لاسترجاعها.

وبالنسبة للنظرية العالمية الثالثة أن الدين والقومية هما فقط المحركان اللذان يصنعان التاريخ ويحملان الدول على وجودها النهائي.

إنه من المهم جداً أن نركز بإصرار، وخاصة بالنسبة لأولئك الذي يعتقدون أن العقيد القذافي هو متعصب دينياً وبأنه طرح نظريته للمسلمين فقط، على أن القذافي في الواقع قد طرح هذه النظرية لكي تطبق في أي مكان من العالم ومن قبل أي شعب من الشعوب دون أن يضع أية فوارق دينية وعنصرية.

كيف تم تطبيق هذا في الجماهيرية؟.. لقد تم بخلق و إنشاء مؤسسات اجتماعية.

أسس الأمس.. وللأبد:

إن هذه الأسس هي أركان الأمس ولكنها ستبقى إلى الأبد لأنها تستند الى الحقيقة التي قال عنها القذافي بأنها واحدة خالدة لا تتغير. ولن يتمكن أحد من تغيير هذه الأسس دون تحدي هذه الحقيقة التي يدافع عنها قائد الثورة بكل قوّته.. هذه الثورة التي تتطلب، لمواجهة هجمات من يرغب بتدميرها أو بتجميدها، أن لا تتفسخ تلك الطاقة وذلك التماسك اللذان منحاها الحياة والقوة.

إن البيانات الليبية قد ذكرت منذ سنوات عديدة وقبل ظهور «الكتاب الأخضر» هذه الأسس للنظرية العالمية الثالثة التي مازالت تتمتع بواقعيتها والتي لابد من التطرق إليها لكي يكون هناك تمهيد أفضل لهذه الدراسة المفصلة ولفهمها بصورة أسهل في الفصول اللاحقة.

على صعيد السياسة الدولية، «حياد إيجابي» و«عدم إنحياز» بالإضافة «للتعايش السلمي».

على صعيد السياسة الوطنية، تنادي النظرية العالمية الثالثة بتحقيق سلطة الشعب عن طريق المؤتمرات واللجان الشعبية.

على الصعيد الإقتصادي، تطبيق الاشتراكية لتحقيق العدالة الإجتماعية.

على الصعيد الديني، تؤكد النظرية على أن التعاليم الدينية تنص على الأركان الأساسية للإنسجام بين الوجود الإلهي والدنيوي وأن العلم الحديث يجب أن ينتشر ضمن إطار ما تنصّ عليه الكتب السماوية.
على الصعيد الإجتماعي، تعتبر الدين والعرف شريعة لكل المجتمعات. وتؤكد على أن الدين والقومية هما العاملان المحركان لصنع التاريخ.. لهذا يجب الدفاع عنهما ومعالجتهما باحترام مطلق.
على الصعيد الفلسفي، تؤكد على حتمية الصراع بين الخير والشر، وهذا الصراع يعود إلى القضاء الإلهي.
على الصعيد العام، وفقاً لكل الأسس المطروحة، تؤكد النظرية العالمية الثالثة على أن الدين يحث على الخلق، والقومية على السلام والاشتراكية على العدالة الإجتماعية والثورة الشعبية على السلطة الشعبية.

سوابق تاريخية:

بعد الحرب العالمية الثانية التي هزمت فيها قوات الحلفاء المانيا وايطاليا واليابان، ظهر في العالم ـ كما قال بيرون ـ طرف ثالث في النزاع نتيجة رفضه الانضمام لأحد «أفلاك النفوذ» التي تتزعمها واشنطن وموسكو.

ان الشعوب الكثيرة التي تمكنت من نيل استقلالها، بفضل زوال نظام السيطرة الاستعمارية الذي كان يوجد قبل الحرب العالمية الثانية والذي شمل أيضاً بعض الدول المنتصرة، بدأت بالإعلان عن احتجاجها لسياسة الهيمنة التي كانت تنتهجها الدول الأوروبية والتي كانت لفترة خلت تعاملها معاملة السيّد للعبد.

ان هذه الشعوب قد أدركت أيضاً الخطر الذي كان يكمن في أي نوع من الالتزام مع الاتحاد السوفياتي نظراً للوضع الذي كانت تعيشه دول أوروبا الشرقية.

ربما لهذا السبب، ولأنه عندما بدأ يظهر في آسيا المدّ الشيوعي حيث كانت الصين تعاني آنذاك من الاضطرابات الداخلية، كانت فكرة تشكيل تكتل ثالث تثير إهتمام عدد كبير من السياسيين.

وفي أمريكا اللاتينية ظهرت فكرة العدالة التي وضعها اللواء (خوان دومنجو بيرون) الذي وصل للحكم في الأرجنتين وفقاً لإرادة الشعب الذي فجر الحدث الثوري بتاريخ 17 من شهر التمور (أكتوبر) عام 1945م. وحمل هذا المنهج العقائدي الذي كان قائد الشعب الأرجنتيني يصقله شيئاً فشيئاً حتى موته عام 1974م. والذي سماه «موقف العدالة الثالث». وأحدث هذا المنهج تغييرات عميقة في المجالات الثقافية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية، الى أن وقع في شهر الفاتح (سبتمبر) عام 1955م. انقلاب عسكري ارتكز على تكتل القوى الليبرالية

والماركسية وأطاح بحكم اللواء بيرون الأمر الذي أغرق هذا البلد في دوامة من الفوضى والتفكك.

وكانت كوريا آنذاك والهند الصينية وأندونيسيا والهند تبحث بجدّ وباندفاع عن الطريق الذي يسمح لها ببناء سياسة مستقلة عن نفوذ وضغوط مراكز السلطة العالمية.

وبدأت الأمة العربية تستيقظ من غفوتها الطويلة التي كانت قد بدأت منذ عدة قرون بتفكك دولتها الكبيرة وقيام الإمبراطورية العثمانية التي حلت محلها فيما بعد امبريالية الدول التي هزمتها خلال الحرب العالمية الأولى مثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا.

وساعدت الثورة المصرية التي حدثت بتاريخ 23 من شهر ناصر (يوليو) من عام 1952م. في التأثير بصورة ملحوظة والدفع لتشكيل تكتل يعارض كل تحيز للرأسمالية أو للشيوعية العالمية وذلك عبر فكر قائدها المقدم جمال عبد الناصر.

ويمكن التأكيد على أنه بعد أيام صلاح الدين الأيوبي وحتى قيام الثورة العربية في مصر التي هزت الأمة العربية بأسرها، لم يتمكن أحد من حمل هذه الأمة على لعب دور عالمي مثلما فعل جمال عبد الناصر.

لقد كان الرجل الفذّ قائد «حركة الضباط الأحرار» يهدف بالإضافة إلى الإطاحة بعرش الملك الفاسد فاروق، تأسيس جمهورية قومية واشتراكية تكون بمثابة المقر والمصدر والقوة للترميم القومي العربي.

لقد عمل بيرون وعبد الناصر معاً على تحقيق الصداقة والتضامن بين أمريكا اللاتينية والأمة العربية، وتحويل هذا الحلم الى واقع يدعم رياح الاستقلال والتحرر التي كانت تعصف في هاتين المنطقتين رغم المسافات الشاسعة التي تفصلهما عن بعضهما.

كان هناك تقدير كبير بين القائدين الأرجنتيني والمصري، ويجب أن لا ننسى أن اللواء بيرون قد ذكر عبد الناصر مرات عديدة في كتب ومقالات ومحاضرات.

وجاء الانقلاب الذي أطاح باللواء بيرون عام 1955م. ليمنع الأرجنتين من تطوير التقارب بينها وبين الأمة العربية ومن تدعيم نضالها ضد الإئتلاف الصهيوني الإمبريالي الذي كان قد احتل فلسطين.

ويمكن وصف السياسة الداخلية المصرية أيام عبد الناصر بسياسة اشتراكية قومية ترتكز على روح العدالة الإجتماعية.

أما على صعيد السياسة الدولية فقد إنتهج عبد الناصر سياسة التعايش السلمي والحياد الإيجابي وعدم الإنحياز.. وهذه هي قاعدة السياسة الخارجية الليبية منذ قيام ثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969م.

وشارك عبد الناصر ونهرو وسوكارنو في مؤتمر «باندونج» الذي عقد خلال شهر ناصر (يوليو) من عام 1955م.. وبدأت منذ ذلك الحين ترسخ الأسس النهائية لتشكيل تكتل دول

عدم الإنحياز. كما كان هذ السياسي العربي المصري أحد الذين عملوا على تحقيق التضامن الإفريقي الآسيوي وعلى نزع السلاح والحد من الأسلحة النووية.

وبغض النظر عن كل الخلافات التي كانت تنتج عن تباين آرائه مع آراء بعض القادة العرب، كان عبد الناصر يوجه أعماله دائماً نحو تحقيق الوحدة العربية القومية والنهضة الإسلامية. وعمل أيضاً على استخدام سلاح النفط كما فعل العقيد القذافي فيما بعد لسحق تعجرف مراكز السلطة العالمية والشركات متعددة الجنسيات.

ولقد قال عبد الناصر بهذا الصدد: «إن عملية توحيد أربعمئة مليون مسلم هي مهمة تنتظر رجلاً مؤهلاً للقيام بها. إننا نحن... ونحن فقط... من اختاره الماضي للقيام بهذا الدور.. والنفط سيكون الحربة بالنسبة لهذا العالم».

وبعد وفاة عبد الناصر، وفي ظروف عربية صعبة جداً، قامت ثورة الفاتح أمام الأمة العربية وأمام العالم كله، بتحمل المسؤولية التاريخية وهي رفع رايات الزعيم العربي الراحل بوجه خلفه أنور السادات الذي كان عميلاً للامبريالية الرأسمالية ومتآمراً مع سفاكي الدماء من قادة الكيان الصهيوني.

ولابد أن نكون عادلين مع العقيد القذافي الذي و إن كان الابن الروحي لعبد الناصر حيث تأثر هو وزملاؤه الوحدويون بفكره وعمله الثوري، فإن نظريته العالمية الثالثة ليست ولا بشكل من الأشكال صياغة جديدة لفكر الزعيم المصري جمال عبد الناصر.

وربما كان فكر عبد الناصر أحد أكبر مصادر فكر القذافي، وخاصة ما ورد من أفكار في كتابه الذي يحمل عنوان «فلسفة الثورة».. لكن النظرية العالمية الثالثة تنبع بصورة رئيسية من نضال الشعوب على مرّ التاريخ ضد العسف والقهر والتسلط أياً كان مصدرها.

إن ما يثير الإعجاب بقائد الثورة هو أنه، في الوقت الذي يقوم فيه رؤساء الدول والحكومات وقادة السياسة العالمية بتغيير إيديولوجياتهم وفق مصالحهم الذاتية الآنية أو ببيعها لأفضل مزايد، يثابر هو في الدفاع عن المبادىء التي أعلنت عنها ثورة الفاتح في بيانها الثوري الأول الذي ذكرنا نصه سابقاً.

النظرية العالمية الثالثة والسياسة الليبية الخارجية:

لقد قلنا سابقاً وبإيجاز أن السياسة الخارجية الليبية ترتكز على ثلاثة مبادىء هي: «الحياد الإيجابي» و«عدم الإنحياز» و«التعايش السلمي».

ويلتقي بعض الكتاب في التأكيد على أن «الحياد الإيجابي» هو نفسه «عدم الإنحياز»، لكن فكر القذافي يتطابق مع فكر أشهر الدارسين للقانون الدولي الذين يؤكدون على وجود فارق واضح بين هذين المبدأين.

وقد شرحت في كتابي السابق أن «الحياد الإيجابي» هو تعبير يستعمل بشكل خاص في

حالة الأزمات المسلحة وذلك وفقاً لما ينص عليه معجم القانون الدولي. و«عدم الإنحياز» هو في الواقع تصرف سياسي يقوم به عادة أولئك الذين يتمسكون به في زمن الحرب كما في زمن السلم، وليس هو بالضرورة نظام سياسي دولي حيث يمكن أن يتواجد مع نوع آخر من الأنظمة أو حتى مع أنظمة التكتلات الضخمة.

لهذا فإن أي دولة تدافع عن عدم إنحيازها أمام التكتلات الضخمة بإمكانها التعبير عن موقفها أمام أفكار متناقضة وفقاً لأهمية كل حالة وعلى أساس الدفاع عن مصالحها الوطنية.

ويؤكد عدد كبير من المحللين السياسيين على أن السياسة الخارجية الليبية تنحصر ضمن إطار استراتيجية النفوذ السوفياتي مستخدمين كدليل على ذلك مسألة «التعايش السلمي»، وهذا أمر خاطىء، لأنه و إن كان اسم هذا الفكر وتطبيقه الأولي من مصدر سوفياتي فإنه حالياً وفي الحياة السياسية الدولية، واقع تقبلته كل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الفكر الليبي، في الواقع، يستجيب للتعبير الشرعي عن «التعايش السلمي»، وقد تم وضعه لتقويم التنازع بين الدول ذات الأنظمة الاشتراكية المختلفة كما هو الحال بالنسبة للإتفاق الصيني ـ الهندي الذي تم توقيعه عام 1954م عقب أحداث «التيبت».

إن النظرية العالمية الثالثة لم تتغير خلال السنوات الأخيرة، بل على العكس، فكل موقف لسلطة الشعب هو تأكيد جديد على صلاحية وواقعية مبادئها.

وبالنسبة لسياسة التكتلات والرأسمالية والشيوعية العالمية، يؤكد العقيد القذافي في سلسلة من المفاهيم سنذكرها حرفياً، على ما يلي:

«لا وجود لذلك العالم الحرّ الذي تقوده وتسيطر عليه أمريكا، كما لا وجود لجبهة مشتركة ضدّ الامبريالية يقودها الاتحاد السوفياتي، لأن أمريكا هي كالاتحاد السوفياتي، دول امبريالية تعمل على تحقيق مطامعها بتوسيع رقعة نفوذها».

عند قيام الثورة كان على ليبيا أن تحدد موقفها. وهكذا رفضت هاتين الدولتين أمريكا وروسيا، لكنها حافظت على علاقات عادية وتبادل مشترك مع الدولتين.

لقد حذرت أنا شخصياً الأمة العربية في مؤتمرات عديدة بأن ثورتنا لن تتخذ خطأً غير صحيح، وبأننا لن نتردد عن إظهار الأمور على حقيقتها. فالشيوعية سوف نناديها شيوعية، والرأسمالية سوف نناديها رأسمالية.

«إن الشيوعية تطلب من الإنسان أن ينفي وجود الله لتحوله الى شيوعي.

«ليس هناك أي مشكلة بالنسبة لعلاقاتنا الدبلوماسية مع أمريكا. كما أننا نعارض أي التزام مع الشيوعية حول أمور تتعلق بالدين الإسلامي.

مرة أخرى أقول لكم أنتم الصحفيين والكتاب بأنه عليكم أن تنشروا الحقيقة حول الشيوعية في كتبكم وصحفكم. لا خوف أبداً بالنسبة للأسلحة التي يمدوننا بها، فانهم

سيواصلون ذلك حتى ولو قاتلنا ضدهم.. إن ما يريدونه هو مصلحتهم.. إنهم تجار.. إن الاتحاد السوفياتي يحاول أن يخدع الناس وأن يشوه التاريخ مؤكداً على أن القومية والدين هما من نوع الخيال. إن الهدف الرئيسي من ذلك هو المحافظة على وحدة الاتحاد السوفياتي. لا علاقة لهم بالفلسفة أو بالماركسية اللينينية أو بمصلحة الطبقة الكادحة.

ان نفي وجود القومية في هذا العالم وفي التاريخ، هو تلفيق وتزييف. وهذا يحصل بهدف الحفاظ على وحدة جمهوريات الاتحاد السوفياتي، لأننا كلنا نعرف بان الاتحاد السوفياتي يضم جنسيات مختلفة، ولو ان الاتحاد السوفياتي يعترف بالقومية لكانت كل واحدة من هذه الجمهوريات تعمل على تحقيق استقلالها.

إننا اشتراكيون لكننا قبل ذلك، وقبل كل شيء، مسلمون.. ان الاشتراكية لا تعني الشيوعية..

ان أمريكا اذا تزعمت قوى الشرّ في هذا العالم، فهل قامت على الأقل بتحقيق سعادة شعبها؟ أبداً.. ان سكان أمريكا أنفسهم قد تعبوا من هذا النظام. إن أغلبية الشعب قد ملّوا من هذا النظام، بالإضافة الى كل أولئك الأشخاص الذي ينتحرون بواسطة المواد السامة، وهذا أكبر دليل على أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع مملّ.

وهناك أيضاً أولئك الأشخاص الذين يعملون على الهرب خارج حدود الستار الحديدي، وهذا دليل على أنهم قد ملوا من مجتمعهم.

ان الشيوعية تعتبر الإلحاد كقاعدة للحياة الإنسانية، وتطلق هذا المبدأ الى كل أنحاء العالم. إنها نظرة خاطئة لا يمكن أن تحيا طويلاً.

ان العلم و إن حقق اكتشافات، فإن الحقيقة لا تتغير على مرّ الزمن، لقد كانت وستبقى هكذا دائماً، هناك قوة غير عادية خلف وجود هذا العالم وهي الله..

ان أي مجتمع إنساني، لا يستطيع العيش بدون إيمان.

ولتجنب هذه المشكلة الاجتماعية التي يعاني منها جزء كبير من هذا العالم، قامت ليبيا بطرح نظرية تهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان.. أي إنسان.. واعتبرت هذه النظرية نقطة انطلاق لكل نشاطاتها السياسية الداخلية والخارجية».

هذا هو القذافي الذي يتهمه البعض بالمادية العلمية، وبأنه عنصر رئيسي في استراتيجية التدخل السوفياتي في افريقيا وفي الوطن العربي، وبأنه إرهابي على مستوى دولي.

إنه رجل متواضع لم يتغير، هو إبن وأخ وأب وزوج مثالي.. إنه قائد يتميز بروحه الطيبة وبإيمانه الديني وبشخصية مميزة منذ صغره، إنه جندي كان بإمكانه أن يحتفظ بالسلطة في يده، لكنه سلمها للشعب.

إننا، و إن عرضنا في هذا الفصل بعض الخطوط النظرية فقط حول القائد وحول ثورة الفاتح، نرى أنه من المهم جداً معرفة رأيه حول الصهيونية التي هي الذراع المسلح لليهودية

الدولية التي تعمل على تحقيق السيطرة العالمية معتبرة فلسطين المحتلة مركزاً لأعمالها ولتحقيق أهدافها الاستعمارية.

ويقول القذافي: «إن الكيان الصهيوني يضم اليوم ثلاثة ملايين يهودي، كما أن عدد الفلسطينيين العرب المشتتين في كل العالم هو أيضاً ثلاثة ملايين. ان حلم اسرائيل الكبير هو جمع حوالي 15 مليون يهودي في دولة واحدة (أي اسرائيل الكبرى) تمتد أراضيها من الفرات إلى النيل، يعني زوال 15 مليون عربي أي سكان فلسطين والأردن ولبنان وسوريا وشرق مصر وشمال السعودية وغرب العراق.. هل يعتبر هذا العمل لمصلحة البشرية؟..

لقد أكد القذافي في مناسبات عديدة، منذ قيام ثورة الفاتح، على أن الانتصار على الصهيونية هو انتصار للبشرية جمعاء على ألدّ أعدائها، وأن نضال الشعب الفلسطيني بعد قرارات الأمم المتحدة هو نضال من أجل تحقيق الإرادة الدولية التي تعمل على سحق الصهيونية التي هي شكل من أشكال العنصرية.

إن سلوك القائد ومبادىء ثورة الفاتح، تنادي بحمل السلاح للدفاع عن وجود الفلسطينيين وحقوقهم المشروعة ولاسترجاع أرضهم المسلوبة.. فلسطين.

أما بالنسبة للقوات التي يضمها الإئتلاف الصهيوني ـ الامبريالي، يقول القذافي في سلسلة من المفاهيم التي سنذكرها حرفياً: «إنه من واجب العالم كله أن يتفهم وضع هذا الشعب الذي يعيش هذه الكارثة (ويقصد بذلك الشعب الفلسطيني) دون تحليل الأسباب التي أدت به الى هذا الوضع.

ان المبررات التي يستخدمها الأعداء، والمفاوضات حول السلام سوف لن تكون سوى أساطير حتى تحل مشكلة هذا الشعب المطرود من أرضه وحتى يعود إليها.

«هناك علاقة بين العنصرية في فلسطين المحتلة والعنصرية في جنوب افريقيا، وبالإضافة الى ذلك هناك عامل دولي خطير، لهذا نتساءل: لماذا أمريكا هي الدولة الوحيدة التي تحمي وتتبنى الكيان الصهيوني؟

لماذا أمريكا هي الدولة الوحيدة التي تمارس التمييز العنصري في أراضيها بالإضافة الى جنوب افريقيا؟

لماذا أمريكا هي الدولة الوحيدة التي تدافع عن جنوب أفريقيا؟

وهناك عامل آخر هو الاستعمار الدولي الذي يحمي العنصرية في هذا العالم.

إن كل الجرائم التي ترتكب ضد الإنسانية تنعكس في هذه الدولة الضخمة، التي كان عليها أن تتخذ موقفاً حيادياً، وأن تدافع عن القضايا الإنسانية، لا أن تهبط الى المستوى الذي وصلت إليه في دفاعها عن العنصرية.

إن أمريكا تضطهد مواطنيها السود، وهذه رجعية وهمجية: إنها تضطهدهم لأنهم من الجنس الأسود.. فهل هي جريمة أن يكون الإنسان أسود؟

إن مثل هذه الأعمال يجعل من أمريكا دولة همجية وعنصرية ورجعية وغير نامية من الناحية الإنسانية. إن نجاحها يرتكز على التقنية وينحصر في هذا المجال.. وهذا كله مادي.. إنها تفتقد لكل قيم إنسانية ولكل احترام للقيم الإجتماعية.

للإنسان قيم فلسفية وقيم اجتماعية وقيم إنسانية، وهذه هي قاعدة حياته، وفي هذا المجال أمريكا ليس لها وجود.

هناك شعوب تتنقل على ظهور الجمال والحمير، لكنها متطورة بحضارتها ولها ثقل إنساني يضاعف ثقل أمريكا بالنسبة للقيم الإنسانية والإجتماعية.

ان العنصريين في افريقيا وفي فلسطين يقومون بأعمال تؤدي الى ردة فعل عالمية، وهم يعرفون ذلك، لكن سيأتي ذلك اليوم الذي ينهض فيه هذا العالم ليؤكد على موقفه ضد العنصريين. إن هذا العالم الذي تعمه الصرخات ضد الجمهورية العربية الليبية.. (تجدر الإشارة الى أن هذه الكلمات قد قالها القائد خلال شهر ناصر (يوليو) من عام 1976م أي قبل أن تصبح ليبيا جماهيرية)، قد حرك وسائل الاتصال الغربية لمهاجمتها ولإقناع المجتمع الدولي بأن ليبيا تشجع على الإرهاب.. والسبب هو أن ليبيا تقاوم العنصرية.

إن كل المحاولات السلمية لن ترى النور طالما يعيش الشعب الفلسطيني في خيام، وأرضه مسلوبة بقوة السيف.

اذا كان نضال هذا الشعب لاسترجاع أراضيه عملاً إرهابياً، فإننا نقبل بهذا الإرهاب ونؤيده. و إذا كان دعم الشعوب السوداء في نضالها ضد العنصرية عملاً إرهابياً، فإننا نقبل بهذا الإرهاب أيضاً. إن الإرهاب وفق هذا المفهوم هو عكس الحقيقة، إن هذه الكلمة تعني وفق هذا المفهوم مقاومة الإستعمار والمعتدين، إن هذا ليس هو الإرهاب..

إننا نطالب بأن يعود المعتدون إلى بلادهم لأنهم مرتزقة ورسل دمار وتخريب».

إن القائد يصرّ على أن الدخلاء الصهاينة يجب أن يعودوا الى بلادهم، والتزم بكلمته بأن ليبيا، في هذه الحالة، تقبل بأن يبقى في فلسطين اليهود الذين ولدوا فيها. وقال: «هكذا فقط سنلتقي أمام حل مبدئي وهو التعايش في فلسطين بين اليهود من أصل شرقي والشعب الفلسطيني الذي يعود إلى أرضه».

وأكد القائد قائلاً: «طالما أن الاسرائيليين يصرّون على معارضة عودة الشعب الفلسطيني الى أرضه، ويرفضون العودة الى بلادهم الأولى فسوف يسببون الحرب. إنهم من يرغم الشعب الفلسطيني على النضال. إنهم من يهدد السلام بمواقفهم».

هذه هي في النهاية أفكار القذافي وخط الجماهيرية في نضالها ضد الامبريالية الصهيونية ودفاعاً عن حقوق الشعب الفلسطيني الشرعية، التي تشمل حق هذا الشعب بمواجهة عدوّه بكل الوسائل التي يملكها انطلاقاً من قاعدة أن استرجاع وطنهم المغتصب ومدينة القدس المحتلة هو أساس السلام الدائم والعادل في الشرق الأوسط.

إن تأييد القذافي للفلسطينيين ودعمه لهم بتشكيل قوات سياسية ـ عسكرية مقاتلة قد جعلا منه موضع حقد بالنسبة للصهاينة الذين يضغطون على الدول الكبرى والمتوسطة وحتى على الدول الصغيرة والضعيفة أيضاً كي تقف هذه الدول ضد ليبيا، وبهذا يتمكنون من عزل ليبيا عن العالم.

إن الجماهيرية، في ردها على الإعتداءات الصهيونية ـ الامبريالية، لا تتردد في دعم كل الحركات التي تتخذ موقفاً معادياً للإمبريالية، ويكون هذا الدعم سياسياً وإقتصادياً وعسكرياً. ولهذا السبب نجد أن بعض المحللين لا يفهمون جيداً لماذا تقوم ليبيا بدعم حركات أو حكومات ذات ايديولوجية تختلف عن ايديولوجيتها.

ان ما يهم القذافي فقط هو أن تكون القضية التي يدافع عنها ذات طابع شعبي، وتتمتع بالتأييد الشعبي، وأن تكون قضية عادلة حقاً، بالإضافة الى أن تكون موجهة ضد مصالح مراكز القرار الدولية التي تريد تدمير الجماهيرية. ولهذا فإن القذافي لم يتردد بالنسبة لحرب الأرجنتين ضد بريطانيا ولوضع نيكاراغوا المهددة من قبل أمريكا. إنه لم يهتم بمن يحكم هذه الدول من (غالتيري) في الأرجنتين الى (أورتيغا سافيدرا) في نيكاراغوا، بل إن ما كان يهمه فقط الأعمال التي تقوم بها هاتان الدولتان ضد أعدائه بريطانيا وأمريكا، بالإضافة الى أنهما كانا يتمتعان بتأييد شعبي مكثف وكانا فعلاً في جانب الحق.

وليس هناك أي شك بأنه إذا اشتعلت نار الحرب مجدداً بين الأرجنتين وبريطانيا بالنسبة لمسألة الجزر في جنوب الأطلسي، لن يهتم القذافي أو أي شخص آخر في الجماهيرية باسم الشخص الذي يكون على رأس الحكم. إن ليبيا في هذه الحالة سوف تقوم بتقديم الدعم للأرجنتين لأن الليبيين يعرفون جيداً أن الاستعمار البريطاني يرتكز على القوة وإن وجوده يعتبر إهانة لحقوق الأرجنتين الشرعية وشوكة مغروسة في قلب الشعب الأرجنتيني.

إن الموقف الثالث الليبي ليس مجرد نظرية تضاف إلى نظريات أخرى، أو طريق جديد آخر، أو نوع جديد من السلع تعرض للبيع في هذا العالم. إن النظرية العالمية الثالثة هي نقطة الانطلاق وهي القاعدة المعنوية وهي الذراع الليبي المسلح الذي ينتفض تضامناً مع كل القضايا العادلة في هذا العالم ودفاعاً عنها ودعماً للحق ضد الباطل. إن القذافي، دون شك، هو فارس العصر الحديث يختلف عن بطل رواية «سرفانتس» بأنه يناضل ضد أعداء من لحم ودم وضد دبابات ومدافع امبريالية وضد أولئك الذين يحاولون إخضاع الشعب الليبي لنفوذهم.. إن السياسة الليبية على الصعيد الدولي ليست سوى إمتداد خارجي لمبادىء النظرية العالمية الثالثة التي تطبق بنجاح في الجماهيرية والتي تُطرح كمثال في النضال لشعوب أخرى تطمح لبناء مجتمع عادل يرتكز على القيم العليا للدين والقومية.

لقد تمت هذه التجربة الفريدة من نوعها بصورة سريعة، وبعد مدة قصيرة أي بتاريخ 2 من شهر المريخ (مارس) عام 1977م. وفي مدينة القاهرة بسببها تم الإعلان

عن قيام سلطة الشعب وتأسيس الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

منذ ذلك الحين وحتى الآن، تقوم اللجان الشعبية والقائد بعزم وتصميم بشق الطريق نحو الجماهيرية.

هذه هي أسس وأركان النظرية العالمية الثالثة التي صاغها العقيد القذافي ونشرها عام 1975م في كتابه المعروف بالكتاب الأخضر بثلاثة أجزاء. وفي هذا الكتاب يلخص كل فلسفته وفكره السياسي اللذين يشكلان حالياً وبدون أي شك نقطة الانطلاق لأولئك الذين يبحثون عن حلّ فعال لأضخم المشكلات المعاصرة.

ان الكتاب الأخضر يطرح الحلول لمشكلة الديمقراطية وللمشكلة الاقتصادية ويضع الأسس لتفهم الركن الإجتماعي للنظرية العالمية الثالثة.

وفي الجزء الأول من الكتاب الأخضر ينادي بإزالة الديمقراطية الممثلة وكل مقوماتها الرئيسية كالاستفتاء والبرلمان والأحزاب السياسية، وتأسيس سلطة الشعب بتشكيل المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية التي قامت الثورة فعلاً بتطبيقها.

النظرية العالمية الثالثة والسياسة الداخلية:

على صعيد السياسة الداخلية ـ كما لنا سابقاً ـ تنادي النظرية العالمية الثالثة بممارسة السلطة الشعبية عن طريق اللجان التي أسستها الثورة.

متى وكيف نشأت هذه اللجان؟

بتاريخ 15 من شهر الطير (ابريل) عام 1973م وعبر الخطاب التاريخي الذي ألقاه القذافي في مدينة زواره، أعلن عن بداية ما سماه بالثورة الشعبية التي أكد على أنها لا تتشابه مع تلك التي حصلت في الصين وبأنها ليست نتاجاً للأفكار الأجنبية المستوردة.

وقد قال القذافي في خطابه التاريخي هذا: «إذا أردتم السير على درب الثورة، عليكم بتجديد كل شيء» وأعلن بعد ذلك عن نقاط الانطلاق الأساسية لتحقيق التغيير الشامل لكل النظام الذي كان ساري المفعول في ليبيا آنذاك.

وكان خطاب زواره بمثابة الخطوة الأولى نحو تأسيس الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. ومنذ تلك اللحظة تم إعلان ما يلي:

1 ـ تعطيل كافة القوانين التي كانت سارية المفعول حتى ذلك الوقت.
2 ـ تطهير البلد من المرضى.
3 ـ الحرية للشعب وليست لأعداء الشعب.
4 ـ إعلان الثورة الإدارية.
5 ـ تفجير ثورة ثقافية.

ويلحق بالفقرة الثالثة تسليح الشعب أي إعلان قيام «الشعب المسلح» كما صيغت هذه المقولة فيما بعد.

إن الثورة الثقافية بالنسبة للشعب الليبي الوسيلة هي تحقيق الالتقاء مجدداً بالتقاليد القديمة للإسلام وللأمة العربية وتكييفها وفقاً لمتطلبات الحياة المعاصرة. وهكذا من هذه الخلاصة المحكمة بين التقاليد والثورة ظهر فكر القائد وكافة الصيغ اللاحقة «للنظرية العالمية الثالثة» بما فيها «الكتاب الأخضر».

إن اللجان الشعبية قد ظهرت كردة فعل مباشرة لخطاب زواره، بقصد تطبيق أفكار القائد ومقترحاته التي كانت بشكلها ومضمونها ترتكز على ضرورة تحويل الثقافة الى ثقافة شعبية مليئة بمبادىء جديدة.. عميقة في تطلعاتها الانسانية، صادقة في تفسيرها، وقادرة على توضيح كافة المعاني والقدرات التي كانت تتمثل في عزيمته.

وكانت أولى مسؤوليات للجان الشعبية هي الآتية:

1 ـ إبداء الرأي حول كفاءة الأشخاص الذين كانوا يمارسون مهام الادارات المحلية وتقيم الخدمات التي كانوا يقدمونها للمواطنين.

2 ـ إجراء دراسة وإبداء الرأي حول وضع «الفئة المتعالية» المنزوية داخل المدن وتجنب، وفقاً للنتائج التي يتم التوصل إليها، إمكانية قيام هذه الفئة بأي عمل ضد المصالح الشعبية.

3 ـ كشف الخونة الذين قد يعرقلون سير عملية التغيير الثوري ويحدون من تحقيق طموحات الشعب.

4 ـ ضرب أعداء الشعب وما يسمى «بالفئات المريضة».

5 ـ قطع الطريق أمام من يطلقون الأقوال الكاذبة التي تسيء للشعب وخاصة تلك التي تطلق باسم العروبة والإسلام وباسم الشعب نفسه.

6 ـ حماية الإنجازات الشعبية ورفض وإزالة كل فكرة خاطئة تصلح لخدمة الرأسمالية أوالشيوعية وتحد من انبثاق الروح الحقيقية للكتاب المقدس.

وفي خطاب آخر ألقاه بمناسبة احتفالات الذكرى الثالثة لجلاء القواعد العسكرية الأجنبية، قام القائد بحث الشعب على استلام قيادة كل الأجهزة المركزية واللامركزية للدولة وكل الاتحادات والجمعيات والنقابات الخ... التي كانت تمثل مختلف قطاعات العمل بما في ذلك فرق الكشاف واتحاد النساء. ولم يبقَ في ليبيا آنذاك ركناً واحداً لم تشمله بشكل أو بآخر الاستجابة لنداء القائد لتفجير الثورة الشعبية.

وفي الجزء الثاني من الكتاب الأخضر تُطرح قضية الأجور وضرورة استبدال هذا النظام بنظام المشاركة الذي يحرر الإنسان من عبودية الأجرة مؤمِّناً له كل حاجاته.

أما في الجزء الثالث من الكتاب الأخضر فتُطرح أسس الأركان الإجتماعية للنظرية العالمية الثالثة مؤكداً على القيم الأساسية للمجتمع.. أي مجتمع، وفقاً للنظام الطبيعي أي، الأسرة والقبيلة والأمة، ومعطياً للمرأة دوراً جديداً وهاماً في الجماهيرية.

الكتاب الأخضر ومشكلة الديمقراطية

في أوائل السبعينات قرر العقيد معمر القذافي إصدار كتاب يطرح فيه كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لفكره وذلك نظراً للوضع الذي تعيشه كافة الدول التي تخضع في سياستها الداخلية لمختلف نماذج الأنظمة التي تفرضها عليها الدولتان الأعظم: الرأسمالية والشيوعية.. وهكذا ظهر «الكتاب الأخضر».

ان النموذج الرأسمالي يعتمد اعتماداً ثابتاً على المجتمع الاستهلاكي متبعاً في ذلك نظرة المركزية البشرية ومذهب اللذة. وينتشر هذا النموذج عبر نظام «الديمقراطية التقليدية الحديثة» التي يرفضها القذافي، وهي الديمقراطية الليبرالية التي تكرس استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

والنموذج الشيوعي من جهته، قد فرض على المجتمع الروسي وعلى الدول التي يسيطر عليها، دكتاتورية الأقلية التقنية البيروقراطية. وهذا هو انعكاس لنظرة المركزية البشرية التي هي في هذه الحالة نظرة مادية وضعها الماركسيون ـ اللينينيون على أساس استغلال الإنسان من قبل الدولة.

إن مختلف أنواع السيطرة هذه، التي تميزت بطابع العنف خاصة خلال العقود الأخيرة من هذا القرن، لم تفعل سوى معاملة الإنسان كعبد لها.

أما القذافي الذي كان يدرك كل هذه الأمور وكان كالأبطال العظماء مستعداً لتصدر القيادة أو الموت محاولاً ذلك، رغم أنه كان بإمكانه أن يتخاذل كأغلبية القادة الآخرين ويتربع على كرسي الحكم المطلق، فقد وضع كتابه الأخضر بأجزائه الثلاثة مقتنعاً بأن الشعب قبل أن يحمل السلاح، عليه أن يتسلح بالقيم العليا وبالحقائق الثابتة وبنظرية تكون نتاجاً لهذه القيم ولهذه الحقائق وتكون بمثابة نقطة انطلاق لهذا الشعب نحو الانعتاق الحقيقي من الظلم والاستبداد والعسف.

إنه كبير جداً اشمئزاز هذا القائد من كل الأنظمة التي تفرضها على العالم مراكز السلطة الموجودة أمام وخلف «الستار الحديدي». ان من يقول عكس ذلك هو بالتأكيد من لم يطلع على كتاباته ولم يدرس بتعمق كل أعماله ولم يتعرف على واقع الجماهيرية اليوم حيث الدين والقومية قاعدة أساسية لحركة المجتمع الذي انتهج النظرية العالمية الثالثة.

ان القذافي هو القائد الوحيد الذي ظهر في فترة ما بعد الحرب والذي يحمل القرآن الكريم في يد والكتاب الأخضر في يد ويتحدى علناً نظم الديمقراطية الليبرالية التي فرضتها الامبريالية الرأسمالية على الدول التي تخضع لسيطرتها ونفوذها والتي تريد تدمير الجماهيرية وتجربتها الثورية على صعيد الاستراتيجية الجغرافية والسياسة الطبيعية.

إن قيمة أعمال القذافي تنمو وتكبر مع نضاله ضد قوات التحالف الصهيوني الامبريالي الذي تتزعمه أمريكا والكيان الصهيوني، ومع عدم انقياده وسقوطه في «فلك النفوذ» السوفياتي بالإضافة الى رفضه لكل أشكال الماركسية ـ اللينينية.

والجزء الأول من الكتاب الأخضر ليس فقط مدخلاً لفهم فكر وعمل هذه الشخصية السياسية الدولية. فعبر الدراسة والتحليل والانتقاد لمضمون هذا الكتاب يصبح بالإمكان القبول بأن «الخط الثالث» الذي يطرحه هو البديل الوحيد لمواجهة المشكلات الخطيرة التي يتخبط بها هذا العالم والتي تخيم حالياً على السياسة الدولية.

إن الوضع الحالي في العالم وخاصة في الدول التي تسيطر عليها الرأسمالية المتمثلة بنظام الديمقراطية الليبرالية الذي يعلن عنه القائد بأنه «تزييف» للديمقراطية الحقيقية بسبب الأسس التي يرتكز عليها هذا النظام الديمقراطي الليبرالي كالاستفتاء والبرلمان والأحزاب السياسية والاعلام الحر، هو وضع ينتقده القذافي ويطرح بديلاً له النظام الجماهيري الذي يرتكز على المشاركة الشعبية المباشرة، وذلك في عدة أبواب من كتابه الأخضر (الفصل الأول) هي: أداة الحكم، المجالس البرلمانية، الحزب، الطبقة، الاستفتاء، المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، شريعة المجتمع والصحافة...

أداة الحكم، أداة الأقلية:

إن الأضرار التي تسببها للمصلحة الوطنية العامة تلك الأقليات التي تصل الى الحكم لتخدم مصالح الفئات التي تتبع لها، هي كثيرة جداً لدرجة أنها لا تقع تحت حصر. وسوف تبقى هذه الأضرار كثيرة طالما لا تقوم الشعوب بإجراء حل ثوري لها كما فعلت ليبيا.

إن أدوات الحكم هذه كما يصفها القذافي عادة، تؤدي دائماً الى تأسيس دكتاتورية مراوغة تعمل تحت قناع «الديمقراطية» وتبحث فقط عن فئات عسكرية وأجهزة شبه عسكرية تدعمها على حساب واجباتها نحو المجتمع.

وطبعاً ان أدوات الحكم لا تقتصر فقط على الأنظمة التي ترتكز على الديمقراطية الليبرالية أو الديمقراطية التقليدية الحديثة كما يصفها القذافي، فهناك أيضاً نوع من الدكتاتوريات العسكرية التي هي بديل للنظام الرأسمالي يتم تطبيقه عندما تملّ المجتمعات من خيانة رجال السياسة لها حيث يضطر النظام الى «غسل وجهه» أو بالأحرى تغيير شكل حكمه ليتجنب وقوع أي ثورة.

وتسيطر على أدوات الحكم هذه مجموعات لم يختارها أحد كممثل له. وهذا ما يحصل عادة عندما يطبق نظام «الديموبلوتوقراطية» أي نظام الطبقة الثرية الحاكمة.

ان انتقاد القذافي موجه بصورة مباشرة ضد الأنظمة التي ترسخ الدكتاتورية وخاصة عندما تعمل هذه تحت اسم الديمقراطية مؤدية بذلك الى ظهور جماعات تتسلط على الحكم في بلد ما، وهي لا تمثل على الأقل الحزب الذي تنتمي إليه، فكم من مرة سمعنا التحدث عن جماعة الوزير فلان أو الوزير علان...

إن القائد القذافي يعبر عن فكره بوضوح تام عندما يؤكد على ما يلي: «ان الصراع السياسي (ويقصد بذلك صراع أدوات الحكم على السلطة) قد يسفر عن فوز أداة حكم لا تمثل إلا الأقلية، وذلك عندما تتوزع أصوات الناخبين على مجموعة مرشحين ينال أحدهم عدداً أكبر من الأصوات بالنسبة لكل واحد منهم على حدة. ولكن اذا جمعت الأصوات التي نالها الذين أقل منه أصبحت أغلبية ساحقة، ومع هذا ينجح صاحب الأصوات الأقل ويعتبر نجاحه شرعياً وديمقراطياً. وفي الواقع تقوم دكتاتورية في ثوب ديمقراطية مزيفة».

ويركز القذافي في نظريته على أمور أخرى تفوق هذا الأمر خطورة، مثلاً عندما يفوز مرشح حزب صغير نتيجة تحالفه مع أحزاب صغيرة أخرى، مع العلم بأنه وحده قد لا يحصل على أكثر من 20٪ من مجموع الأصوات، وهكذا يتمكن من الفوز على مرشح آخر يكون قد حصل على أكبر عدد من الأصوات التي حصل عليها مرشح الحزب الصغير وحده.

وهكذا يزداد الوضع تأزماً مع مرور الزمن، حيث أن الحكومات التي تنبثق عن الانتخابات، عندما تمارس الحكم الذي لا يتطابق عادة مع السلطة الحقيقية في بلادها، تبدأ بمواجهة خلافات بين المجموعات التي كانت قد اتحدت فيما بينها خلال الانتخابات. وهذه الخلافات تنتج عن قيام هذه المجموعات بالعمل على اقتسام غلال الإنتصار وكأن المصلحة الوطنية والمصلحة العامة جزء من غنيمة يتقاسمها قطّاع الطرق فيما بينهم.

إن هذه المجموعات وأدوات الحكم و«العصابات» كما نسميها نحن الأرجنتينيين عادة، سوف تستمر دائماً طالما لا تقوم المجتمعات بما فعلته الجماهيرية، أي بتأسيس نظام الدفاع الذاتي والرقابة الذاتية كوقاية وعلاج لهذا الوباء الذي يسيطر على كافة الأنظمة السياسية وأشكالها المختلفة التي تدعمها مراكز السيطرة العالمية.

ويؤكد القذافي على أن دكتاتورية أداة الحكم تنبثق عن الصراع السلمي أو المسلح، وأن صراع الطبقات أو الطوائف أو القبائل أو الأحزاب أو الأفراد ينتهي دائماً بفوز أداة حكم، والنتيجة هي ترسيخ هزيمة الشعب ومعها هزيمة الديمقراطية الحقيقية.

ويقول القذافي: هذه هي حقيقة النظم السياسية السائدة في العالم اليوم، والتي يبدو واضحاً تزييفها للديمقراطية الحقيقية، وإنها أولاً وآخراً أنظمة دكتاتورية.

المجالس النيابية، حلقة من سلسلة التزييف الليبرالي:

إن السلسلة التي وضعتها «البابوية» الليبرالية العليا هي: (ديمقراطية ـ انتخاب ـ استفتاء ـ حزب ـ برلمان). وهذه السلسلة قد تدمرت في ليبيا منذ قيام سلطة الشعب في 2 من شهر المريخ (مارس) عام 1977م وفقاً للمبادىء المطروحة في الكتاب الأخضر.

إن المجالس النيابية هي حلقة من الحلقات الرئيسية للسلسلة التي يستخدمها الليبراليون لقهر الشعوب وسلب دورها الرئيسي.

إن إنتقاد القائد لأداة الحكم لا يقل حدة عن انتقاده للمجالس النيابية التي ليست بالنسبة له سوى تدجيل وتلفيق للديمقراطية، حيث أن الديمقراطية «تعني سلطة الشعب لا سلطة نائب عنه». كما يقول القذافي أيضاً أن الشعب في الأنظمة السياسية المنبثقة عن الانتخابات هو الفريسة المتصارع عليها لتنتزع منه الأصوات وتحرمه حقه في أن يكون هو نفسه صانع تاريخه.

ان القذافي ينتقد المجالس النيابية بكل أشكالها، ليس فقط بسبب طبيعتها العليلة، بل وأيضاً لأنه يتم اختيار أعضائها عن طريق الانتخابات التي تتوقف نتائجها على حملات الدعاية التي تقوم بها مختلف الأحزاب السياسية لتقديم مرشحيها الذين لا يتمتعون عادة بأدنى الكفاءات الضرورية للقيام بالواجبات المتطلبة منهم.

ان مجرد وجود المجالس النيابية في بلد ما معناه عدم وجود الديمقراطية الحقيقية التي يتمكن الشعب من خلالها أن يكون صانع قراراته بنفسه. وبصورة عامة، تحت ظل الأنظمة السياسية التي تنبثق عن السلطة الرأسمالية برعاية نظام الديمقراطية الليبرالية وبتطبيق نظام المجالس النيابية، فإن الدور الذي تقوم به السلطة التنفيذية يقتصر فقط على دور ثانوي وشكلي، كما أن القرارات الهامة تمر عبر النواب الذين يقومون بتمثيل أحزاب سياسية وتنظيمات خالية من أي تمثيل تنظيمي شامل.

وفي الأرجنتين مثلاً، تتقدم السلطة التنفيذية على السلطتين التشريعية والقضائية، فالحزب الحاكم هو الذي يقوم بتعيين القضاة. واذا كان عدد نواب هذا الحزب كبيراً فإنه يجعل حكمه شبه دكتاتوري يسيطر بواسطته على بقية الأحزاب ويفرض قراراته عليها، حتى و إن كان الفرق في الأصوات التي يحصل عليها لا يتعدى الصوت الواحد أو الصوتين، وأكبر مثال على ذلك هو ما حصل مؤخراً بالنسبة لمسألة قناة «بيجل» بين الأرجنتين وتشيلي.

ان موضوع المجالس النيابية يستحق فصلاً خاصاً في هذا الكتاب حيث أنه دائماً لا يكون للنواب أية صلة تنظيمية بالمجتمع وأية كفاءة لسنّ القوانين الأساسية.

ان النواب والشيوخ يستجيبون دائماً لأوامر أحزابهم، وهذه الأحزاب تستجيب بدورها لأصحاب رؤوس الأموال الذين يرغموها خلال الانتخابات على إنتهاج سياسة داخلية

وخارجية معينة وذلك كشرط أساسي لتمويل حملاتها الانتخابية التي يباع فيها المرشحون وكأنهم نوع جديد من أدوات الزينة.

ان القذافي يقول أن مجرد وجود مجلس نيابي معناه غياب الشعب، والديمقراطية الحقيقية لا تقوم الا بوجود الشعب نفسه لا بوجود نواب عنه. فالمجالس النيابية برأي القائد هي حاجز (شرعي) بين الشعوب وممارسة السلطة.

كما أن نظرته لممثلي الشعب الذين يتم انتخابهم عن طريق هذا التزييف الذي يعرفه الجميع بإسم «الانتخابات العامة»، هي نظرة صحيحة حيث يقول: «ولكي نعري المجلس النيابي لتظهر حقيقته، علينا أن نبحث من أين يأتي هذا المجلس، فهو إما منتخب من خلال دوائر انتخابية أو من خلال حزب أو إئتلاف حزبي و إما بالتعيين. وكل هذه الطرق ليست بطرق ديمقراطية، إذ أن تقسيم السكان إلى دوائر انتخابية يعني أن العضو النيابي الواحد ينوب عن آلاف أو مئات الآلاف أو الملايين من الشعب حسب عدد السكان. ويعني أن النائب لا تربطه أية صلة تنظيمية شعبية بالناخبين إذ يعتبر نائباً عن كل الشعب كبقية النواب. هذا ما تقتضيه الديمقراطية التقليدية السائدة.. ومن هنا تنفصل الجماهير عن النائب، وينفصل النائب نهائياً عن الجماهير، وبمجرد حصوله على أصواتها يصبح هو المحتكر لسيادتها والنائب عنها في تصريف أمورها.. وهكذا نرى أن الديمقراطية التقليدية السائدة في العالم الآن تخلع القداسة والحصانة على عضو المجلس النيابي بينما لا تقر ذلك بالنسبة لأفراد الشعب، ومعنى هذا أن المجالس النيابية أصبحت أداة لسلب السلطة الشعبية واحتكارها لنفسها، وأصبح من حق الشعوب اليوم أن تكافح من خلال الثورة الشعبية من أجل تحطيم أدوات احتكار الديمقراطية والسيادة السالبة لإرادة الجماهير المسماة المجالس النيابية، وأن تعلن صرختها المدوية المتمثلة في المبدأ الجديد (لا نيابة عن الشعب)».

وفي إنتقاده لهذا الركن الرئيسي للنظام الديمقراطي ـ الليبرالية يتفق القذافي مع الفكر القومي التقليدي حيث يلجأ في طرح اقتراحاته الى أسلوب يتلاءم مع العلم السياسي للقومية التقليدية وذلك لتحقيق تفهم أفضل لمبادئه ولإبعاد أي التباس قد يحصل.

وفي الانتقاد للنظام النيابي بشكل عام نلتقي مع القائد في نظرته ونستشهد برأي المفكر الفرنسي «مايوه» الذي يقيم في الأرجنتين والذي يعرّف البرلمان بقوله: «إن البرلمان هو نتاج لتقسيم السلطات الذي يدمر الوحدة الضرورية للدولة.. إنه ينبثق عن مجموعات ليست تنظيمية ولا تعبر عن الواقع العملي للمجتمع ولها عيوب تنبع من عدم تنافس أعضائها على القيام بمهامهم المحددة. إن عدم التنافس هذا يظهر لا محال من النظام الانتخابي من جهة ومن عدم تمكن البرلمان من التحكم بكافة الأمور التي يجب أن يقوم بتشريعها من جهة أخرى».

الأحزاب السياسية، أسس «الديمقراطية التقليدية الحديثة»:

في هذا الانتقاد الواضح والجلي لأسس الرأسمالية والديمقراطية الليبرالية يهاجم القذافي نظام الأحزاب معلناً عن طبيعتها العليلة، فالأحزاب السياسية ليست سوى تنظيمات قطاعية وهامشية وغير ممثلة للمجتمع، بالإضافة الى أنها أدوات للسيطرة التمردية على الدول.

ويقول القائد «الحزب هو أداة الحكم الدكتاتورية الحديثة.. إذ أن الحزب هو حكم جزء للكل.. وهو آخر الأدوات الدكتاتورية حتى الآن». ويؤكد أيضاً على أن هدف الحزب هو الوصول إلى السلطة بحجة تنفيذ برامجه، لكن ـ يضيف القائد في كتابه الأخضر قائلاً: «لا يجوز ديمقراطياً أن يحكم أي من هؤلاء (يقصد الأحزاب) كل الشعب الذي يتكون من العديد من المصالح والآراء والأمزجة والأماكن والعقائد». ويقول أيضاً: «مهما تعددت الأحزاب فالنظرية واحدة. بل يزيد تعددها من حدة الصراع على السلطة.. ويؤدي الصراع الحزبي على السلطة الى تحطيم أسس أي إنجاز للشعب.. ويخرب أي مخطط لخدمة المجتمع.. لأن تحطيم الانجازات وتخريب الخطط هو المبرر لمحاولة سحب البساط من تحت أقدام الحزب الحاكم ليحل محله الحزب المنافس له».

من منا لا يتفق ـ في إطار المدرسة القومية التقليدية ـ مع نظرة القائد لنظام الأحزاب السياسية؟.

هل هناك أي مجتمع، في الماضي أو في الحاضر، استفاد أو يستفيد من النظام الحزبي؟

هل هناك من يستطيع أن ينفي أن نظام الأحزاب هو تركيبة قامت بصنعها البرجوازية لسلب السلطة والتحكم بها الى الأبد، مبررة ذلك بالبراهين التي يختلقها كبار كهنة الليبرالية؟

وهل هناك من يستطيع أن ينفي أن البرجوازية هي طبقة إجتماعية عليلة تفتقر لأية أسس طبيعية؟

إن الأمر الذي يقلق القذافي والذي أقلق اللواء بيرون خلال سنوات عديدة هو عدم الترابط بين المبدأ والتصور والتنفيذ للحكومات المنبثقة عن المعارك الانتخابية، وهذا هو ما يجعل هذه الحكومات غير قادرة على خدمة المصالح الوطنية العليا.

إن الأحزاب السياسية هي دون شك تنظيمات يزداد ارتباطها يوماً بعد يوم بالتزامات لا تتماشى مع مصلحة المجتمع. كما أن المتحكمين بالسلطة المالية هم في النهاية من يسلبون الشعوب دورها الطبيعي. وعلى أية حال، هناك حركات وصلت الى الحكم عن طريق الانتخابات وقامت بعد تحقيق هذا الهدف بإحداث انشقاق جذري ونهائي بينها وبين هذا النظام الحزبي ثم قامت بسحقه وبانتهاج النظام الإجتماعي الطبيعي.

إن النظام الذي تنتهجه الرأسمالية أو الشيوعية لا يسامح من يتجرأ على معارضة خططه وبرامجه، كما هو الحال أيضاً بالنسبة لتجربة الحركة الثورية البيرونية في الأرجنتين، التي تم سحقها عام 1955م عن طريق إئتلاف مدني ـ عسكري ذي ميول ليبرالية ـ ماركسية.

وقد قال بيرون دائماً أن حركة العدالة هي حركة وطنية اتخذت شكل حزب نتيجة الضغوط التي فرضتها عليها الأقلية الحاكمة، حيث أجبرتها على الالتزام بأحكام النظام التأسيسي وفقاً للسياسة التي كانت تفرضها مراكز الامبريالية الغربية على الأرجنتين.

لكن بيرون كان يؤكد على أن أجنحة هذه الحركة يجب أن تعمل بانسجام وبتنسيق مع قيادة مركزية تحت شعار «وحدة وتضامن وتنظيم» أي بشكل يتعارض مع تركيبة الحزب السياسي.

وقد قال اللواء بيرون مرة أن التنفيذ يجب أن يتماشى مع الشكل التنظيمي العملي للحركة، وهذا هو الأسلوب الذي يجب أن يرتكز عليه المجهود الذي تبذله الوحدة البيرونية. وصحيح أن أحكام قانون الأحزاب السياسية الذي كان ساري المفعول آنذاك قد حملت الحركة البيرونية على اتخاذ أشكال مختلفة تتماشى معها، لكن ذلك لا يجب أن يتحول الى سبب لأي تغيير في الشكل التنظيمي العملي للحركة، حيث أن هذا التغيير ـ قال بيرون ـ هو ما يريده أعداؤنا الذين صمموا على تحويل هذه الحركة الى حزب سياسي كبقية الأحزاب السياسية ليتمكنوا من إمتصاصه وتحطيمه.

وقال أيضا في مناسبات عديدة أن الأحزاب السياسية الليبرالية البرجوازية تعود للقرن التاسع عشر وقد تجاوزها التطور وسوف تختفي وتزول من بلادنا مع الوقت كما اختفت وزالت من بلاد أخرى. إن الشيء الحديث الذي يخضع للأشكال الجديدة التي يفرضها التطور والحاجات الحديثة، هو الفكر الذي سيصبح عقيدة والذي سيعتبره الإنسان فيما بعد من أغلى ما يملك. إن هذا الفكر هو المحرك الذي يقاوم كل تحطيم ينتج عن عامل الزمن في المجتمعات الحديثة المتطورة.

إن قوة حركة العدالة تكمن في كونها حركة وطنية ضخمة وليست حزباً سياسياً. أما الخلل الداخلي الذي بدأ يظهر بعد وفاة اللواء بيرون فقد ازداد حدة نظراً لأطماع المسؤولين القياديين الذين يريدون تحول هذه الحركة الى حزب سياسي ليتمكنوا من استقطاب هذه الجماهير المشتتة والتزعم عليها.

ان القذافي قد أعلن منذ عام 1969 عن بدء مرحلة جديدة أسماها «عصر الجماهير». هذا ولم يكن في ليبيا قبل الثورة سوى حكم ملكي أقيم وفق مصالح الدول الغربية الضخمة والشركات النفطية.

إن قيام الجماهيرية يتضمن حتى في ما تعنيه هذه الكلمة لغزاً يجب أن تتقبله الشعوب «شكلاً ومضموناً» لتسير سوية على ذلك الدرب الشاق المغروس بالأشواك الدامية الذي يقودها نحو انعتاقها النهائي.

وكلمة «الجماهيرية» تعني كما يعرّفها القذافي «سلطة الجماهير» وليس لها ترجمة حرفية لأي لغة من اللغات.

وفي عصر الجماهير الذي يصوره القذافي لنا لا وجود للأحزاب السياسية ولا المجالس النيابية ولا الانتخابات ولا الأقلية الحاكمة. فالشعب لا يحتاج لمن ينوب عنه وهو يعبر عن آرائه عن طريق المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية التي أقامتها الثورة والتي تتألف من مواطنين يختارهم الشعب نفسه وفقاً لقدراتهم وكفاءاتهم في مجال ما أو في مهنة معينة.

الصراع الطبقي هو كالصراع القبلي، مرفوض من قبل القذافي:

ان القذافي يعتبر النظام الطبقي كالنظامين القبلي والطائفي، اذ أن أحد هذه الأنظمة قد يفوز في صراعه ضد غيره لكنه في النهاية يقوم دائماً بفرض دكتاتورية على المجتمع كله.

والقذافي الذي يتهمه البعض بالشيوعية هو من يرفض رفضاً قاطعاً الصراع الطبقي الذي هو بحد ذاته منطق الماركسية، لا بل جوهرها الذي يعتبر التطور التاريخي نتاجاً لتسلسل الأزمات بين طبقتين اجتماعيتين متناقضتين في طبيعتها الاقتصادية هما: البرجوازية والبروليتاريا.

ان هذه التهمة التي يروجها البعض ضد القذافي كان فيها شيء من المنطق لو أنه كان في الواقع شيوعياً يستغل تأييد العمال الليبيين له ليقوم بتأسيس دكتاتورية علنية تحت راية حمراء، ويحظى حينذاك بالدعم المطلق من قبل الاتحاد السوفياتي.

لكن الواقع هو عكس ذلك حيث أن القذافي قد أعلن بكل وضوح أنه لا يقبل بأي شكل من الأشكال بأن تناضل الطبقة العاملة لتفرض نفسها على غيرها من الطبقات، كما أكد على أن محاولات «توحيد القاعدة المادية للمجتمع بشكل مطلق» ليست سوى أمر محال تم والتأكد من استحالة تطبيقه عبر التجارب السابقة.

ان القائد يعرف جيداً وجهات نظر ومواقف الديمقراطية الليبرالية والماركسية بالنسبة للصراع الطبقي، كما يعرف جيداً ان ما ينتج عن تطبيق هذه النظريات هو جرّ الدول نحو الانحطاط للتمكن من السيطرة عليها واستغلالها.

إن القذافي الذي يرفض الوثنية السياسية للنظامين الليبرالي والماركسي، يعتبر أن الدين والقومية هما المحرك الحقيقي للتاريخ، وعلى هذا الأساس فقد عمل منذ البداية على قطع كافة الطرق أمام المنطق الماركسي.

مؤتمرات شعبية ولجان شعبية، جوهر الديمقراطية:

إنه لمن المستحيل إجراء دراسة تحليلية لكيفية التطبيق العملي لنظام المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية في الجماهيرية دون فهم النظرية التي تبعث الحياة في هذا النظام، والتي طرحت في الجزء الأول من الكتاب الأخضر.

ان القذافي يؤكد في نظريته على أن المؤتمرات الشعبية هي الوسيلة الوحيدة للديمقراطية الشعبية. وان أي نظام للحكم خلافاً لهذا الأسلوب.. أسلوب المؤتمرات الشعبية، هو نظام

حكم غير ديمقراطي. كما يقول أيضاً أن المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية ليستا من صنع الخيال بقدر ما نتاج للفكر الإنساني الذي استوعب كافة التجارب الإنسانية من أجل الديمقراطية.

ويطرح القائد في كتابه الأخضر فكرة تقسيم الشعب كله الى مؤتمرات شعبية أساسية وفق التجمعات السكانية. وأعضاء هذه المؤتمرات ينتمون أيضاً وظيفياً أو مهنياً الى فئات مختلفة، ويختار كل مؤتمر أمانة له، ومن مجموع أمانات المؤتمرات تتكون المؤتمرات الشعبية غير الأساسية (المؤتمرات الشعبية للبلديات ـ مؤتمر الشعب العام)، ثم يختار أعضاء تلك المؤتمرات الشعبية الأساسية لجاناً شعبية إدارية لتحل محل الإدارة الحكومية البالية، فتصبح كل المرافق في المجتمع تدار بواسطة لجان شعبية تكون هي مسؤولة أمام المؤتمرات الشعبية الأساسية التي تملي عليها السياسة الداخلية والخارجية وتراقبها في تنفيذها. ويقوم المواطنون جميعاً، الذين هم اعضاء في تلك المؤتمرات الشعبية والذين ينتمون وظيفياً أو مهنياً الى فئات مختلفة ومنهم الموظفون والطلبة والمهنيون والحرفيون والتجار والعمال والمزارعون الخ.. بتشكيل مؤتمرات شعبية مهنية خاصة بهم علاوة عن كونهم أعضاء في المؤتمرات الشعبية الأساسية أو في اللجان الشعبية.

إن ما تتناوله المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية من مواضيع، يتخذ صورته النهائية في مؤتمر الشعب العام. وما يصيغه هذا المؤتمر يتخذ طابع قوانين يتم طرحها فيما بعد على المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية لتبدأ بتنفيذه اللجان الشعبية المسؤولة أمام المؤتمرات الشعبية الأساسية.

«إن مؤتمر الشعب العام ليس مجموع أعضاء أو أشخاص طبيعيين كالمجالس النيابية، إنه لقاء المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية». وهذا اللقاء يتم على مستوى أمناء هذه المؤتمرات واللجان وينحصر دورهم الأساسي بنقل قرارات مؤتمراتهم الشعبية الأساسية أو المهنية الى مؤتمر الشعب العام، الذي يقوم بعرضها على جميع أعضاء المؤتمر ثم صياغتها في قرارات موحّدة ومن ثم إصدارها على شكل قوانين تنفذ من قبل اللجان الشعبية.

وينعقد مؤتمر الشعب العام مرة واحدة كل سنة بشكل اعتيادي، كما يمكن في حالة الضرورة أن يدعى لعقد دورة استثنائية أو طارئة وذلك من قبل أمانة مؤتمر الشعب العام ويصعد أعضاء مؤتمر الشعب العام من بينهم لجنة إدارية (أمانة المؤتمر تتألف من أمين وأمين مساعد وأمناء نوعيين لشؤون المؤتمرات واللجان الشعبية.. الخ.

إنه من الضروري، وإن كنا سنتطرق فيما بعد للنواحي العملية في تطبيق النظرية في الجماهيرية، أن نوضح بأنه قد تم استبدال معظم الأمانات بمكاتب تقوم بإدارتها لجان شعبية.

إن هذا النظام الجديد الذي يطرحه القذافي في كتابه الأخضر والذي تقوم بتطبيقه التنظيمات الشعبية، يؤدي الى تحقيق الإدارة والرقابة الشعبية، كما أن التعريف البالي للديمقراطية بأنها هي (رقابة الشعب على الحكومة) يزول وفق هذا النظام ليحل محله التعريف الصحيح، أي أن الديمقراطية هي (رقابة الشعب على نفسه).

إن البعض يعتبر النظرية العالمية الثالثة نظرية خيالية، بينما يصفها البعض بأنها فوضى جماعية ويؤكدون على أنها في انتقادها للامبريالية التي تقتسم العالم وللديمقراطية الليبرالية، لا تتعدى الفكر القومي التقليدي..

وتخلو هذه الإشاعات المغرضة ضد ليبيا من الأهمية حيث أنها تصدر عن أولئك الجهلة الذين يعتقدون بأن القذافي هو رجل فوضوي أو ما يشبه ذلك.

لقد أدت النظرية العالمية الثالثة الى مداولات واسعة النطاق لن تنتهي في وقت قصير نظراً لأهمية هذه النظرية. فالشعب في الجماهيرية استطاع عبر هذه النظرية أن يحقق سعادته وأن يشارك في اتخاذ القرارات الهامة ولم يعد مجرد دمية في يد من يحكمه كما هو الحال في بقية دول العالم.

إن الإشتراكية في النظرية العالمية الثالثة قد أحدثت تغييرات جذرية في المجتمع الليبي وجعلت من التجربة الثورية في الجماهيرية أهم حدث ثوري في هذا العصر. والشعب الليبي مدين للعقيد القذافي بثورة الفاتح التي أعطت ثمارها في وقت قصير نظراً لقدرة القذافي الروحية وكفاءته القيادية القطرية.

إن الجماهيرية الآن هي في أيدٍ قوية تعرف كيف تحافظ عليها، وكما يقول القائد: «وأما من الناحية الواقعية فإن الأقوياء دائماً يحكمون.. أي أن الطرف الأقوى في المجتمع هو الذي يحكم»..

والجماهيرية هي مجتمع معرضٍ للمواجهة نظراً لضرورة الدفاع عن النظام الذي أقامته ثورة الفاتح والذي يتطلب تحركاً شعبياً متواصلاً.

إن المجتمع الذي يتمكن من إشباع حاجاته المادية هو معرض باستمرار لغزوات المغامرين الذين يريدون التحكم به وبأجهزته القيادية. لهذا تقوم قيادة الثورة في الجماهيرية بحث الشعب باستمرار على المشاركة الفعالة في عملية تحقيق الأهداف العليا، مثل تحرير الشعوب المضطهدة وتحقيق الوحدة العربية تحت راية الإسلام ومراقبة المجتمع الذي يرتكز على أسس الدين والقومية.

هذا هو جوهر الاشتراكية كما يطرحها القذافي والتي لا يفهمها أولئك الذين تحركهم أيدي السيناركية والذين يريدون إخضاع هذا القائد الثوري والجماهيرية لمراكز السيطرة العالمية.

ان ريجان اذ يفعل المستحيل دائماً لإدخال الجماهيرية إلى فلك النفوذ السوفياتي، فلأنه يفضل أن تكون الجماهيرية شيوعية على أن تكون ذات موقف ثالث يعارض السياسة الامبريالية للدولتين العظمتين ويدافع عن سيادة الدول وعن حق الشعوب في تقرير مصيرها.

إن اللواء بيرون كان ينظر دائماً نظرة استحسان للنظام السياسي الذي أقيم في ليبيا، لكنه توفي قبل ظهور الكتاب الأخضر. وهنا أود أن أؤكد بصفتي عضواً في حركة العدالة على أن هذا القائد الأرجنتيني لو أنه مازال على قيد الحياة لكان يتفق تماماً مع القائد القذافي في انتقاداته للديمقراطية الليبرالية.

وتجدر الإشارة هنا الى أن القائد الأرجنتيني «بيرون» كان يقول أن «الاشتراكيات العربية» تعتبر مقترحات ضرورية لتحقيق «الديمقراطية التي تتماشى مع إنسان القرن العشرين» وكان يتفق مع معمر القذافي في مواقفه الدولية. وقد قال مرة: إننا لو تحررنا للحظة واحدة من نير ما يسمى بالعالم الحر لوجدنا أن ثلاثة أرباع شعوب العالم تبحث عن نظام ديمقراطي يبعد كل البعد عن الليبرالية. فالرجعية الليبرالية التي هي نتاج للبرجوازية التي سيطرت على العالم خلال أكثر من قرن، تعتقد بأنها توصلت الى فرض صيغ ثابتة تخدم التعايش الإنساني في كل زمان ومكان. إنها تعتقد بأن ما كان مستحسناً خلال القرن التاسع عشر سوف يكون مستحسناً خلال هذا القرن وخلال القرون المقبلة، وبأن هذه الصيغ لا تتأثر بعامل الزمن حيث أنها مبادىء خالدة لا تتغير.

وقال بيرون أيضاً: لا يمكن أبداً اعتبار الإنسان كائناً معزولاً فهو عنصر من عناصر الجماعة، وهذا يفسر الأمر الذي يدهش الكثيرين والذي هو تفكك وانحطاط الأحزاب السياسية وظهور بديل لها هو التنظيمات الطبيعية الميالة للديمقراطية التي هي أيضاً طبيعية، والتي في ظلها يستطيع الإنسان أن يعبر عن رأيه ويحيا كما يريد هو وليس كما يريد له الآخرون.

وأود أن أكرر ما ذكرته في كتبي السابقة وهو أن بعض الأشخاص قالوا لي مرة أن القذافي، كي يتمكن من تسيير الجماهير بسهولة يعمل على أن لا تصل هذه الجماهير الى تحقيق التنظيم الإجتماعي والتمتع بشخصية جماعية وإجتماعية كبقية الشعوب. ويقول هؤلاء الأشخاص إن قيادة الجماهير هي أسهل بكثير من قيادة شعب واعٍ.

إن هذه النظرة السطحية الخاطئة لهؤلاء الأشخاص تنبع من سوء فهمهم للمعاني والتفسيرات الفلسفية للنظرية العالمية الثالثة. فالقائد عندما سئل مرة وهو يتحدث عن الثورة الثقافية حول القلق الدولي أمام إمكانية قيام نظام «ماوي» في ليبيا، أجاب بأنه لا يستطيع تضييع الوقت بحثاً عن عبارات جديدة أو ليشرح السبب الذي جعله يستخدم هذه العبارة أو تلك.

إنني قد اقترحت مرة عل بعض المسؤولين في ليبيا أنه من المناسب في بعض الأحيان تنقيح لغة العلوم السياسية وحصرها ضمن إطار ما هو معروف ومفهوم دولياً، وذلك لتجنب مثل هذه الأمور.

إنني سوف أحاول في هذا الكتاب إعطاء شرح وافٍ لطبيعة حركة الجماهير في ليبيا وأود أن أؤكد على أمنيتي، كما فعلت «إيفا بيرون» مرة عندما تحدثت عن العمال البيرونيين، بأن تتحول الجماهير في هذا البلد العربي الى شعب ذي وعي اجتماعي كامل يتمتع بشخصية اجتماعية وبتنظيم اجتماعي، وذلك لدعم قائد الثورة الذي ضحّى بأفضل سنين حياته من أجل هذه الجماهير، والذي مازال أمامه كثيراً من المهمات التاريخية الضخمة.

العرف والدين.. شريعة المجتمع:

إن العرف والدين هما بنظر القذافي المصدر الطبيعي للشريعة التي تقوم بتنظيم سير عمل المجتمع، حيث يقول: «الشريعة الطبيعية لأي مجتمع هي العرف أو الدين. وأي محاولة أخرى لإيجاد شريعة لأي مجتمع خارجة عن هذين المصدرين هي محاولة باطلة وغير منطقية. الدساتير ليست هي شريعة المجتمع.. الدستور عبارة عن قانون وضعي أساسي. ان ذلك القانون الوضعي الأساسي يحتاج الى مصدر يستند إليه حتى يجد مبرره. ان مشكلة الحرية في العصر الحديث هي أن الدساتير صارت هي شريعة المجتمع، وأن تلك الدساتير لا تستند الا الى رؤية أدوات الحكم الدكتاتورية السائدة في العالم، من الفرد الى الحزب».

ويضيف القذافي في كتابه الأخضر قائلا: «ان سنّة أدوات الحكم الدكتاتورية هي التي حلت محل سنّة الطبيعة. القانون الوضعي حل محل القانون الطبيعي ففقدت المقاييس. ان الإنسان هو الإنسان في أي مكان. واحد في الخلقة.. وواحد في الإحساس.. ولهذا جاء القانون الطبيعي ناموساً منطقياً للإنسان كواحد، ثم جاءت الدساتير كقوانين وضعية تنظر للإنسان غير واحد، وليس لها ما يبررها في تلك النظرة الا مشيئة أدوات الحكم.. الفرد أو المجلس أو الطبقة أو الحزب للتحكم في الشعوب.

وهكذا نرى الدساتير تتغير عادة بتغير أداة الحكم، وهذا يدل على أن الدستور مزاج أدوات الحكم وقائم لمصلحتها وليس بقانون طبيعي. ان هذا هو الخطر المحدق بالحرية الكامن في فقدان الشريعة الحقيقية للمجتمع الإنساني واستبدالها بتشريعات وضعية، وفق الأسلوب الذي ترغبه أداة الحكم في حكم الجماهير.. والأصل هو أن أسلوب الحكم هو الذي يجب أن يتكيف وفقاً لشريعة المجتمع لا العكس.

إذن، شريعة المجتمع ليست محل صياغة وتأليف. وتكمن أهمية الشريعة في كونها هي الفيصل لمعرفة الحق والباطل، والخطأ والصواب، وحقوق الأفراد وواجباتهم.. إذ أن الحرية مهددة ما لم يكن للمجتمع شريعة مقدسة وذات أحكام ثابتة غير قابلة للتغيير أو التبديل بواسطة أي أداة من أدوات الحكم، بل أداة الحكم هي الملزمة بإتباع شريعة المجتمع... ولكن الشعوب الآن في جميع أنحاء العالم تحكم بواسطة شرائع وضعية قابلة للتغيير والإلغاء حسب صراع أدوات الحكم على السلطة».

ويؤكد القذافي أيضاً في انتقاده الحاسم على أن المجتمعات التي تخضع ليس فقط للدساتير الليبرالية بل أيضاً لدساتير فلك النفوذ الشيوعي، تتحرك ضمن إطار شريعة تتعارض مع الدين والعرف والحقوق الطبيعية حيث يقول: «أن استفتاء الشعوب على الدساتير أحياناً ليس كافياً، لأن الاستفتاء في ذاته تدجيل على الديمقراطية ولا يسمح الا بكلمة واحدة وهي (نعم) أو (لا) فقط. ثم أن الشعوب مرغمة على الاستفتاء بحكم القوانين الوضعية والاستفتاء على الدستور لا يعني أنه شريعة المجتمع، ولكن يعني أنه دستور فحسب، أي هو الشيء موضوع الاستفتاء ليس الا.

شريعة المجتمع تراث إنساني خالد ليس ملكاً للأحياء فقط. ومن هذه الحقيقة تصبح كتابة دستور واستفتاء الحاضرين عليه لوناً من الهزل.

إن موسوعات القوانين الوضعية الناشئة عن الدساتير الوضعية مليئة بالعقوبات المادية الموجهة ضد الإنسان، أما العرف فهو خالٍ تقريباً من تلك العقوبات.. العرف يوجب عقوبات أدبية غير مادية لائقة بالإنسان.. الدين يحتوي العرف ويستوعبه.. ومعظم العقوبات المادية في الدين مؤجلة، وأكثر أحكامه مواعظ و إرشادات و إجابات على أسئلة، وتلك أنسب شريعة لاحترام الإنسان. الدين لا يقرر عقوبات آنية الا في حالات قصوى ضرورية للمجتمع. الدين احتواء للعرف. والعرف تعبير عن الحياة الطبيعية للشعوب.. إذن، الدين، المحتوي للعرف، تأكيد للقانون الطبيعي. إن الشرائع اللادينية اللاعرفية هي ابتداع من إنسان ضد إنسان آخر، وهي بالتالي باطلة لأنها فاقدة للمصدر الطبيعي الذي هو العرف والدين».

وأمام آراء القائد هذه ـ دون نسيان آراء أخرى كثيرة ـ حول النظام الطبيعي والقانون الطبيعي وعامل الدين الذي يخيم على كل عمل من أعماله تجاه المجتمع الليبي، يبقى لنا أن نتساءل: كيف يمكن أن يُتهم هذا الرجل الذي يحمل هذا الفكر وينتهج هذه الحياة الدينية بأنه ماركسي أو بأنه ينتمي إلى مدرسة المادية الجدلية التي ترتكز بصورة أساسية على المبدأ الذي يقول: «إن الدين هو أفيون الشعوب»؟

إن القذافي عندما يدافع عن القانون الطبيعي ضد القانون الوضعي الذي تقوم عليه المجتمعات الحديثة، يشير الى جوهر الدين كمصدر أول للخلق الديني وللعدالة التي يجب أن يتمتع بها الشعب الليبي وكل شعوب الأرض.

ويتفق القذافي بذلك مع علم اللاهوت الخلقي الكاثوليكي التقليدي وهذا ما يؤكد على الطبيعة العالمية للنظرية الثالثة. كما يؤكد القذافي أيضاً على أنه اذا كان الهدف الرئيسي هو كرامة الإنسان فإن المصدر الأول هو الله سبحانه تعالى، و إن النظام القانوني هو جزء لا يتجزأ من النظام الخلقي. فالقانون يحتوي النظام الخلقي الطبيعي والديني.

إن الليبرالية قد ابتدعت ـ كما هو الحال في الأرجنتين ـ شرائع تجريدية ترتكز عليها المجتمعات التجريدية التي تتكون من أشخاص تجريديين أيضاً. وهذا النوع من الشرائع لا يتفهم ولا يحترم العامل الطبيعي للإنسان بوحدته الأساسية كجسد وروح.

وتقوم المدرسة الليبرالية باستمرار ببث الوثنية المادية حفاظاً على دساتيرها التي ليست سوى السند لنوع من الأنظمة التي تتستر خلفها لتستمر في السلطة ولتحمي الفئات التي تتحكم بالمجتمع.

ومشكلة هذه الدساتير هي أنها تمنع دائماً تكييف سياسة المجتمعات وفقاً للتغييرات التي تحدث في داخلها نتيجة التصادم بين قواها الداخلية وبين كل واحد من هذه المجتمعات والعالم الخارجي الذي يحيط بها.

إن الدساتير تفقد واقعيتها دائماً، وخاصة تلك التي هي كالدستور الأرجنتيني الذي تم وضعه عام 1853م والذي فقد واقعيته وأصبح من الجدير وضعه في متحف بدلاً من أن يطبق على المجتمع. زد على ذلك أن مشروع الدستور يتطلب عادة سنوات عديدة من الدراسة والنقاش، وما أن تتم الموافقة عليه حتى يفقد واقعيته. إذن، فإن تطبيقه الصحيح هو أمر مستحيل كنتيجة حتمية للتطور التاريخي.

وهذا ما يحدث أيضاً للدساتير التي يتم وضعها على أساس مستقبلي، حيث أنه عندما يحين موعد تطبيقها تفقد كل واقعية لها نظراً للفرق الشاسع الذي يتضح فيما بعد بين واقع المجتمع وبين ما كان متوقعاً.

لهذا تضطر الحكومات الثورية الى صرف النظر عما يسمى «بالميثاق الأساسي» والى تطبيق ما هو أسمى منه أي القانون الطبيعي الذي يحدد الأحكام التي لابد أن يطبقها كل مجتمع منظم.

القانون الإجتماعي الطبيعي، يجب الدفاع عنه بالدم والنار:

لقد أشار قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العقيد معمر القذافي بوضوح الى أن المجتمع نفسه هو من يجب أن يتفادى أي انحراف في قوانينه التي ترتكز على العرف والدين.

ويبيّن القذافي أن العنف والثورة قد يكونا الوسيلة الوحيدة لتقويم أي إنحراف عن الشريعة في النظم السياسية القائمة في العالم اليوم، لكنه يؤكد أيضاً على أن من يستطيع القيام بذلك هو من يملك المقدرة على القيام بالمبادرة ويتمتع بالجسارة الضرورية للإعلان عن إرادة المجتمع.

ويصف القذافي هذا المدخل بأنه مدخل دكتاتوري و«أن العنف والتغيير بالقوة في حد ذاته عمل غير ديمقراطي ولكنه يحدث نتيجة وجود وضع غير ديمقراطي سابق له».

وما هو الحل الذي يطرحه القذافي؟

إنه قيام سلطة الشعب عن طريق المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية.. ويقول: «إذا حدث انحراف عن شريعة المجتمع في مثل هذا النظام يعالج عن طريق المراجعة الديمقراطية وليس عن طريق القوة. والعملية هنا ليست عملية إختبار إرادي لأسلوب التغيير أو المعالجة بل هي نتيجة حتمية لطبيعة النظام الديمقراطي هذا، اذ أنه في مثل هذه الحالة لا توجد جهة خارج جهة أخرى حتى توجه لها أعمال العنف أو تحملها مسؤولية الإنحراف».

ان محاولات الإنحراف عن شريعة المجتمع في الجماهيرية قد تم تقويمها بالأسلوب الذي يطرحه القذافي. أما عن المرتزقة الذين جاءوا الى ليبيا من الخارج لزرع الفوضى ولمحاربة الثورة فقد عوملوا بما كانوا يستحقون، وكما يقول مثل قديم «من يَقتل بالحديد، بالحديد يُقتل».

«حرية الصحافة».. أسطورة من أساطير النظام الرأسمالي:

إن «حرية الصحافة» هي واحدة من الأساطير العديدة التي اختلقتها الرأسمالية وتبشر بها الديمقراطية الليبرالية، والتي غرست في صميم عدد كبير من المجتمعات فأصبحت كسرطان يتحكم بها.

و«حرية الصحافة» كما يسميها الذين يدافعون عنها ويتمسكون بها ضد المصلحة الوطنية، قد انتهت في الجماهيرية خلافاً لدول أخرى ومن بينها الأرجنتين، ولم تعد هي القاعدة الأساسية لوسائل الإتصال التي لم تكن تقوم بدور اجتماعي صحيح، بالإضافة الى أنها كانت تمثل المصالح الدنيئة للأقلية المسيطرة. في ليبيا اليوم لا لأسلوب التربية العفن الذي ينتشر في بلدنا نحن حيث يتلقى أطفالنا بالأسلوب الأوروبي والأمريكي القذر كل ما تنشره وتبثه وسائل الإعلام من أمور فاحشة وبذيئة.

فباسم «حرية الصحافة» تُرفع شخصيات وتُحطم شخصيات.. وباسم «حرية الصحافة» يؤله المجرمون والفاسدون وتعيّر القيم المقدسة كالدين والوطن والأمة والأسرة والتقاليد..

وباسم «حرية الصحافة» يُكذِّب على الشعوب بعد تحطيم دفاعها العقلي.

إن ما يسمي بالرأي العام هو موجه بهذا الأسلوب لخدمة مصالح أصحاب رؤوس الأموال الذين هم أيضاً ـ وأي صدفة هذه ـ أصحاب وسائل الإتصال.

إن مشكلة «حرية الصحافة» تؤدي الى أوضاع خاصة جداً.. فالديمقراطية الليبرالية تتقنع بفضائل تعتبرها أساس «النظام الدستوري»، لكنها في الواقع هي أول من ينكر هذه الفضائل أمام من يعارض هذا النظام، بالإضافة الى أنها لا تمنحه حق الإنتقام الذي يعتبر من أهم مبادئها الا اذا كان المعارض بإمكانه ان يدفع أبهظ الأسعار مقابل ما يريد نشره.

وهكذا في ظل النظام الشيوعي فالدولة هي من تراقب وتوجه وسائل الاتصال وتنفي بالطبع «حرية الصحافة».

ان القوى الوطنية في كل دول العالم تقريباً ترحب بحرية الصحافة لمهاجمة النظام الحاكم، لكنها هي أيضاً ما أن تصل الى السلطة حتى تقوم بفرض رقابة شديدة على وسائل الإتصال.

إن المجتمع المنظم لا يسمح بوجود وسائل اتصال تسيطر عليها أيدٍ خاصة. فالدولة الوطنية كما هو الحال في الجماهيرية هي من يجب أن تحدد السياسة التي يجب أن تتبعها وسائل الاتصال، وهي من يجب أن تقوم بممارسة حق الرقابة وفرض العقاب على من يحاول مخالفة ما يسميه القذافي تسمية صحيحة.. بشريعة المجتمع.

إن مختلف القطاعات الإجتماعية من نقابات وجمعيات واتحادات الخ.. لها الحق في أن تملك وسائل تعبير تدافع من خلالها عن مصالحها وحقوقها دون أن تنحرف عن أهدافها الرئيسية ودون أن تتدخل في أمور تهدد أمن واستقرار المجتمع.

مسألة القيادة في المجتمع الليبي:

إن من يقرأ هذه الفقرات التي يختتم فيها القائد الجزء الأول من الكتاب الأخضر لابد وأن يلاحظ أمراً يعتبره بعض الدارسين موضع تناقض في فكر القذافي.. وهذا هو نصّ هذه الفقرات:

«إن النظام الديمقراطي وفقاً لهذه النظرية (ويقصد بالطبع النظرية العالمية الثالثة) بناء متماسك، كل حجرة فيه مبنية على ما تحتها من المؤتمرات الشعبية الأساسية وغير الأساسية واللجان الشعبية الى أن تلتقي كلها في جلسة مؤتمر الشعب العام. وليس هناك أي تصور آخر لمجتمع ديمقراطي على الإطلاق غير هذا التصور.

وأخيراً.. إن عصر الجماهير وهو يزحف حثيثاً نحونا بعد عصر الجمهوريات يُلهب المشاعر، ويُبهر الأبصار، ولكنه بقدر ما يبشر به من حرية حقيقية للجماهير، وانعتاق سعيد من قيود أدوات الحكم.. فهو ينذر بمجيء عصر الفوضى والغوغائية من بعده، ان لم تنتكس الديمقراطية الجديدة التي هي سلطة الشعب.. وتعود سلطة الفرد أو الطبقة أو القبيلة أو الطائفة أو الحزب.

هذه هي الديمقراطية الحقيقية من الناحية النظرية. «أما من الناحية الواقعية فإن الأقوياء دائماً يحكمون.. أي أن الطرف الأقوى في المجتمع هو الذي يحكم».

ان هذه الجملة الأخيرة التي جئنا على ذكرها سابقاً قد سببت نوعاً من الجدل، فالبعض يتساءل قائلاً: كيف يمكن أن يقول القذافي وهو من ينادي بسلطة الشعب «أما من الناحية الواقعية فإن الأقوياء دائماً يحكمون»؟..

إننا نجيب على ذلك بقولنا أن القذافي صريح جداً حتى في هذه الأمور. إنه يتمنى ويرغب بأن يتحمل الشعب نفسه كامل مسؤولياته لكنه يعترف بأن الأقوياء دائماً يبرزون في المجتمع، وهم في النهاية المحرك للجماهير.

وبين هؤلاء الأقوياء لا شك بأن القائد هو الأقوى، فهو حامل الراية وأول حربة للثورة منذ قيامها عام 1969م. لهذا السبب ينظر إليه الشعب العربي الليبي طالباً رأيه وكلمته بالرغم من أنه منذ سنوات عديدة لا يشغل أي منصب رسمي. إنه المعلم والقائد، إنه من يرسم الطريق التي يسير عليها المجتمع. إن أمنية القائد هي أن يسير المجتمع على هذا الدرب وهو على قيد الحياة لكي يحرس خطواته الأولى نحو تحقيق تنظيمه الكامل ولكي يصحح الأخطاء التي قد يرتكبها المجتمع في مسيرته ولكي يرافقه في هذه المسيرة حتى آخر رمق من حياته.

لابد وأن القذافي سيغيب يوماً عن هذا الوجود، لكنه سوف يترك خلفه نظرية سياسية عالمية تطبق داخل وخارج الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

أما بالنسبة للقيادة، فالقائد يعلن عن حقيقة لا ريب فيها وهي أنه لا الزوجين ـ «الخلية الأساسية للأسرة» ـ ولا الأسرة ـ «الخلية الأساسية للمجتمع» ـ ولا المجموعات الاجتماعية

ولا الأمم، يمكنها أن تحيا دون أن يمارس أحد القيادة لأن ذلك هو النتيجة الحتمية لعدم التساوي بين الرجال. ان القيادة ليست سوى الممارسة السلطوية لوظيفة تنظيمية ضرورية جداً للحفاظ على الترتيب الاجتماعي.

إن زعامة قائد الثورة في ليبيا ليست عاملاً لإبراز شخصيته على الصعيدين المحلي والدولي بل هي ضرورة يفرضها الواقع الليبي الذي يتطلب وجوده في القيادة الإجتماعية.

إنه يقوم بدوره بكل تواضع، وليس كما يقول «خايمي ماريا دي مايوه» بأنه يقوم بدور «سوبرمان» أي الإنسان الأمثل حسب تصور «نيتشه»، وبأنه يستخف بمجتمعه الذي ولد وترعرع فيه.

إنه قائد إندمج بالمجتمع التاريخي الذي يجسده ويتزعمه، والقيادة ليست فقط عطاء من السماء أو مهمة ألقيت على عاتقه بل هي أيضاً وسيلة للتأكيد الكامل في شخصيته على مقدرته الشخصية وفطرته الاجتماعية.

ومن هنا ينبع مفهومه للقيادة، كما وأنه، ربما للرد على أولئك الجهلة الذين يعتبرونه فوضوي، وضع هذا المفهوم بمثابة ختام للجزء الأول من كتابه الأخضر الذي يطرح من خلاله كافة الحلول النظرية لمشكلة الديمقراطية.

□ الكتاب الأخضر والمشكل الاقتصادي □

ان التكتلات الضخمة المؤلفة من الدول المنحازة للرأسمالية وللشيوعية الدولية، والتي ترتكز على وجهات نظر وأساليب حياة وأنظمة سياسية وأدوات حكم تختلف عن بعضها البعض وتتصارع فيما بينها من أجل السيطرة العالمية، قد تركت الشعوب التي أخضعتها لها في وضع يرثى له من الموت والبؤس والدمار.

إن هذه الأنظمة لم تتوقف يوماً عن معاملة الإنسان كعبد لها. فبينما تسمح الرأسمالية الليبرالية باستغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتحثه على ذلك، يقوم النظام الشيوعي بإخضاع هذا الإنسان لخدمة الدولة التقنية البيروقراطية التي تقودها أقلية تبسط يدها على كافة أسس السلطة الإقتصادية.

إذن، فالإنسان الذي يخضع لأي من هذين النظامين، لا يستحق الا أن يسمى عبداً.

وتوجد في العالم أمام وخلف «الستار الحديدي» أنواع مختلفة من الاشتراكية وليست هذه في الحقيقة سوى أشكال للرأسمالية الليبرالية أو للشيوعية. والقذافي قد قام بفضح كل هذه الأنظمة في مناسبات عديدة.

والاشتراكية التي تطبق حالياً في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية والتي ترتكز على مبادىء النظرية العالمية الثالثة لا تحاكي بأي شكل التجارب الاشتراكية التي حدثت في هذا العالم.

ربما أنها تلتقي مع المبادىء التي وضعها اللواء بيرون لحركة العدالة لكنها في الواقع أعمق منها بكثير. وكما قلت سابقاً أن الفرق بينهما، وبهذا يتفق معي القذافي، هو أن حركة العدالة لم تتمكن من تحقيق ثورتها بينما في ليبيا تحققت ثورة الفاتح من سبتمبر وأحدثت تغييرات جذرية في المجتمع.

ان الاستهلاك والانتاج والتبادل والتوزيع ورأس المال والقيادة الاقتصادية هي كلها فصول رئيسية للمأساة الاقتصادية التي يعيشها القسم الأكبر من شعوب العالم والتي يجب دراستها بعمق للتوصل الى فهم أفضل للحلول التي يطرحها القذافي في الجزء الثاني من الكتاب الأخضر والتي تطبق حالياً في الجماهيرية.

والقائد، المعروف بإهتمامه ودراسته للتاريخ، لم يترك جانباً التجارب التي قامت بها الشعوب على مر العصور بل قام بدراستها وبتفسير مسبباتها قبل أن يشرع بوضع الحلول العلمية للمشكلات الاقتصادية.

اقتصاد وسياسة:

إن ليبيا اليوم هي «دولة الجماهير» ومصدر الوحدة المصيرية للمجتمع. وليس النظام الإجتماعي الطبيعي الذي يطبق فيها مجرد وهم وخيال بل هو حقيقة وواقع ملموس لا يستطيع أن ينكره أحد.

ففي هذا النظام تكمن القوة التي تعمل على توحيد المجموعات الإقتصادية الإجتماعية بصورة طبيعية.

إن اقتصاد المجتمع الذي يطبق فيه هذا النظام الإجتماعي الطبيعي يخضع بالضرورة لخدمة المصلحة العامة خلافاً لما يحصل في الأرجنتين حيث تسيطر الأقلية الحاكمة على قيادة الدولة وتوجهها لخدمة مصالحها الدنيئة.

الليبرالية والاشتراكية على ضوء التجارب التاريخية:

ان تحطم النظام الإجتماعي الطبيعي الذي كان يطبق في أوروبا خلال القرون الوسطى، قد حدث مع ولادة ونمو البورجوازية التي راحت شيئاً فشيئاً تتحكم بالمرافق الاقتصادية والسياسية لكل دول القارة تقريباً بدءاً بفرنسا الى أن توسعت رقعتها وشملت العالم كله تقريباً.

وفي القرن الثامن عشر قامت الارستقراطية الحاكمة في فرنسا ـ نقطة إنطلاق البورجوازية ـ بالتنازل تدريجياً عن القيادة لمجموعات اقتصادية أكثرها من اليهود الذين كانوا يطمعون أيضاً بالسيطرة على القيادة السياسية للدولة.

وكان الخلل في الوضع الفرنسي الداخلي بالإضافة الى عدم كفاءة القادة واستغفالهم، هو الذي مكّن الأقلية التي تتمتع بمكانة اقتصادية على مستوى دولي، من توجيه ضربتها عام 1789م، جاعلة من هذا البلد مركزاً لانتشار التخريب البورجوازي في العالم.

ان ما يسمى «بالثورة الفرنسية» قد أدى إلى إسقاط الحكم الملكي الفاسد، لكن بعد ذلك بدأت مرحلة تخريب كانت البورجوازية خلالها تطمع بالسيطرة على السلطة السياسية لتتمكن بذلك من السيطرة بصورة أفضل على الموارد الاقتصادية للدولة.

وكان هذا العمل الاستغلالي الذي كانت تقوم به البورجوازية يحتاج الى ستار عقائدي يحجبه. لكن هذا الستار العقائدي ما لبث أن تحول الى شبه مذهب مقدس انتشر بقوة مقروناً بنفحة صوفية أسطورية.

وهذا لم ينبع من أي فكر بل كان نتاجاً للتجارب التاريخية التي أفسحت المجال أمام انتصار البورجوازية في جنيف وفي انجلترا، وهي ترتكز على مبادىء الإصلاح.

هناك ارتباط لا جدال فيه بين الإصلاح وظهور الرأسمالية، فالإصلاح قد دمر النظام القائم خلال العصور الوسطى الذي كان يضمن نمواً عادياً للمجتمعات، وفرض بديلاً له وبصورة تدريجية حرية التنافس واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

ولم يكن بالإمكان التوصل الى السيطرة على السلطة الاقتصادية دون إزالة النقابات. وكانت الأفكار الجديدة تشمل في المذهب الليبرالي «المقدس» الوسائل الضرورية لإزالة هذه المؤسسات الطبيعية والسيطرة على كافة الأسواق.

ولم تستطع الدولة التي كانت تتحكم بالتجارة الخارجية للمنتجات المختلفة بما فيها الحبوب، من الابتعاد عن أعمال المجموعات الإقتصادية. فمبدأ «حرية التجارة» الذي وضعه أصحاب النظرية الطبيعية في الاقتصاد والذي ظهر في انكلترا تحت شعار «قانون العرض والطلب» قد تم إدخاله الى أوروبا عن طريق فرنسا وتم تطبيقه على كافة البضائع.

وهكذا باسم حرية الفكر والحرية السياسية والحريات بشكل عام، استطاعت البورجوازية على مر الزمن أن تقيد الحريات الحقيقية للشعوب وأن تسلب ثرواتها وأن تخضعها لسيطرة أسياد المال.

هذه هي مصادر الفكر الليبرالي وجذور النظام الرأسمالي للإنتاج والتوزيع الذي يمتص دماء الشعوب بصورة تدريجية.

إننا لو قمنا بإجراء دراسة لتطور الفكر الاشتراكي لوجدنا بأن هناك مرحلتين مختلفتين لنمو الأفكار التي أدت إلى الحدث «البلشفي» عام 1917م.

أولاً المرحلة الوهمية التي شارك فيها بصورة رئيسية «سان سيمون» و«فوريير» و«أوين» الذين وضعوا أنظمة ذات طابع منطقي. وكان هؤلاء المفكرون يعتبرون الإشتراكية حقيقة مطلقة تنبع من العدالة ولأجلها.

إنهم لم يبحثوا ولم يدرسوا قوانين التطور التاريخي فبنوا عالماً اعتقدوا بأنه في غاية الكمال نظراً لانبهارهم بنور «النفوذ الموسوعي».

و«برودهوم» الذي اعتبره الكثيرون بأنه ينضم للتيار الوهمي للاشتراكية، قد حاول استبدال الأنظمة المثلى بمفهوم تنظيمي للمجتمع الاشتراكي المستقبلي.. وهذا المبدأ لا يتعدى إطار محاولة جديدة لتصور الخلاص الإجتماعي كنتاج للتطبيق الكامل للمبادىء الديمقراطية التي تبشر بمستقبل فردوسي يمكن الوصول إليه فقط عن طريق الإيمان بالأساطير المعروفة للرأسمالية الليبرالية.

وثانياً مرحلة «الاشتراكية العلمية» أو «المادية التاريخية» وهي الاشتراكية المنطقية التي تقول

مبادئها أن المجتمع الشيوعي الفوضوي ينتج حتماً عن الصراع الاقتصادي بين الطبقتين البورجوازية والبروليتاريا.

ان فلسفة «هيجل» المثالية قد تحولت بفضل ماركس الى «مادية تاريخية» عن طريق عملية استبدال الروح بالمادة، وإن كان ذلك يتم دون التخلي عن الجدال المنطقي للتطور التاريخي.

وتعتبر «المادية التاريخية» أن كل حركة هي تناقض بين عاملين يتم تجاوزهما بصورة مصطنعة. إنها لا تتردد في تطبيق منطق «هيجل» على كل التطور التاريخي انطلاقاً من قاعدة أساسية هي أن النظام الرأسمالي يشمل ويرتكز على صراع طبقتين متناقضتين هما البورجوازية والبروليتاريا.

إن «الصراع الطبقي» هو بالنسبة «للمادية التاريخية» ـ كما ذكرنا في الفصل السابق ـ المحرك الوحيد للتاريخ، حيث تتحول الثورة من وسيلة الى هدف، وهي المرحلة الأخيرة للتركيبة الضرورية والمزايدة الأخيرة للجدلية المنطقية.

وبدون شك، يعتقد الماركسيون أن المهمة الثورية الوحيدة الفعالة هي الانضمام للتيار التاريخي وتحقيقها عن طريق التحول الجدلي المنطقي لتركيبتها الاقتصادية.

إن الليبرالية الاقتصادية بتعبيرها «المانوي الثنوي» قد تركت «للمادية التاريخية» لطخة لا يمكن إزالتها. و«الثورة الفرنسية» بالنسبة للمدرسة الماركسية ليست سوى تجاوز مصطنع للصراع بين الارستقراطية والبورجوازية، أفسح المجال للرأسمالية التي تنتج عنها البروليتاريا، وهذه بدورها هي المواصلة للصراع الأخير الى أن يتم قيام مجتمع دون طبقات اجتماعية.

و«الاشتراكية العلمية» ليست سوى النقيض للنظام البورجوازي، فالمفكر السياسي «مايوه» يشير الى أن هذا التفسير هو تفسير خاطىء قد يكون له تأثير خطير على مستقبل الاشتراكية حيث أن كل عملية جدلية منطقية في نظام «هيجل» تعتبر تدعيماً متبادلاً للقوى المتعارضة.

والنتيجة هي أن عدداً كبيراً من القادة الماركسيين، نظراً لاعتبارهم بأن الرأسمالية هي مرحلة من التطور، يتضامنون مع بعض الأنواع التنظيمية للديمقراطية التقليدية الحديثة، طالما أن النظام يؤدي الى ظهور مواقف وأوضاع تساعد من أجل السيطرة على السلطة.

وفي ظل النظام الجماهيري كالذي يطبق حالياً في الجماهيرية لم تتمكن الماركسية من خلق أي نوع من الاضطراب حيث أنه تم منذ قيام سلطة الشعب عام 1977م، تغيير الأوضاع التي كانت من مخلفات مرحلة الاستعمار ومرحلة الحكم الملكي، والتي كان بإمكانها أن تساعد على خلق جو من الاضطراب.

الرأسمالية الليبرالية ورأسمالية الدولة:

قبل أن نبدأ بدراسة النظام الاشتراكي الذي وضع أسسه القذافي، وقبل أن نعرض في الفصول اللاحقة كيفية تطبيق هذا النظام في الجماهيرية، يجدر بنا أن نقوم بمراجعة طبيعة الأنظمة الإقتصادية التي تسيطر على العالم.

إن الرأسمالية بشكلها الليبرالي ترتكز على قاعدة استغلال الإنسان لأخيه الإنسان واستخدام وسائل الإنتاج، التي هي مصدر السلطة الإقتصادية، من قبل نظام الملكية الفردية.

أما رأسمالية الدولة فإنها تسمح بتجاوز المشكلات التي تنتج عن التنافس وتعطي النظام نوعاً من التماسك، لكن العامل في ظل هذا النظام يبقى أجيراً مستغلاً. في هذه الحالة، إن الأقلية التقنية البيروقراطية هي التي تسيطر على وسائل الإنتاج وعلى الإقتصاد وعلى السياسة بشكل عام.

إن الأقلية الشيوعية قد أقامت دكتاتورية تضر ليس فقط بالمجتمع الروسي بل أيضاً بأكثر شعوب العالم التي تخضع لها منذ عام 1917م. ولا يقوم أي من هذين النظامين بأي عمل يخدم المصلحة العامة بل على العكس انهما يستعبدان الإنسان بشكل أو بآخر، ولن يسمحا له أبداً بأن يتحول من أجير الى شريك كما هو الحال في الجماهيرية حيث يطبق مبدأ «شركاء لا أجراء» الذي هو أحد المبادىء التي يطرحها الكتاب الأخضر والتي تطبق في الجماهيرية.

وتجدر الإشارة الى أنه بين نظرية القذافي في المجال الاقتصادي والنظرية التي وضعها بيرون توجد نقاط التقاء بارزة. وربما لهذا السبب يسهل علينا تفهم ودعم بعض المبادىء التي يطرحها القائد القذافي.

الاشتراكية والمشكل الاقتصادي:

ان القذافي يصيب في قوله بأن المشكلات الإقتصادية في العالم لم تحل بعد رغم الانتصارت الإجتماعية التي تحققت بفضل النضالات العمالية خلال سنوات طويلة، ومنها تحديد ساعات العمل، وأجرة ساعات العمل الإضافية والإجازات والحد الأدنى للأجور، وفي بعض الحالات المشاركة في الأرباح وفي الإنتاج، وكذلك الضمان الإجتماعي وحق الإضراب عن العمل الخ..

إن هذه الأمور هي مهمة جداً دون شك، لكن العمال لم يتمكنوا حتى الآن من استئصال الداء، حيث أنهم لم يعالجوا أسبابه بل عالجوا فقط عواقبه. فالعامل لا يزال حتى الآن وسيبقى عبداً لسيده الذي يدفع له أجراً بخساً وكأنه يتصدق عليه فقط.

ويقول القذافي: «إن المحاولات التي انصبت على الأجرة لا تقل بعداً في هذا الجانب عن المحاولات التي إنصبت على الملكية ونقلتها من وضع الى وضع. وفي مجمل معالجة قضية الأجرة هو المزايا التي تحصل عليها العاملون وضمنتها التشريعات وحمتها النقابات، حيث تبدلت الحالة السيئة التي كان عليها المنتجون غداة الإنقلاب الصناعي، واكتسب العمال والفنيون والإداريون حقوقاً مع مرور الزمن كانت بعيدة المنال».

ويعلن القذافي أيضاً «أن المحاولة التي انصبت على الأجور ليست حلاً على الإطلاق و إنما هي محاولة تلفيقية و إصلاحية أقرب إلى الإحسان منها الى الاعتراف بحق للعاملين».

ويقول: «ان الأجراء مهما تحسنت أجورهم هم نوع من العبيد. وأن الأجير هو شبه العبد للسيد الذي يستأجره، بل هو عبد مؤقت، وعبوديته قائمة بقيام عمله مقابل أجر من صاحب العمل بغض النظر عن حيثية صاحب العمل من حيث هو فرد أو حكومة».

إن نظام الأجرة يقلب العلاقات الطبيعية والشرعية بين المنتج و إنتاج عمله عندما يعطى العامل أجرة زهيدة جدا ـ كما هو الحال في الأرجنتين ـ لقاء عمل يقوم به بناء على عقد عمل يكون دائماً لصالح ربّ العمل.

إن ما يطرحه القذافي هو إلغاء عدم المساواة بين عنصري الإنتاج الرئيسيين. والتجارب التي حدثت في العالمين الرأسمالي والشيوعي تدل على أن كفة الميزان تميل دائماً نحو مصلحة من يملك وسائل الإنتاج.

وفي يومنا هذا الذي تملك فيه المؤسسات العامة وسائل الإنتاج، يواجه العمال مشاكل لا تعد ولا تحصى، رغم أنهم خلال مرحلة العبودية كانوا على الأقل يعرفون أسيادهم وكانت هناك وجوه ينظرون إليها فيميلون لها أو يكرهونها. لقد زالت هذه العلاقة الإنسانية المرعبة، فالعمال اليوم يواجهون نوعاً آخر من العبودية حيث أن العامل لا يتلقى اليوم أدنى ما يحتاجه للعيش بحرية. كل ذلك يتم تحت شعار الديمقراطية والحرية وتحت شعار الدفاع عن طبقة البروليتاريا.

إن وضع العامل في العالم الرأسمالي لا يختلف عن وضعه في العالم الشيوعي فلا هذا ولا ذاك يضمنان للإنسان حياة سعيدة. إن العامل سيتحرر من عبوديته فقط عندما يقبل شعبه بأن يكون شريكاً في الإنتاج.

هذا هو أحد الأعمال العظيمة التي قام بها القذافي. فهو ليس مفكراً أو شخصاً عادياً وضع هذه النظرية للتسلية فقط، إنه قائد مفكر ثائر طرح نظرية جديدة وعمل على تطبيقها.

لقد كانت هذه التجربة ـ كما قال عبد السلام جلود (أحد إخوانه الذين شاركوا في ثورة الفاتح) في الندوة القصيرة التي عقدت خلال شهر الماء (مايو) من عام 1984م. والتي دعيت للمشاركة فيها ـ تجربة قاسية جداً وصعبة لتطبيق النظرية التي يطرحها الكتاب الأخضر. لكن الأهم من ذلك هو أن الأخطاء والأوضاع الصعبة لم تقف حاجزاً أمام عملية التطبيق، بل على العكس كان كل خطأ يحدث هو مجرد درس جديد نتعلم منه.

إن الفرق شاسع جداً بين وضع العمال الليبيين ووضع العمال الأرجنتينيين مثلاً. وأذكر الأرجنتين لسببين رئيسيين أولهما أنني مقتنع تماماً بضرورة إعطاء مثال عن بلدي، والثاني هو أن الأرجنتين تعادل ليبيا أو تفوقها في ثرواتها، وهذا طبعاً يدل على نسبة خضوع الشعب الأرجنتيني لأصحاب رؤوس الأموال.

إن العامل الأرجنتيني قد أصبح رجلاً يائساً نتيجة الصفعات التي تلقاها وخيبات الأمل التي عاناها. فالانتصارات الإجتماعية التي تحققت خاصة خلال فترة الحكم البيروني قد دمرت وانتهت. ليس هناك أي مشاركة في الأرباح، والأجور لا تغطي احتياجات العامل أو على

الأقل تسديد ديونه التي تتراكم شهراً بعد شهر، كما أن الاستقرار في العمل هو أسطورة لا واقع لها، والأدوية تباع بأسعار تفوق إمكانية الفئات المحتاجة، وساعات العمل الإضافية لا تكفي لتغطية احتياجات العامل، زد على ذلك أن الشلل الصناعي يزيد مشكلة البطالة تعقيداً.

إن الأرجنتين هي إحدى أغنى الدول، لكن الأقلية المسيطرة التي تتناوب على الحكم بواسطة حكومات مدنية أو عسكرية قد جعلت من الأرجنتين دولة مستباحة.

أما الجماهيرية فقد حولت يأس شعبها الى سعادة ملموسة، والفضل في ذلك يعود لقرار القائد بتحقيق الثورة الوطنية وتكييف القيم القديمة والجديدة وفقاً لمتطلبات إنسان القرن الواحد والعشرين.

ومن خلال عملية تطبيق المبادىء الاقتصادية المطروحة في الكتاب الأخضر استطاع القذافي أن يؤسس نظاماً جدياً يرتكز على «اشتراكية طبيعية» تقوم على المساواة بين عناصر الإنتاج وتحرر العامل من العبودية وتحث على عودة المجتمع إلى القواعد التي كانت تتبع في الزمن القديم بين الشعوب المؤمنة بالإسلام، كما وتضمن أيضاً للمجتمع توزيعاً عادلاً لثرواته.

ان هذه القواعد الطبيعية هي برأي القائد المقياس والمرجع والمصدر الوحيد للعلاقات الإنسانية.

ويقول القذافي: «إن عمليات استغلال إنسان لإنسان واستحواذ فرد على أكثر من حاجته من الثروة، هي ظاهرة الخروج عن القاعدة الطبيعية وبداية فساد وانحراف حياة الجماعة البشرية وهي بداية ظهور مجتمع الاستغلال».

كما يقول أيضاً: «القاعدة الطبيعية للمساواة هي: أن لكل عنصر من عناصر الإنتاج حصة في هذا الإنتاج، لأنه اذا سحب واحد منها لا يحدث انتاج، ولكل عنصر دور أساسي في عملية الإنتاج، وبدونه يتوقف الإنتاج».

وفي اقتراحاته لحل المشكل الاقتصادي يشير القذافي الى التحول الذي يتم في مجال الإنتاج نتيجة التقدم التقني. وهو مقتنع تماماً بأن العمال قد بدأوا يتغيرون كماً وكيفاً وبأن طبقة العمال هي في تناقص مستمر يتناسب طرداً مع تطور الآلات والعلم.

إن ليبيا قد عرفت كيف تتكيف مع هذه الظروف. فمعاهدها ومدارسها وجامعاتها مجهزة لإعطاء الطالب التحضير الضروري للمشاركة في مجال الإنتاج، والتدرب على استخدام أحدث المواد والأجهزة التقنية. إن الأرقام التي تشير الى عدد الطلاب اليوم في الجماهيرية تتحدث عن نفسها، والعمال الليبيون تزداد معرفتهم سنة بعد سنة، بالإضافة الى أنه يتم حالياً إرسال بعض الطلاب الى الخارج لتلقي دراسات عالية وتحضيرهم ليتسلموا مهام ذات مسؤولية كبرى.

ويقول القذافي أن العمال يتحولون بفعل التطور الى فنيين، كما يؤكد على أن نقابات العمال ستختفي نتيجة لذلك وتحل محلها نقابات المهندسين والفنيين، إذ أن التطور العلمي هو مكسب

للإنسانية لا يمكن العودة عنه، وأن الأمية مقضي عليها بحكم هذا التطور، وأن الشغيلة العادية ظاهرة مؤقتة آخذة في الاختفاء تدريجياً أمام التطور العلمي. بيد أن الإنسان بشكله الجديد سيبقى دائماً عنصراً أساسياً في عملية الإنتاج.

إن مقولة «في الحاجة تكمن الحرية» هي جزء من رموز فكر القذافي في مجال المشكلات الاقتصادية، حيث يؤكد على أن حرية الإنسان ناقصة اذا تحكم آخر في حاجته، فالحاجة قد تؤدي الى استعباد إنسان لإنسان. إن الحاجات هي حاجات منذ عصر الإنسان البدائي حتى عصرنا هذا. والفارق يكمن فقط في أن الإنسان البدائي كان يرتدي ملابس بدائية ويتغذى من لحوم الحيوانات التي كان يصطادها، بينما إنسان اليوم يناضل من أجل تغطية حاجات لا تقتصر فقط على الملابس أو الغذاء، فالحاجات التي يعمل إنسان اليوم على تغطيتها هي معنوية ومادية بقدر ما هي فكرية ومظهرية. وهناك دون شك أسر وأفراد لا يستطيعون حتى تغطية أدنى حاجاتهم الضرورية، بمعنى أنهم معرضون للموت من الجوع أو من البرد أو من الحرّ، كما هو الحال في عدد من الدول الآسيوية والإفريقية.

إن إنسان المغاور والكهوف كان على الأقل يصارع الحيوانات الضارية مستجيباً بذلك لغريزة الوقاية والدفاع عن النفس، لكن إنسان اليوم، ونذكر على سبيل المثال الهنود أو السودانيين، يستسلم للموت من الجوع أو من العطش دون أن يستطيع إنقاذ نفسه.. يبحث في عالم الفناء عن السلام والسعادة اللذين لم يتمتع بهما في عالم الوجود.

«في الحاجة تكمن الحرية».. هذا هو عين الصواب، فالاستهلاك والمتطلبات لها قاعدة طبيعية هي الحاجة. و إشباع حاجات الإنسان يعني إعطائه الإمكانيات الواقعية لتحقيق ذلك. لكن الأنظمة الاقتصادية القائمة حالياً في العالم والتي تستجيب لمختلف أشكال الرأسمالية الليبرالية والشيوعية، تشبع حاجات الإنسان الحيوية مقابل حريته.

إن هذه الأنظمة الاقتصادية التي غايتها تحقيق الأرباح، تقوم بتكديس الثروات في الوقت الذي يموت فيه ملايين الأشخاص من الجوع في كافة أنحاء العالم.

إن المهمة الرئيسية للسياسة الاقتصادية الثورية هي خدمة المصلحة العامة والبحث عن الطرق المناسبة لإشباع حاجات الإنسان دون أن تقوم مقابل ذلك بتقييد حريته.

وهكذا فإن النظام الاقتصادي الذي يطبق حالياً في الجماهيرية وفق نظرية القذافي يؤكد على الميزة الإجتماعية للاستهلاك ولا يقتصر فقط على إشباع حاجات الفرد بل يشمل الأسر والجماعات الإجتماعية التي تعيش ضمن هذا المجتمع.

إن هذا النظام يقوم حالياً بإشباع حاجات الإنسان الليبي كلها، بمعنى أن هذا الإنسان يتمتع بحرية مطلقة وليس مرغماً مقابل إشباع حاجاته على أن يكون عبداً لأحد أو منتمياً بالقوة لنظام سياسي يضع أمامه أحد الخيارين: إما أن يحصل على كل شيء و إما أن لا يحصل على شيء.

إن أعداء نظرية القذافي وأعداء النظام القائم حالياً في الجماهيرية هم في الحقيقة عملاء وخونة عالميون يعملون لمصلحة الامبريالية ولخدمة المصالح الفئوية الإقليمية. وأما الذين يُسمّون بالمنشقين أو المعارضين فهم ليسوا سوى مجموعات كان تتمتع قبل قيام ثورة الفاتح بامتيازات خاصة في الوقت الذي كان فيه الشعب محروماً من ثرواته ومن موارد بلده النفطية.

إن الأسرة في ليبيا اليوم تملك مسكنها ومركوبها، كما تتمتع بالعناية الصحية المجانية والتعليم المجاني، لا بل أكثر من ذلك، فالجامعات الليبية، كجامعة قاريونس في بنغازي التي أتحيت لي الفرصة بزيارتها عدة مرات، والتي هي من أحداث الأبنية، تحتوي على مساكن مريحة للطلاب الذين يقيمون في مناطق بعيدة ولا يتمكنون من التنقل يومياً بين الجامعة ومقر سكنهم.

إن كل هذه المساكن بالإضافة الى خدمات أخرى كالعناية الصحية والتغذية والتنقل، كلها تقدم للطالب بصورة مجانية.

إن النظام القائم في الجماهيرية اليوم وفق نظرية القائد يمنع منعاً باتاً أن تقوم أية مؤسسة أو حتى المجتمع نفسه بالتحكم في حاجات الإنسان.

ملكية الأرض:

إن نظام ملكية الأرض يستحق بعض الاعتبارات الخاصة لأن العقيد القذافي قد طرح وطبق نظاماً يتيح للأسرة العمل في الأراضي وحدها أو بالمشاركة مع أسر أخرى لإشباع حاجاتها المادية أو بالأحرى لتكوين مؤسسة جماعية تكون هي شريكة في إنتاجها. وسوف نتطرق في الفصول اللاحقة الى كيفية تنظيم وعمل أي مؤسسة جماعية زراعية في الجماهيرية.

لا توجد في نظرية القائد غاية مشروعة أخرى لنشاط الأفراد الاقتصادي الا إشباع حاجاتهم فقط «فلا يحق لأي فرد القيام بنشاط إقتصادي بغرض الاستحواذ على كمية من ثروة المجتمع أكثر من إشباع حاجاته لأن ما يزيد عن حاجاته هو حق لأفراد آخرين».

والقذافي في نظريته ينتقد الرأسمالية الليبرالية بقدر ما ينتقد الشيوعية، ويؤكد على أن ما يصفه بتجربة جديدة هو تتويج نهائي لكفاح الإنسان من أجل استكمال حريته وتحقيق سعادته وذلك بإشباع حاجاته وبإزالة الاستغلال وبوضع حد نهائي للطغيان وبإيجاد طريقة لتوزيع ثروة المجتمع توزيعاً عادلاً.

إن التجربة الاشتراكية في ليبيا هي تجربة جدّ إيجابية حيث أنها تضمن عملية إشباع كل حاجات الإنسان المعنوية والمادية التي ينادي بها القائد كحق مشروع ومقدس لكل مواطن.

والقذافي يعتبر أن الخطوة النهائية هي بناء مجتمع جديد يرتكز على اختفاء الربح الذي يعتبر أساس الرأسمالية الليبرالية التي وضعت الإنتاج والإستهلاك في خدمة الربح مدمرة بذلك النظام الإقتصادي الطبيعي.

إن الاندفاع للربح، ودائماً على حساب مآسي الآخرين، يزداد حدة ويؤدي الى فقدان

بعض المنتجات من الأسواق، وذلك بسبب توزيعها من قبل المحتكرين في الوقت الذي يناسبهم.. هذا ما يحصل باستمرار في عصرنا هذا.

والاقتصاد الشيوعي الذي كان يتميز حتى عام 1965م. بتفاديه لقانون الربح اتخذ فيما بعد طابع مؤسسات استراتيجية تجارية تعمل للربح ووفق قانون «العرض والطلب».

ان الكتاب الأخضر يعارض كل أشكال الأنظمة التي تعتمد الربح أساساً لها، ويؤكد على أن الحل النهائي هو إلغاء الربح، لكنه يضيف بأن الربح هو محرك للعملية الاقتصادية ولهذا فإلغاء الربح ليس مسألة قرار بل هو نتيجة تطور للإنتاج الاشتراكي تتحقق إذا تحقق الإشباع المادي لحاجات المجتمع والأفراد.

ويؤكد القذافي في نظريته على ضرورة تحرير خدم المنازل من وضعية الرق التي هم فيها فيقول أن الحل هو «تحويلهم الى شركاء خارج المنازل»، كما يؤكد على أن «حل مسألة الخدمة المنزلية الضرورية لا يكون بخدم.. بأجر أو بدون أجر، وإنما يكون بموظفين قابلين للترقية أثناء أداء وظيفتهم المنزلية، ولهم الضمانات الإجتماعية والمادية كأي موظف في خدمة عامة».

إن نظام ملكية المجتمع للأرض ـ كما هو الحال أيضاً في باقي قطاعات الإنتاج ـ يزيل إمكانية وجود اليد العاملة الأجيرة، ويدعو إلى قيام الرجل أو المرأة بأي نوع من خدمات المنزل، حيث من واجب كل أسرة أن تخدم منزلها.

طبيعة العدالة للاشتراكية:

إن النظرية العالمية الثالثة ـ حسب تصريحات القذافي ـ لا تتطابق بأي شكل من الأشكال مع الاشتراكية الدولية الماركسية ـ اللينينية التي بنت في دول الفلك الشيوعي مجتمعاً يتميز باستغلال الدولة للإنسان. وهذه الدولة هي كالدولة التي تسمح في الفلك الرأسمالي باستغلال الإنسان للإنسان.

وقد قال بيرون جملة هي في غاية الأهمية وتصلح هنا للتمييز بين الاشتراكية الوطنية كالاشتراكية في الكتاب الأخضر بمفهومها وتطلعاتها والإشتراكية الدولية التي تنتهجها الأنظمة الشيوعية. فقال بأن أحد الأخطاء الفادحة التي يرتكبها البعض في عصرنا هذا هو ربط عبارتي الديمقراطية والليبرالية. فهناك دون شك ديمقراطية ليبرالية. لكن هناك أيضاً ديمقراطيات أخرى كثيرة تظهر في العالم بصيغ تختلف تماماً عن الليبرالية. وبهذا الأسلوب أيضاً يتم ربط الاشتراكية بالماركسية، فهناك بدون شك اشتراكية ماركسية لكن هناك أيضاً في هذا العالم اشتراكيات من نوع آخر.

وقال القائد الأرجنتيني أيضاً أن العدالة لم تكن سوى تحولاً ضرورياً وسلمياً إلى اشتراكية وطنية وإنسانية تتناقض مع الإصرار الرجعي أو مع نفوذ الاشتراكية الدولية الشيوعية اللذين كانا متحدين فيما بينهما ومرتبطين بعضهما ببعض بواسطة الحبل السرّي للسيناركية الدولية.

إن القذافي قد أجرى حتى الآن توضيحات عديدة للجانب الاقتصادي للنظرية العالمية الثالثة وقارنها مع الاشتراكية الدولية الماركسية ـ اللينينية. وهو يؤكد على وجود خدعة كبيرة يتم تحريكها على مستوى دولي لربط الاشتراكية بالشيوعية.

إن فكر القذافي لم يقتصر على النظرية فقط، وهذا ما سنوضحه في الجزء الثالث من هذا الكتاب عندما نتحدث عن انجازات التجربة الثورية الليبية. ان التعرف الى الجماهيرية يمكن من رؤية الواقع ومن لمس ثمار النظرية العالمية الثالثة.

وفي انتقاداته للحلول التي كانت تحاول طرحها الرأسمالية أو الشيوعية للمشكل الاقتصادي، يقول القذافي أن الحلول التي يتخذها كل من «الشرق» و«الغرب» والتي تفتقد لطموحات كافية وتتطلب بصورة عاجلة نظرية عالمية ثالثة قد سببت الويلات للإنسانية. إن الرأسمالية قد سببت ضرراً وأذى للإنسان، والكل يعرف أن الرأسماليين يحثون الدولة على إعلان الحرب ليتمكنوا من بيع أسلحتهم ومواصلة عمل مصانع الأجهزة الحربية.. وكثيراً ما تعلن الحرب ضد شعوب بريئة. ان كل حياة الغرب الاجتماعية قد تعطلت بسبب الثراء الذي هو الهدف الوحيد لهم. ان من لا يملك رأسمالاً ليس له مكان وصوته لا يسمع. إن رأس المال يسبب اندلاع الحروب ويوجه سياسة أمريكا الشمالية ويساعد على صناعة قنابل ذرية وأسلحة مدمرة أخرى ضد الإنسانية.

إن بيرون قد نادى بمبدأ الحرية في المجال الاقتصادي واستنكر الوضع الذي في ظله يتمتع الأثرياء بحرية القيام بما يريدون بينما يتمتع الفقراء بحرية واحدة هي حرية الموت جوعاً.

الرأسمالية الليبرالية بما فيها نظام الربح، قد ساقت الغرب الى ضرب النظام الاقتصادي الطبيعي الذي كان يطبق في المجتمع المسيحي الأوروبي الى أن استولت البورجوازية على السلطة. وكما يقول القائد إن الحظ أو عوامل أخرى لا يمكن أن تتدخل في التنظيم الطبيعي للمجتمع ومؤسساته.

لهذا، وتمشياً مع التجربة في ليبيا يبدو أنه من الضروري مهاجمة النظام الرأسمالي في مسبباته وليس فقط في عواقبه.

إن الرأسمالية هي السبب الأساسي للفوضى الإجتماعية والشيوعية هي نتيجتها. ومن مآثر الجماهيرية أنها رفعت راية جديدة للشعوب المقهورة التي ـ بعيداً عن كل فوارق دينية أو عنصرية ـ ترفع ذراعها المسلح للتحرر من الوصاية الامبريالية أياً كان شعارها الايديولوجي.

إن الطبيعة الثورية لهذه التجربة الليبية في المجال الاقتصادي تدعو الى شرحها جيداً. وكما أشرت في كتابي السابق لابد من التركيز على أنه رغم المصاعب التي نتجت عن تطبيق هذه النظرية الجديدة فإن النشاط الاقتصادي في الجماهيرية يتم ضمن إطار العمل الجماعي وليس العمل الفوضوي الذي يقوم في ظله كل إنسان بإنتاج ما يحلو له والكمية التي يريدها، فالمؤسسة الجماعية الليبية تستجيب لحاجات المجتمع ومتطلباته.

إن اللجان الشعبية تدير كل النشاط الإنتاجي في ليبيا، حيث تختار الأشخاص الأكثر كفاءة وتقوم بتدريب الشباب وبتحضيرهم لتسلم مهامهم عندما يحين موعد (التبدل الجيلي).

إن البناء الإقتصادي يتم عبر تفوق كل وحدة من التناقضات الداخلية التي تنبع من أعمال مختلف القطاعات، وهذه تتمكن عبر هذا البناء من الإنضمام للتيار التاريخي الإرشادي الذي يقود الشعب العربي الليبي نحو إتمام مهمته العالمية.

□ الكتاب الأخضر وإعادة ترسيخ القواعد الإجتماعيـــــــــــــــــــة □

في الجزء الثالث من الكتاب الأخضر يدافع العقيد القذافي عن القيم الأساسية للمجتمع المسلم العربي الليبي مركزاً على دور المرأة وراسماً في دراسته وطرحه الطريق لتحقيق الترسيخ النهائي للأسس الإجتماعية التي تدمرت خلال قرون عديدة كانت الجماهيرية فيها تخضع لمختلف أنواع الاستعمار.

إن القذافي يعتبر الثورة الإجتماعية جزء من الثورة الوطنية التي تفجرت في ليبيا لترسيخ النظام الطبيعي والتأكيد على أن الإنسان هو مخلوق استخلفه الله في الأرض، وأن الأسرة هي الخلية الحيوية للمجتمع وهي التي تعطي الفرد ليس الحياة فقط بل أيضاً التربية، وكذلك لترسيخ روح التضامن كقاعدة للتآخي والتعايش الوطني، وللتأكيد على أن الأمة لا تنتهي عند حدود الجماهيرية بل أنها تشمل الوطن العربي كله، ولترسيخ الدين الذي هو بالنسبة للقائد الثوري مصدراً لوحيه وأعماله.

الركن الإجتماعي:

إن العامل الإجتماعي بالنسبة للقذافي هو المحرك للتاريخ الإنساني، والرابطة الإجتماعية بالنسبة له هي التي تربط الجماعات البشرية من الأسرة الى القبيلة الى الأمة وهي بدون شك أساس حركة التاريخ..

ويؤكد القائد على أن أبطال التاريخ هم أفراد ضحوا من أجل قضايا دفاعاً عن جماعاتهم الإجتماعية وتمسكوا بفكر يفوق في أهميته أهميتهم الفردية.

إن أهمية الجماعات الإجتماعية ازدادت على مر الزمن نظراً لإنضمام جماعات لأخرى وذلك لتشكيل أمة. وأفسحت النضالات الإجتماعية الضخمة المجال للنضالات الوطنية التي رفعت أحياناً راية الثورة الإجتماعية وحملتها الى خارج حدودها.. وهذا هو ما تفعله الجماهيرية الآن.

إنه طبيعي إذن أن نلتقي مع القذافي في تأكيده على أن القومية هي أساس بقاء الأمم، وعندما تفقدها تفقد وجودها.

إن النضال لترسيخ العامل الإجتماعي هو قضية حياة أو موت.. هي قضية وجود.

ويقول القذافي إن «القومية في عالم الإنسان والحيوان مثل الجاذبية في عالم الجماد والأجرام، فلو تحطمت جاذبية الشمس لتطايرت غازاتها وفقدت وحدتها. ووحدتها هي أساس بقائها، إذن، البقاء أساسه عامل وحدة الشيء. وعامل وحدة أي جماعة هو العامل الإجتماعي».

ويقول القائد أيضاً إن «العامل القومي.. الرابطة الاجتماعية، يعمل تلقائياً على دفع القوم الواحد نحو البقاء مثلما تعمل جاذبية الشيء تلقائياً على بقائه كتلة واحدة حول النواة. إن إنتشار الذرات وتطايرها في نظرية القنبلة الذرية ناشيء من تفجير النواة مصدر الجذب للذرات التي حولها فعندما يدمر عامل الوحدة لتلك الأجسام وتفقد الجاذبية تطير كل ذرة على حدة، وتنتهي القنبلة الى تطاير ذرات وما يصحبها. هذه هي طبيعة الأشياء. ان هذا قانون طبيعي ثابت وتجاهله أو الاصطدام به يفسد الحياة. وهكذا تفسد حياة الإنسان عندما يبدأ تجاهل القومية.. العامل الإجتماعي.. جاذبية الجماعة سرّ بقائها..».

وحول الدور الذي يلعبه الدين في أي مجتمع كان، يؤكد القائد على أن انسجام المجتمع يكمن بشكل أساسي في وجود قاعدة دينية تعتبر عاملاً قوياً للوحدة مبيّناً أن الانسجام والاستقرار في حياة الجماعات يقومان عندما ينطبق العامل الإجتماعي مع العامل الديني.

وفي الواقع، ان الأنظمة الإجتماعية هي التي يجب أن تنطبق مع الدين، كي لا تقع في التصورات المادية التي تتجاوز حدود الفكر لتتحكم بحياة الشعوب اليومية عبر القوانين والأنظمة التي ترتكز عليها النظريتان العالميتان الرأسمالية والشيوعية.

إن الرجال المؤمنين كالقذافي يعملون على معرفة درجة التقارب بين النظام الاجتماعي والأسس التي يرتكز عليها هذا النظام وبين قيم الإسلام التي انتقلت الى الأمة بواسطة القانون الطبيعي وبوحي النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وهكذا فإن القذافي كقائد روحي وسياسي لا يستطيع أن يتجاهل، وخاصة بعد طرحه النظرية العالمية الثالثة، المسائل التي تتعلق بالحياة الخلقية والدينية للإنسان.

إن قيم المجتمع في ظل النظام الإجتماعي في ليبيا تترتب على قيمة واحدة هي نقطة الإنطلاق ونقطة الهدف للتعاون الذي يحث عليه القائد دائماً وهي «الاتحاد التضامني».

إن الطفل لا يولد لقيطاً، فإنه ينتمي لأسرة تنضم بدورها الى مجموعة اجتماعية، تؤمن له الحماية وكل سبل البقاء. إن الأسرة العربية في ليبيا وهي طبعاً موضع دراستنا هذه، تؤمن للطفل التربية الضرورية وفقاً لتقاليدها كي ينضم الطفل فيما بعد الى بيئته الاجتماعية ويضحي من أجلها اذا لزم الأمر. فالقذافي يقول: «إن أبطال التاريخ هم أفراد يضحون من أجل قضايا» وفي قوله هذا ربما يلتقي مع فكر «سانتو توماس» الذي يؤكد في خلاصته اللاهوتية على أن المصلحة العامة هي أسمى من المصلحة الخاصة إذن، فالمجازفة بالحياة من أجل هذه المصلحة هي فضيلة.

لقد أثبت التاريخ أن ثورات المجتمعات قد حدثت دائماً كنتاج للتفكك الاجتماعي. والعقيد القذافي إدراكاً منه لهذا الأمر، يعمل بلا كلل لإزالة عوامل اختلال الأمن الإجتماعي وذلك للمحافظة على استقرار المجتمع.

إن «الاتحاد التضامني» قد مكّن المجتمع التاريخي الليبي من البقاء رغم المخاطر التي كانت تهدد وجوده.

والإنسان في الجماهيرية ليس كجزيرة منعزلة، فهو يرتبط بمجتمعه بروابط لا تتفكك كان موجودة عندما وُلد في هذا المجتمع وستبقى بعد أن يرحل من هذا الوجود. إن العامل الإجتماعي هو أيضاً عامل حياة وهو سرّ الاستمرارية التاريخية للمجتمع.

إن الإنسان الذي يدافع في ليبيا عن النظام الجماهيري والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع هو الإنسان الذي يختلف تماماً عن الإنسان الذي يصوره من يعتبر «روبنسون كروزو» مثالاً للفرد الذي لا يحتاج لأية روابط اجتماعية كي يتمكن من البقاء. لكن، ويجدر بنا أن نتساءل هنا عما اذا كان بإمكان «كروزو» البقاء لولا المعرفة التي نقلتها له الحضارة ولولا إنضمامه لأسرة ولجماعة اجتماعية معينة؟ إن الجواب طبعاً هو كلا..

إن أسطورة «روسو» السخيفة التي لم يصدقها هو نفسه والتي تقول بأن كل مجتمع هو حصيلة تجمع أفراد وُجدوا من قبل، ليست سوى تجرد نفته كل وقائع التاريخ.

الأسرة والقبيلة والأمة في النظرية العالمية الثالثة:

يقول القذافي أن «الأسرة بالنسبة للفرد هي أهم من الدولة» لأنها هي مهده ومنشأه و«مظلته الإجتماعية»، والقبيلة هي الأسرة بعد أن كبرت نتيجة التوالد، إنها مظلة اجتماعية طبيعية للضمان الإجتماعي، والأمة هي مظلة سياسية قومية للفرد وهي عبارة عن أسرة كبيرة بعد أن مرّت بمرحلة القبيلة وتعدد القبائل المتفرعة من أصل واحد.

ويؤكد القذافي على أن العلاقة التي تربط الأسرة هي التي تربط القبيلة، وهي التي تربط الأمة، وهي التي تربط العالم، إلا أنها تفتر كلما كثر العدد. كما يؤكد على أن الرابطة الإجتماعية والتماسك والوحدة والألفة والمحبة أقوى على مستوى الأسرة منه على مستوى القبيلة، وأقوى على مستوى الأمة منه على مستوى العالم. ودون شك، كلما كثر العدد على مستوى العالم، كلما تلاشت واختفت الروابط القومية والقبيلية والأسرية.

إن القبيلة هي بنظر القذافي أسرة كبيرة، توفر لأفرادها كل ما يحتاجونه من منافع مادية ومزايا اجتماعية. ويقول في ذلك «القبيلة هي مدرسة اجتماعية ينشأ أفرادها منذ الطفولة على تشرب مثل عليا تتحول الى سلوك حياة تترسخ تلقائياً كلما كبر الإنسان».

ويرى القذافي أن الدم هو الأصل في تكوين القبيلة، لكنه يؤكد على أن القبيلة لا تتوقف فقط على الدم بل على مكونات أخرى منها الإنتماء، فيقول أنه «بمرور الزمن تتلاشى الفروق

بين مكونات الدم ومكونات الإنتماء، وتبقى القبيلة وحدة اجتماعية ومادية واحدة، ولكنها وحدة دم وأصل أكثر من أي تكوين آخر».

لقد أبدى القذافي دائما بعض القلق بالنسبة للولاء القبلي الذي يضعف الولاء القومي وبالنسبة للصراع القبلي الذي هو عامل تهديد للوحدة القومية.

إن الصراع القبلي قد أسهم، في بعض الحالات، في تدمير جبهة الوحدة الثورية العربية والاستقرار الداخلي في عدة مناطق.

وفي فقرة أخرى من كتابه الأخضر يعلن القذافي أن «الأصل الواحد والإنتماء المصيري هما الأساسان التاريخيان لأية أمة. فيقول بأنه يبقى الأصل في المرتبة الأولى والإنتماء في المرتبة الثانية، فالأمة ليست أصلاً فقط، حتى و إن كان الأصل هو أساسها ومنشأها، ولكن الأمة علاوة على ذلك هي تراكمات تاريخية بشرية تجعل مجموعة من الناس تعيش على رقعة واحدة من الأرض.. وتصنع تاريخاً واحداً.. ويتكون لها تراث واحد.. وتصبح تواجه مصيراً واحداً. وهكذا فالأمة بغض النظر عن وحدة الدم هي في النهاية إنتماء ومصير».

نظرية الدولة في فكر القذافي:

يقول القذافي أن «الدولة القومية هي الشكل السياسي الوحيد المنسجم مع التكوين الإجتماعي الطبيعي، وهي التي يدوم بقاؤها ما لم تتعرض لطغيان قومية أخرى أقوى منها، أو أن يتأثر تكوينها السياسي كدولة بتكوينها الإجتماعي». ويؤكد أيضاً على أن تجاهل الروابط القومية للجماعات البشرية وبناء نظام سياسي يتناقض مع الوضع الاجتماعي، يشبه تشييد مبنى تقوم الجماعات نفسها بهدمه.

أكثر من مرة، ولدى تحضير دراساته في مادة التاريخ أو لدى اطلاعه على أي كتاب يقع بين يديه، يقوم القائد بمراجعة كل التجارب المعروفة عبر التاريخ حول ازدهار ونمو دول أو انهيار دول أخرى.

ان الدولة وفق تعريف «مايوه» لها هي جهاز التركيب والتوعية والقيادة للمجتمع، وهي أيضاً تنظيم السلطة لتكوين المجتمع السياسي، والاثنان أي الدولة والمجتمع قد اتخذا أشكالاً مختلفة على مرور الزمن منذ أيام «الدولة المدينية» اليونانية حتى أيامنا هذه.

لقد أسس القذافي هذا النظام الجماهيري في الوقت الذي تقوم فيه الدول الضخمة بتقييد سيادة الدول وبتجاهل حق الشعوب في تقرير مصيرها، فلا يمكن لأي دولة أن تتصرف كدولة ذات سيادة والا فإنها تصطدم بتلك الدول الضخمة التي ترتبط ببعضها عبر «الحبل السرّي» للسيناركية.

ان سلطة الشعب في الجماهيرية تلتقي في شخص قائدها الروحي والسياسي، وهكذا عن

طريق وحدة شعبها الذي يتمتع بروح الانتصار، أكدت على وقوفها ضد الدول التي تطمع بالسيطرة على العالم.

إن العمل السياسي في الجماهيرية يرتكز على أسس النظرية العالمية الثالثة وبالذات على سلطة الشعب والتي أعلنت في 2 من شهر المريخ (مارس) عام 1977م، كحدث جديد يتمتع بأسمى قيم العزم والقرار التاريخي.

إن الكتاب الأخضر (والنظرية العالمية الثالثة) هو الأساس الأخلاقي والفكري للعمل السياسي في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، بينما القرآن الكريم هو شريعة المجتمع.

وفي الجزء الثالث من الكتاب الأخضر يتحدث القائد عن القيم الدينية ودورها في تشكيل الدول، دون أن يذكر الدين الاسلامي بالذات بل الدين.. أي دين بشكل مطلق.

هذا ما يجعل النظرية العالمية الثالثة مقبولة من قبل المعتنقين لأديان أخرى، وكما أكدت سابقاً فهي تتضمن مبادىء يمكن أن تطبق في أي مكان من العالم.

إن أهم ما يتميز به القذافي هو أنه من جهة لا يستسلم للمواقف النسبية، سواء كانت هذه من مصدر فلسفي أم نتاجاً للطبيعة الإنسانية التي ترفض الاقتناع بأن الحقيقة المطروحة في النظرية هي ذات تطبيق عالمي. ومن جهة أخرى يتقبل بكل تواضع كل الانتقادات والآراء الموجهة له لشرح النظرية وتكييفها وفق التغيّرات التاريخية.

ولتحليل النظرية العالمية الثالثة وكل ما تطرحه من مقترحات، يقوم القائد دائماً بالتشجيع على إقامة المؤتمرات العالمية والندوات والملتقيات الخ.. ليس في الجماهيرية وحسب، بل في دول أخرى كاسبانيا وفنزويلا ويوغوسلافيا واستراليا وبولنده وفرنسا وغيرها.

لقد تأكدت شخصياً في مناسبات عديدة، من الصبر الذي يتحلى به القذافي في تقبله للإنتقادات التي توجه للنظرية العالمية الثالثة والكتاب الأخضر بحضوره. إن هذا الأمر و إن دل على شيء فإنما يدل على تواضع هذا الإنسان.

ان الدولة التي أسسها القذافي في ليبيا تعرف باسم «الجماهيرية» أي «دولة الجماهير»، والسلطة السياسية العليا فيها هي «المؤتمرات الشعبية» خلافاً للدولة الملكية التي كانت توجد في ليبيا قبل قيام ثورة الفاتح. ان السلطة في هذه الدولة الجماهيرية هي بيد الشعب، والفضل في ذلك يعود الى التغيير الجذري الذي أحدثه تطبيق النظرية العالية الثالثة في ليبيا، حيث تحول هذا البلد من فريسة كانت في يد فئات تعمل فقط لمصلحة الدول الكبرى إلى مجتمع قومي يعمل على تأكيد استمراريته التاريخية وتطلعاته القومية والعالمية.

الدور الإجتماعي والإنساني للمرأة في ليبيا:

إن أحد الفصول المهمة في الكتاب الأخضر هو دون شك الفصل الذي يتحدث عن المرأة

ودورها الجديد في ما يسمى «بعصر الجماهير». إن هذه المقترحات حول المرأة ودورها في المجتمع، لو طرحها أي مسؤول عربي عميل لكانت وسائل الاتصال قد قامت بإبراز هذا العمل.

لكن بما أنها صادرة عن فكر رجل ثوري هو القذافي و إبرازها يعني إبراز إحدى حسناته وبالتالي مناقضة «الأساطير السوداء» التي تطلقها ضده الصهيونية والإمبريالية، فإن وسائل الإتصال هذه قد قامت بإسدال الستار على فكر القذافي ووجهة نظره بالنسبة للمرأة وعلى الدور الذي تلعبه المرأة الآن في الجماهيرية.

و يبدأ القذافي طرحه في الكتاب الأخضر بتحليل الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة و يؤكد على أن كلٍ منهما يجب أن يؤدي الدور الذي أعطي له، فيقول: «إن هذه المعطيات الطبيعية تكون فروقاً خلقية لا يمكن أن يتساوى فيها الرجل والمرأة. وهي في حد ذاتها حقيقة ضرورة وجود ذكر وأنثى أي رجل و إمرأة. وان لكل واحد منهما دوراً أو وظيفة في الحياة مختلفة عن الآخر.. ولا يمكن أن يحل فيها الذكر محل الأنثى على الإطلاق. أي، لا يمكن أن يقوم الرجل بهذه الوظائف الطبيعية بدل المرأة.. والجدير بالإعتبار أن هذه الوظائف البيولوجية عبء ثقيل على المرأة يكلفها جهداً وألماً ليسا هينين. ولكن بدون هذه الوظيفة التي تؤديها المرأة تتوقف الحياة البشرية. أي، هي وظيفة طبيعية ليست اختيارية وليست إجبارية، ثم هي ضرورية، وبديلها الوحيد توقف الحياة البشرية تماماً».

إن أفظع جريمة يرتكبها الإنسان هي الإجهاض الذي ينتقده القذافي انقاداً شديداً في كتابه الأخضر. وهذا بالطبع أمر مشجع حيث أن القذافي كقائد سياسي يعلن عن رأيه بالنسبة للإجهاض الذي يؤلم ملايين المؤمنين الذين يرون، دون أن يتمكنوا من فعل أي شيء، كيف يتم خطف حياة الجنين الذي يكون أحياناً في مرحلة متقدمة من التكوين، وذلك تحت حماية قوانين خاصة تطبق في دول عديدة، وكأن ذلك إنجاز بشري هام.

وحول هذا الموضوع يقول القذافي «هناك تدخل إرادي ضد الحمل، ولكنه هو البديل للحياة البشرية، وهناك التدخل الإرادي الجزئي ضد الحمل.. (ويقصد طبعاً الإجهاض ووسائل منع الحمل)، وهناك التدخل ضد الرضاعة، ولكنها حلقات في سلسلة العمل المضاد للحياة الطبيعية والتي على قمتها القتل.. أي، أن تقتل المرأة ذاتها لكي لا تحمل ولا تنجب ولا ترضع..».

ويعلن القذافي عن رفضه لأن يربى الطفل في دور الحضانة فيقول بأن الأمومة الطبيعية ليست فقط أن يتكون الطفل في بطن أمه بل أيضاً أن ينشأ في أسرة فيها أمومة وأبوة وأخوة..

كما يرفض القذافي رفضاً قاطعاً أن تتخلى المرأة عن دورها الطبيعي في الولادة والأمومة ـ لأسباب وظروف مختلفة ـ لتقوم بأعمال تتعارض مع دورها الإجتماعي والأمومي فيقول: «إن المرأة المحتاجة لعمل يجعلها غير قادرة على أداء مهمتها الطبيعية هي غير حرّة ومجبرة على ذلك

بفعل الحاجة». كما يقول: «إن العبارة القائلة بأنه لا فرق (في كل شيء) بين الرجل والمرأة «هي الخدعة الكبيرة للمرأة وهي التي تحطم الظروف الملائمة والضرورية التي تكون حاجة للمرأة لابد أن تتمتع بها دون الرجل وفقاً لطبيعتها التي رتبت عليها دوراً طبيعياً تؤديه في الحياة».

ويقول القذافي أن «المسألة ليست أن تعمل المرأة أو لا تعمل.. فهذا طرح مادي سخيف ــ فالعمل يجب أن يوفره المجتمع لكل أفراده القادرين عليه والمحتاجين له رجالاً ونساءً، ولكن أن يعمل كل فرد في المجال الذي يناسبه.. وأن لا يضطر تحت العسف أن يعمل ما لا يناسبه..

أن يجد الأطفال أنفسهم في ظرف عمل الكبار ذلك جور ودكتاتورية، وأن تجد المرأة نفسها في ظرف عمل الرجال ذلك أيضاً... جور ودكتاتورية أيضاً، ليس هناك فرق في الحقوق الإنسانية بين الرجل والمرأة، والكبير والصغير.. ولكن ليست ثمة مساواة تامة بينهم فيما يجب أن يقوموا به من واجبات».

ان هذا الطرح واضح جداً، وأكرر بأنه في غاية الأهمية حيث أنه ينبع من فكر رجل يقود ملايين الأشخاص الذين يطبقون كل توجيهاته وارشاداته بقناعة والتزام.

ان كل هذه الأمور أي الإجهاض ووسائل تحديد النسل ومسألة الأمهات البورجوازيات اللاتي لا يقمن بدور الرضاعة، ومسألة الأنظمة التي تحث على إنشاء دور الأيتام بدل من أن تحث على تبني الأطفال، ومسألة الظروف التي ترغم المرأة على العمل وتجبرها على التخلي عن دورها الطبيعي، وكذلك مسألة الأمهات اللاتي ينجبن الأطفال من أجل أن يعملوا فقط، هي كلها أمور يعالجها القذافي، وإنه بمعالجته لها قد أصبح في طليعة الشخصيات العالمية التي تعتبر هذه الأمور أعمالاً إجرامية وتعمل على معالجتها.

إن هذا العمل الذي يقوم به القذافي يتناقض تماماً مع العمل الذي تقوم به شخصيات مثل «جيرالدين فيرارو» التي ترشحت لمنصب نائب الرئيس في الولايات المتحدة الأمريكية عن الحزب الديمقراطي، فقد قامت هذه المرأة، رغم أنها تدعي بأنها كاثوليكية، بالإدلاء بتصريحات تؤيد فيها عملية الإجهاض، وذلك طبعاً للحصول على أكبر عدد من الأصوات في بلدها الذي يسمح للمرأة بأن تقوم بمثل هذا العمل الإجرامي.

وهذا ما يحدث أيضاً في ظل «الديمقراطيات الأوروبية» حيث يتحدث المسؤولون فيها يومياً عن «الحقوق الإنسانية» في الوقت الذي يتمسكون فيه هم أنفسهم بالأنظمة التي تبيح عملية الإجهاض التي تتم بملقط يسحق رأس الجنين في بطن أمه.

إننا إذا أردنا أن نحكم على تصرف القذافي وعمله لا يجب أن ننسى بأنه رجل مسلم يدافع عن إيمانه ويتصدر كافة الشخصيات التي تتمتع بروحية قوية والتي تعمل لوضع حد لجريمة الإجهاض.

الأقليات والسود:

تقول النظرية العالمية الثالثة «الأقلية نوعان لا ثالث لها، أقلية تنتمي الى أمة وإطارها الاجتماعي هو أمتها، وأقلية ليس لها أمة، وهذه لا إطار إجتماعي لها إلا ذاتها.. وهذه الأقلية لها حقوقها الإجتماعية الذاتية ومن الجور المساس بتلك الحقوق من قبل أي أغلبية. فالصفة الإجتماعية ذاتية وليست قابلة للمنح وللخلع. أما مشكلاتها السياسية والإقتصادية فلا تحل الا ضمن المجتمع الجماهيري الذي يجب أن تكون بيد جماهيره السلطة والثروة والسلاح. إن النظر الى الأقلية على أنها أقلية من الناحية السياسية والاقتصادية هو دكتاتورية وظلم».

إن هذا الفصل من الكتاب قد لا يكون في منتهى الوضوح بالنسبة للبعض، إذ أن هذا المفهوم لا ينتمي لأي مدرسة علمية سياسية معروفة، بالإضافة الى أنه خالٍ من الأمثلة. ولهذا فإن أي تفسير له قد يكون خطيراً، لكن بعد الإطلاع على فكر القائد يتضح لنا بأن ما يقصده هو الأقليات العنصرية والقومية، التي هي، كل منها على حدة، مجموعة سكان من جنس أو من سلالة واحدة، تعيش في مجتمع يزيدها عدداً، وتختلف عنه في عوامل عديدة هي: الجنس والعرف والعادات وأحياناً الدين واللغة، هذا بالنسبة للأقلية العنصرية، أما بالنسبة للأقلية القومية فالعوامل هي نفسها باستثناء عامل الجنس أحياناً.

ان هذه الأقليات الموجودة في المجتمعات تتحول أحياناً الى مسبب لتفكك المجتمع الذي تعيش فيه، فتخون بذلك الروح الأخوية لهذا المجتمع الذي آواها، كما تقوم أحياناً بالتصدي للنظام القائم في هذا المجتمع الا اذا أشبعت حاجاتها وطموحاتها.

والأقلية العنصرية ـ كاليهود والغجر مثلاً ـ هي في جوهرها مناقضة للاندماج، وهي مصدر دائم للاضطرابات حيث أنها تصطدم مع فئات أخرى من المجتمع الذي تعيش فيه. لهذا السبب يقترح «مايوه» أن يتم في بعض الحالات، ولتجنب مساوىء أكبر من قبل هذه الأقليات، الاعتراف لها بامتيازات مجتمع متوسط.

أما الأقلية القومية فهي أيضاً جسم غريب في قلب المجتمع لأنها تعارض الهدف التاريخي لهذا المجتمع وتتصدى لتركيبة الدولة، الأمر الذي يحصل عادة ـ كما يقول «مايوه» الذي تعود إليه كافة المفاهيم السابقة حول الأقليات ـ عندما تقوم الأقلية بالمحافظة على روابطها التاريخية بمجتمعها الأساسي الذي تتلقى منه أحياناً الدعم الذي تحتاجه للقيام بأعمالها التخريبية.

ويطرح القذافي في كتابه الأخضر احتمال توصل الجنس الأسود يوماً ما إلى السيطرة على العالم وفقاً لما تحتمه الدورات التاريخية الإجتماعية التي سجلت سابقاً سيطرة الجنسين الأصفر والأبيض.

ان هذا الفصل الصغير من الكتاب الأخضر لا يفسّر كيف سيسود الجنس الأسود العالم رغم وضعه الحالي المتخلف، لكنه يقول «ان الجنس الأسود هو الآن في وضع اجتماعي متخلف جداً. بيد أن هذا التخلف يعمل لصالح تفوق هذا الجنس عددياً، إذ أن المستوى المتدني الذي

يعيشه السود جعلهم في مأمن من معرفة وسائل تحديد النسل وتنظيمه. كما أن عاداتهم الإجتماعية المتخلفة هي سبب في عدم وجود حد للزواج مما يؤدي الى تكاثرهم بدون حدود، في الوقت الذي يتناقص فيه عدد الأجناس الأخرى بسبب تحديد النسل وتحديد الزواج وبسبب الإنشغال بالعمل الدائب، خلافاً للسود الذين يمارسون الخمول في جو حار دائم».

لقد قلت في كتابي السابق أنه من الممكن الاتفاق مع وجهة نظر القذافي حول الوضع الإجتماعي والعادات المتخلفة واللامبالاة التي تخيم على مختلف شعوب الجنس الأسود. لكنه ليس من الممكن التنبؤ لمعرفة كيفية تمكن هذه الشعوب من السيطرة على العالم في المستقبل وهي في وضعها الحالي الذي يذكره القذافي نفسه، في الوقت الذي توصل فيه الجنس الأصفر والجنس الأبيض الى إنتاج وسائل تدمير حديثة.

إن موقفي لم يتغير خلال هذه السنوات. وأعتقد أنه من الضرورة أن يوسّع القائد شرحه لهذا الموضوع كي لا يبقى موضوع «السود سيسودون العالم» في الكتاب الأخضر مقتصراً على فقرات قليلة لا تسمح بتسليط الضوء الكافي على هذه المسألة المعقدة.

المعرفة حق طبيعي للإنسان:

تقول النظرية العالمية الثالثة في مجال التعليم «العلم أو التعليم ليس ذلك المنهج المنظم، وتلك المواد المبوبة التي يجبر الشباب على تعلمها خلال ساعات محدودة على كراسٍ مصفوفة وفي كتب مطبوعة».

وباختصار، إن القذافي ينتقد أنظمة التعليم الإجباري الذي يعتبره طمساً إجبارياً لمواهب الإنسان وتوجيهاً إجبارياً لاختياراته.. ويقول «إنه عمل دكتاتوري قاتل للحرية لأنه يمنع الإنسان من الاختيار الحرّ والإبداع والتألق. أن يجبر الإنسان على تعلم منهج ما، هو عمل دكتاتوري».

ويقترح القذافي بأن تكون دور التعليم شاملة لكل أنواع المعارف، كما يقول «إن عدم الوصول إلى الكفاية منها هو حد لحرية الإنسان، و إرغام له على تعلم معارف معينة وهي المتوفرة، وحرمانه من حق طبيعي نتيجة غياب المعارف الأخرى. فالمجتمعات التي تمنع المعرفة والتي تحتكرها هي مجتمعات رجعية متعصبة للجهل ومعادية للحرية.. المعرفة حق طبيعي لكل إنسان وليس لأحد الحق أن يحرمه منه بأي مبرر الا اذا ارتكب الإنسان نفسه من الفعل ما يمنعه من ذلك. ان الجهل سينتهي عندما يقدم كل شيء على حقيقته.. وعندما تتوفر معرفته لكل إنسان بالطريقة التي تناسبه».

ان القذافي الذي عانى أيضاً من المناهج المحدودة التي كان يفرضها نظام التعليم على الطلاب أيام الحكم الملكي، قد أدرك ضرورة القضاء على الأنظمة والمناهج التقليدية التي

3

واقـــع الجماهيريــة



من النظرية الى الواقع .. مقدمة عن التجربة الجماهيرية

ان الاطلاع على الكتاب الأخضر وشروح النظرية العالمية الثالثة وعلى خطب العقيد معمر القذافي، يؤكد لنا على أننا أمام نظرة انتصارية و إنسانية للدور الذي يلعبه فكر القائد والتجربة الثورية الجماهيرية كنقطة انطلاق لحل المشكلات التي تعاني منها مجتمعاتنا المعاصرة.

فلسفة مثالية تمتزج مع الواقعية، وكأنها من صنع ريشة رقيقة لفنان عبقري، تظهر في كل تركيبة فكر العقيد القذافي. ولا يجب أن ننسى أبداً بأنه ليس منظراً فقط بل قائداً متكاملاً أمثاله قلة في أيامنا هذه. إنه من صمّم ونفّذ ثورة الفاتح، وهو من صاغ النظرية العالمية الثالثة وأودعها في الكتاب الأخضر.. إنه من أسس النظام السياسي الجديد في الجماهيرية.. هذا النظام الذي يرتكز على سلطة الشعب.. انه من وضع استراتيجية العمل السياسي الداخلي والخارجي للقوة الثورية الليبية والعربية والعالمية.. إنه من حرك الجماهير باستمرار لخدمة المصالح العليا للأمة العربية وللإسلام، وهو من أعلن الحرب على الامبريالية بكافة أشكالها التي تعمل على حرمان الشعوب من حقها في أن تكون هي نفسها صانعة سعادتها وقدرها.

إنني خلال ثلاث عشرة سنة خلت، اطلعت على كل ما كُتب عن القذافي وعن ليبيا وعن دور الجماهيرية في المنطقة وعلى مسرح الأحداث العالمية. كما إنني لم أتوقف أبداً عن قراءة ومراجعة كل ما كان يصلني من كتابات للقائد منسجماً مع كل الجوانب الأساسية لنظريته التي بطبيعتها قابلة للتطبيق في مختلف أنحاء العالم.

ولم يكن هناك شيء أعظم من تجربتي بالتعرف عليه شخصياً وتبادل بعض الآراء معه حول نظريته و إمكانية تطبيقها في عصرنا هذا، خاصة وأن التكتلات الضخمة من الدول المنحازة تعمل حالياً على سحق أي ظاهرة حيادية في مجال السياسة الدولية.

وكان من المهم جداً بالنسبة لي التعرف بعمق على واقع الجماهيرية، حيث قمت بزيارات عديدة لتلك المنطقة العربية في شمال افريقيا.

وقد يبدو للقارىء أن الإحساس الشخصي تجاه القائد وشعبه يقلل من موضوعية هذه الدراسة. لهذا أودّ أن أوضح بأنني لست كاتباً فقط بل إنني أيضاً مناضل بيروني، ولا أرضى لنفسي بأن أضع إسمي أو أضمن أي كتاب لا يعكس حقيقة وجهات نظري الشخصية التي

يؤكد عليها نضالي السياسي في حركة العدالة خلال سنوات عديدة. ولو حصل العكس لكان تمسكي العقائدي موضع شك بالنسبة للمسائل التي تتعلق بحياة المجتمع الأرجنتيني على صعيد السياسة الداخلية والخارجية.

لقد قمت في الجزء الأول من هذا الكتاب بدراسة شخصية القائد، وبدراسة نظريته في الجزء الثاني منه وكل ما يطرحه من حلول للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والجزء الثالث هذا سوف أخصصه لدراسة النواحي العملية للنظرية العالمية الثالثة ودراسة التجربة الثورية للشعب العربي الليبي الذي استطاع أن يحقق حريته التامة واستقلاله الحقيقي في الأول من شهر الفاتح (سبتمبر) عام 1969م.

«ان القذافي قد حقق ذلك».. كان هذا دائماً ردي على الأسئلة الكثيرة التي كان يوجهها إليّ كثيرون في كل مرة كنت أعود فيها من ليبيا لمعرفة الأسلوب الذي يتبعه القائد لتحقيق أمر ما، أو لتطبيق أمرٍ آخر من كل ما يطرحه في كتابه الأخضر وفي شروح النظرية العالمية الثالثة.

أن القذافي قد أراد واستطاع أن يحقق في ليبيا تغييرات جذرية وذلك بتطبيق نظريته وفكره الذي يصفه بعض الأغبياء بفكر خيالي يفتقر لأي قدرة على التطبيق والانتشار.

إن هذا «الفكر الخيالي» هو في الواقع فكر مثالي قام بتطبيقه معمر القذافي في الجماهيرية فأصبح واقعاً ملموساً وعنصراً فعالاً لتحريك وقيادة الجماهير الليبية. ولو أن الجماهير قامت بتفسير هذا «الفكر الخيالي» كما يحلو لها، لكان الوضع يختلف تماماً حيث كان ذلك سيؤدي دون شك الى تشوه تحليلي وبالتالي الى انحراف خطير للمجتمع.

ولابد أن نكرر مرة أخرى أنه للتوصل الى تحقيق فهم أفضل لفكر القذافي وكيفية تطبيقه في الجماهيرية علينا أن نقوم عبر هذا الكتاب بشرح فكر القذافي ونظريته ومبادئه وأساليب تطبيق النظرية التي يرتكز عليها هذا النظام الجديد في الجماهيرية والتي قد تعدت حدود هذا البلد الذي طبقت فيه هذه التجربة.

ولو أن القائد قد قام بجمع كل نظريته ومبادئه وأساليب تطبيقها منذ قيام الثورة عام 1969م حتى الآن في كتاب واحد، لكان قد أخذه بعين الاعتبار المفكرون والقادة الذين ينقصهم شيء ما لفهم فكر العقيد القذافي ونظريته.

بيرون، وهو رجل سياسة وعقيدة من الدرجة الأولى، قد أكد بوضوح على أن أي عقيدة دون نظرية تكون دائماً ناقصة، وأن أي عقيدة معها نظرية بدون أساليب تطبيقها تكون أيضاً غير صالحة. أي أن الإنسان لا يكمل الحلقة الواقعية والمتكاملة الا إذا وضع مع العقيدة والنظرية أساليب تطبيقها.

إن النظرية التي هي في الواقع عقيدة والتي نظرها القذافي لم تقتصر فقط على مجرد كلمات توجيهية، فهي تتمتع بواقعية وبأساليب تطبيقها، وإلا كان من المستحيل تحقيق النظام الذي يحظى بتأييد كافة أبناء الشعب.

والإعلام الذي هو سلاح كل حركة ثورية قد يكون أحياناً الأداة المناسبة لغزو العقول، لكنه عندما يستخدم ضمن إطار القيادة السياسية لابد أن يرتكز على ما هو أهم بكثير من شعارات لا يلبث أن يبددها الواقع.

إن القذافي في انتقاداته للديمقراطية التقليدية الحديثة أي الديمقراطية الليبرالية التي هي نتاج للنظام الرأسمالي، لم ينجرف مع تيار تأسيس ديمقراطية مشابهة للديمقراطية السوفياتية كتلك الديمقراطيات التي تنشأ في ظل النفوذ السوفياتي والتي ليست سوى دكتاتوريات مقنعة تفرضها أقلية تقنية بيروقراطية تعمل لخدمة نظرية فاسدة في جوهرها.

إن النظام الجماهيري قد أسس في ليبيا «سلطة الشعب» التي تتكون من المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، ثم من اللجان الثورية التي هي في النهاية من يدافع عن الثورة ويحميها ويبشر بها محلياً وقومياً وعالمياً وليست، كما يعتقد بعض الجهلة، مصدراً للفوضى والبلبلة.

إن اللجان الشعبية هي خلايا منظمة ونشيطة تعمل بشكل أجهزة استشارية للدولة (الجماهيرية) وأجهزة تنفيذية للتوصيات الصادرة عن مؤتمر الشعب العام الذي هو كما ذكرنا الهيئة الشمولية لجمع قرارات المؤتمرات الشعبية وصياغتها و إصدارها.

إن المهمة الأساسية للجان الثورية التي سنقوم فيما بعد بدراسة طبيعتها والتي ظهرت بحكم الواقع عقب ظهور الكتاب الأخضر وليس نتاجاً لتطبيق النظرية، هي حث الجماهير على المشاركة الفعلية في عملية الدفاع عن السلطة الشعبية وترسيخها. وقد وصفها لي القذافي شخصياً بأنها هي العصب الذي يحرك الجماهير وهي شريان المجتمع الثوري وهي وسيلة للإعلان عن الحضارة الجديدة والدعوة لتحقيق الوحدة القومية والدينية.

إن القذافي قد رفض في نظريته وسحق في تطبيقها كل أشكال المؤسسات التقليدية للديمقراطية الليبرالية كالاستفتاء والأحزاب السياسية والمجالس النيابية وأدوات الحكم و«حرية الصحافة» التي ترتكز كلها وبشكل رئيسي على الأساطير الليبرالية التي انتشرت في العالم عقب الثورة البورجوازية التي حدثت عام 1879م.

إنه، وهو في قمة السلطة الروحية والسياسية أمام شعبه الذي أيّده منذ اليوم الذي تفجرت فيه ثورة الفاتح بالإضافة الى تأييد القوات المسلحة والميليشيات الشعبية التي تنضم بشكل منظم لنظام الدفاع القومي، كان بإمكانه، وهذا في منتهى البساطة، أن يبني نظاماً يكون نموذجاً للديمقراطية التقليدية بحيث يستطيع أن يرضي ديمقراطية الأثرياء بالخداع والمكر. لكنه ودفاعاً عن الحقيقة التي ينادي بها ويعلن بأنها «واحدة لا تتغير» قد قام بخلق أسلوب جديد للحياة يتميز بنظام سياسي يكرس سلطة الشعب، حيث ينضم الشعب بواسطتها الى التركيبة الوظيفية التي يعتبر مؤتمر الشعب العام قمتها.

وفي ليبيا، تمتزج النظرية بالواقع، ونستطيع أن نؤكد على أن الواقع قد قطع أشواطاً كبيرة تفوّق فيها على النظرية في مجالات عديدة أهمها المجال الاقتصادي ـ الإجتماعي.

ولم يعد هناك أي أثر لبقايا النظام الإقطاعي الذي كان قائماً في ليبيا حتى عام 1969م.

إن التجربة التي حدثت في الجماهيرية قد برهنت على أنه بالإمكان حل مشكلة الإنتاج، وكما يقول القذافي، على شق الطريق الذي يؤدي الى حل شامل لمشكلات المجتمع الإنساني كي يتمكن الإنسان من تحقيق سعادته ليس فقط بإشباع حاجاته المادية بل أيضاً بتحقيق اقتناعه وتفوقه الروحي.

إن الواقع الجماهيري يظهر لنا واضحاً جلياً عندما نقوم بدراسة تحليلية للوضع الحالي لكافة قطاعات العمل شرط أن تكون هذه الدراسة جدية وتأخذ بعين الاعتبار كافة العوامل الرئيسية لهذا الحدث التاريخي.

إننا لو كنا أمام مجتمع من النوع التقليدي، لكان من السهل جداً بالنسبة لنا إجراء دراسة وتفسير للسلوك الاجتماعي و إطاره القيمي، حيث أن هذا النوع من المجتمعات يتميز بشكل عام بالتناسق النموذجي والنمو البطيء لمزاج وخلق أفراده. لكن الجماهيرية تنمو وتصبو الى مقاييس مجتمع «مشارك» ولهذا السبب فإن مجرد تجربة ناتجة عن عدة زيارات لهذا البلد لا تكفي لتحديد خواصها الاجتماعية تحديداً صحيحاً.

والتيار الإعلامي، الذي بإمكانه أن يجرفنا معه أحياناً، يجب بالضرورة أن نحلله عبر نظارات علمية تمكننا من تفسير واقعه بكل عقده.

ومن الواضح جداً أن هناك ضرورة لإجراء دراسة تحليلية لواقع هذا البلد حيث إنه لا يوجد في الجماهيرية التي أسسها القذافي أي عمل يكون وبشكل مطلق سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو عسكرياً، فكل هذه الأعمال مترابطة فيما بينها.

وفي الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب قد يتمكن القارىء من ملاحظة الترابط بين مختلف العوامل التي ظهرت كنتاج للاستراتيجية المطبقة حالياً في الجماهيرية، والتي تكون دراستها في مجملها دراسة قياسية.

فالأساليب التي تتبعها القيادة العليا التي تتمثل بشخص قائد الثورة، تترابط فيها كل العوامل، ولها جوهر واحد يتكون من المفاهيم والقوانين والتجارب ذات الطابع القيمي والعملي.

إن أي تغيير قد يحصل للتوازن الحالي بين مختلف العوامل في الجماهيرية ويتأكد منه أي دارس وباحث ـ بعد صدور هذا الكتاب ـ فسوف يكون ذلك وبدون شك نتاجاً للحيوية التي يتميز بها هذا المجتمع وهو يعيش مرحلة تحول جذري أو نتاجاً للأهمية التي قد تعطيها لأحد هذه العوامل القيادة المتمثلة ـ كما قلنا ـ بشخص قائد الثورة.

العـــامـــــل الإجتماعي والسيـــــاسي

مجتمع في مرحلة تحول:

إن عدداً كبيراً من الدارسين يتفقون معي أنه من الصعب جداً مهمة إجراء تحليل عميق لمميزات المجتمع العربي الليبي، إذ هو في حالة تحول متواصل و إجراء دراسة لتركيبته الإجتماعية وشرح قوانين تنظيمه الاجتماعي.

فحتى شهر الفاتح (سبتمبر) عام 1969م، كانت ليبيا مجرد منطقة عربية يتمركز أكثر سكانها في أهم المدن بينما الباقي كان لا يزال في وضع بدائي. ولم يكن السكان المتدينون في حالة استقرار حيث أن الوضع الاجتماعي الاقتصادي كان يرغم الأسر وأحياناً القبائل على العودة الى الصحراء، اذ أن الحياة فيها كانت بالنسبة لها أسهل بكثير، بالإضافة الى أن هذه الأسرار أو القبائل كانت تعتبر الصحراء مكانا هادئاً أكثر من المدن الضخمة.

وكان السكان المقيمون على طول السواحل الليبية ينصرفون للخدمة في مزارع المالكين الأجانب الذين كان أكثرهم من أصل إيطالي والذين كانوا قد قدموا الى ليبيا خلال مرحلة الاستعمار الإيطالي التي بدأت في مطلع هذا القرن.

أما باقي السكان فكانوا ينصرفون لبيع المصنوعات اليدوية أو للقيام بخدمة ما في الإدارة العامة أو في المؤسسات الأجنبية، علماً بأن خدماتهم كانت تعتبر دائماً من الدرجة الثانية أو الثالثة.

وأما القبائل كقبيلة «القذاذفة» التي ينتمي إليها معمر القذافي فقد كانت معتادة على العيش بأقل ما هو مطلوب لذلك وعلى الحياة القاسية، كما كانت متحدة فما بينها اتحاداً تضامنياً.

ومع انتصار ثورة الفاتح وطرد المستعمرين الطليان من الأراضي الليبية، بدأ يزدهر في ليبيا قطاع الزراعة والمواشي الذي تركزت عليه وعلى القطاع البتروكيميائي كل الاستثمارات، وبالتالي تم استخدام أحدث وسائل الريّ والزراعة فتحسنت الأراضي وأصبحت مئات الآلاف من الهكتارات صالحة للزراعة وذلك على طول ألفي كيلومتر من السواحل الليبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

إن النمو السريع للقطاع الزراعي ولسياسة الجماهيرية في هذا المجال قد أحدث تعديلات

وتغييرات كبيرة في التركيبة الاجتماعية التي لا يمكن شرحها وتوضيحها الا عبر دراسة عميقة ومفصلة.

إن السكان المتمدينين الذين كان أكثرهم يتمركز في المدن الساحلية وخاصة في مدينتي طرابلس وبنغازي، بدأوا ينتقلون منذ عدة سنوات إلى أماكن أخرى للاستفادة من المشاريع السكنية في المناطق الزراعية التي كانت الجماهيرية تقدمها للمواطن تمشياً مع سياسة الدعم للقطاع الزراعي في منطقة يبلغ طولها حوالي ألفي كيلومتر وعرضها عدة مئات من الكيلومترات. وتربط هذ المراكز الزراعية بالمدن الرئيسية طرقات جديدة، كما تم فيها أعمال الريّ الضخمة التي ساعدت في توسيع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة حيث امتدت هذه الأراضي الى جنوب مدينة سبها الواقعة في منطقة فزان المعروفة تاريخياً بأراضيها الجرداء القاحلة.

لقد تم تغيير التركيبة التي كانت ترتكز عليها ليبيا في مرحلة ما قبل الثورة وذلك بعد سنوات عديدة من العمل المتواصل لتحسين الصناعات الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، وهذه الأخيرة لا تزال في طور البداية، بالاضافة الى تحقيق الازدهار الاقتصادي في كافة مجالات الإنتاج. زد على ذلك تخرج عدد كبير من المهنيين والفنيين من الجامعات والمعاهد الفنية المتخصصة، في ليبيا وفي دول أخرى، وكذلك تطور نظام الدفاع الوطني والقومي عبر القوات المسلحة النظامية والميليشيات الشعبية التي أنشئت للدفاع عن النفس ضد أي إعتداء أجنبي.

إن المجتمع الليبي ليس مجتمعاً جامداً، بل على العكس انه يقوم بمسيرة ديناميكية هي المحرك والدافع للتغييرات الجذرية، و إن أية دراسة جدية وعميقة لهذا الموضوع، لابد أن تبدأ أولاً بتقبل هذا الواقع الذي لا يمكن أبداً تجاهله.

المجتمع الليبي يتحرك باستمرار، وهناك أمور عديدة تعمل الثورة على تكييفها مع النمو الزراعي والصناعي الذي يحتاج دائماً الى سواعد فنية ومهنية و إدارية جديدة.

إن هذه العوامل كلها تعطي ليبيا الجديدة، أي الجماهيرية، طابعاً مميزاً، فقد تغيرت بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة.

إنني وبمساعدة علم التشكل الاجتماعي، قد حاولت أن أحدد البناء الثابت للحياة الجماعية ونوع التنظيم الذي انبثق كنتاج للأحداث الاجتماعية. إن علم الوظائف الإجتماعية، الذي هو فرع من فروع علم الإجتماع الى جانب علم التشكل الإجتماعي، هو علم مهم جداً للتركيز على الواقع الذي لا يتجزأ لهذا المجتمع والقوانين التي بواسطتها تتشكل وتنمو وتتصرف مختلف الجماعات الإجتماعية في الجماهيرية.

إن هذه الدراسة سوف تكون موضوع الكتاب الجديد الذي بدأت بتحضيره والذي سيتطلب مني إقامة طويلة في الجماهيرية ودراسة دقيقة لكل مناطقها. وقد أدت مسيرة التطور الاقتصادي الى تغيّر سكاني عميق حيث أن هناك زيادة ملموسة في نسبة المواليد ونسبة اليد العاملة وعدد الفنيين والمهنيين وموظفي المؤسسات الأجنبية المتواجدة في ليبيا بصورة مؤقتة

وذلك بتعاقد مع الدولة.. هؤلاء الموظفون يزيد عددهم على مليون موظف تقريبا.

إن الجماعات الإجتماعية المستقرة التي تهتم بالأعمال الزراعية قد خفضت عدد سكان المدن الكبيرة، كما أن القبائل البدوية التي تهتم بالمواشي مازالت تقيم في جزء كبير من الأراضي الليبية وخصوصاً في المناطق الصحراوية.

إن الدراسات الحالية تعمل على تحديد أعلى نسبة للكثافة السكانية في كل منطقة من المناطق الليبية وذلك لرفع نسبة استغلال الأراضي الى أعلى مستوى ممكن.

والإقتصاد الليبي يعمل باستمرار على تحقيق الاكتفاء الذاتي وفقاً لمبادىء القذافي و إيمانه بأن الشعوب التي تضطر لاستيراد ما تحتاج إليه وخاصة منها المواد الغذائية تعرض استقلالها وحريتها للخطر.

إن أحد العوامل التي مازالت تحت الدراسة المستمرة هو أن ليبيا هي الآن بوتقة تضم أشخاصاً من مختلف الجنسيات، كما أن أبوابها مشرعة دائماً لكل القادمين إليها من مختلف الدول الافريقية والعربية، وهكذا يصبح هؤلاء الأشخاص أعضاء في المجتمع يعاملون كأي مواطن ليبي.

إن أحد الأعمال الرئيسية التي تقوم بها الجماهيرية في إطار دراسة وتنظيم التشكيل الإحصائي هو تكييف وضمّ الأفراد والأسر الذين يحملون جنسيات أخرى إلى المجتمع الليبي في ظل تعايش منظم وذلك بتحقيق انسجام حقيقي بين مختلف العوامل التي تنبع من صميم المجتمع.

وهكذا يجدر بنا إذن أن نقوم بإجراء دراسة عميقة إنطلاقاً من وجهة نظر ربما هي اجتماعية أكثر مما هي سياسية، لواقع الجماهيرية الداخلي وخصوصاً الحدث الجديد الذي يتميز به هذا المجتمع الجماهيري وهو: اللجان الثورية التي تحمي الثورة وتبشر بها وهي المكلفة قبل كل شيء بمهمة حثّ الجماهير على ممارسة سلطة الشعب والمحافظة عليها.

الأسرة، بناء عمودي وفقاً للتعاليم الإسلامية:

إن الأسرة العربية الليبية لا تخرج عن أسس الدين الإسلامي، إنها القانون الطبيعي الذي يرسمه القرآن الكريم للشعوب المؤمنة به. لكن من الناحية العملية وكما غيرت ولادة الاسلام تغييراً عميقاً التركيبة التي كانت قائمة بالنسبة للحياة الزوجية العربية قبل الإسلام، فإن المجتمع في الجماهيرية هو مجتمع يعتمد نظام الزوجة الواحدة، الا في بعض الحالات الاستثنائية، وهذا ليس نتاجاً للتطور الزمني فحسب بل أيضاً لأن القائد يحض عليه.

إن الواجب القرآن وضع حدوداً للفوضى في الزواج التي كانت قائمة في المنطقة العربية قبل الإسلام، حيث كان يصل عدد زوجات الرجل الواحد الى عشر زوجات أحياناً، الأمر الذي كان يسبب خللاً في بناء الأسرة والمجتمع.

ولم يغير عامل الزمن الصفة الأبوية وتعدد الزوجات في الأسرة المسلمة في تلك

الأراضي الشاسعة للأمة العربية، لكن مناطق كثيرة من هذه الأمة أصبحت تعتمد نظام وحدة الزوجة، كما هو الحال في الجماهيرية الآن، رغم أن الرجل يستطيع في بعض الظروف أن يتزوج من أكثر من إمرأة واحدة وفقاً لما جاء في القرآن الكريم الذي اعتمدته إرادة الشعب العربي الليبي المسلم كشريعة للمجتمع.

إن تعدد الزوجات ـ وهذا شرح مهم جداً خصوصاً بالنسبة لغير المطلعين ـ يعتمد صفة البناء العمودي كما هو نظام وحدة الزوجة، و إن كانت سلطة الرجل في نظام تعدد الزوجات أقوى بكثير منها في نظام وحدة الزوجة. ففي الأسرة العربية الليبية المسلمة ـ وهذا بالطبع ما يهمنا في هذه الدراسة ـ تتمثل وحدة قيادة الأسرة في الرجل، إنه هو قائد الأسرة ولا أحد سواه، وهذا ما يؤدي الى علاقة ترتيبية مزدوجة: خضوع المرأة لزوجها وخضوع الأولاد لأبيهم.

ويمكننا التأكيد على أن بناء الأسرة في الجماهيرية، وهذا أمر لا شك فيه، يعتمد في جوهره على نظام وحدة الزوجة باستثناء بعض المجموعات البدوية التي مازالت تعيش في قلب الصحراء والتي مازالت تمارس نظام تعدد الزوجات بصورة محدودة جداً.

إن نظام تعدد الزوجات بشكل عام، لم يخضع لدراسات وافية وشروح كافية خلال السنوات الأخيرة، ويعرّف عنه فقط بأنه من مخلفات العصور المظلمة، رغم أنه في الواقع، انطلاقاً من وجهة نظر علم الإجتماع، يختلف عن نظام وحدة الزوجة من الناحية العددية وليس من الناحية الشكلية، لأن الرجل يبني حياة زوجية مع كل واحدة من زوجاته ووحدة القيادة في هذه المجموعة تعود للرجل نفسه فقط.

وتجدر الإشارة الى أن الزواج في المجتمع الاسلامي يتم بواسطة عقد قران يمكن أن يتم إلغاؤه كأي عقد مشاركة خلافاً للزواج في المجتمع الكاثوليكي، الذي رفعه المسيح الى مستوى الكرامة المقدسة ولا يمكن حله أبداً لأنه وفقاً لما نؤمن به نحن الكاثوليكيين، لا يمكن تفريق ما جمعه الله.

وفي الأسرة الليبية التي ترتكز على نظام الزوجة الواحدة، لا تقوم الزوجة ولا الأولاد بمعارضة القانون الطبيعي الذي يعطي ربّ الأسرة دوراً رئيسياً.

ان المجتمع الليبي هو مجتمع متدين يرتكز على قيم ومبادىء القرآن الكريم، كما أنه مجتمع يحترم أولئك الذين يعتنقون أدياناً أخرى طالما أنهم يحترمون الأسس التي يرتكز عليها هذا المجتمع الاسلامي.

وفي العلاقات الإجتماعية الموجودة بين المجموعات الأسرية، يلاحظ كنتاج لعملية تطبيق النظرية العالمية الثالثة نوع من التقارب بين الشباب الليبيين والفتيات الليبيات وذلك طبعاً تحت رقابة أسرية مشددة.

إن دور المرأة في الجماهيرية قد خضع لتغييرات ضخمة، واعتقد أنه من الضروري إجراء

شرح مفصل لهذا الموضوع كي يتسنى للقارىء أن يتفهم الوضع الإجتماعي الحالي في الجماهيرية والدور الذي تلعبه الفتاة والمرأة في نظام الدفاع الوطني وفي ساحة القتال.

وقد استطعت خلال الزيارتين التي قمت بهما «للكلية العسكرية للبنات» في طرابلس، تلبية لدعوة خاصة، أن أتأكد بنفسي من مستوى التحضير العالي للفتيات في المجال العسكري، والروح المعنوية التي يتمتعن بها للحصول على علوم وفنون القيادة والمشاركة الفعلية في الحرب.

المرأة الليبية كانت دائماً سنداً للرجل:

إن المرأة الليبية، شابة كانت أو عجوزاً أو ربة منزل أو طالبة أو متخصصة مهنياً أو عسكرياً، تشارك فعلياً في المسؤوليات التي ألقتها على عاتقها ثورة الفاتح وفق القانون الطبيعي ومبادىء الكتاب الأخضر الذي يحدد بالتفصيل وبوضوح دور المرأة في المجتمع.

لقد قمت بتحليل فكر القذافي حول المرأة، لكن يبقى أن نعرض بإيجاز الدور الذي يعطيه القرآن الكريم للمرأة، شرط أن نبتعد عن التفسيرات السريعة والسطحية التي يتصف بها الدارسون الغربيون، وعن الأكاذيب التي تعمل على نشرها وسائل الاتصال الحاقدة التي لم تفعل سوى خلق «أساطير سوداء» عن وضع الجنس الضعيف في العالم الاسلامي.

وخلافاً لما يعتقده البعض، فإن الاسلام قد منح المرأة حقوقاً لم يتمتع بها سابقاً حتى الرجل. لهذا فكثيراً ما تصدر معلومات مشوهة تهدف الى إظهار الاسلام وكأنه دين همجي لا يأخذ بعين الاعتبار حقوق المرأة، بينما في الواقع كانت المرأة قديماً قبل الإسلام ومن دين آخر تعاني من مشكلة صعبة ودقيقة جداً حيث أنها لم تكن قادرة على الانفصال عن زوجها الذي لا ترغب به، لأنه لم يكن هناك أي تشريع يتيح لها إلغاء زواجها أو أي حقوق نابعة من العادات والتقاليد، الى أن ظهر الدين الإسلامي الذي أعطاها حقوقاً لم تكن تتمتع بها من قبل.

ويخصص القرآن الكريم سورة تتألف من 176 آية هي «سورة النساء» بالإضافة الى آيات أخرى، لطرح مسألة المرأة بالنسبة لطبيعتها وعلاقتها بالرجل وحول الزواج والمجتمع.

إن حقوق المرأة المعتمدة في الجماهيرية هي سارية المفعول، كما أن أي دولة تعتمد القرآن الكريم كقاعدة لمجتمعها لا يمكنها أبداً إهمال هذه الحقوق.

لقد سمعت مرة أحد الأشخاص الذين يدّعون بأنهم أصدقاء ليبيا وهو يقول أن المرأة في الدول الاسلامية وأيضاً في الجماهيرية تعيش وكأنها في سجن. إن هذا الأمر قد غاظني ودفعني الى الردّ بعنف على هذا الشخص أثناء إجتماعٍ من اجتماعات الملتقى العالمي حول فكر معمر القذافي، الذي عقد في جامعة فنزويلا المركزية في شهر الحرث (نوفمبر) من عام 1981م.

إن الصرخة الحمقاء التي تطلق في العالم الغربي هي بذاتها احتجاج على عدم المساواة بين الرجل والمرأة، وتنبع من جهل هذا العالم للروح الدينية ولأسلوب الحياة لدى الشعوب.

وأعود لأشدد على أن الرؤية الواقعية للعالم الاسلامي الذي يظهر لنا بصورة معقدة، تم

فقط عبر منظار الفكر التقليدي وعلم ما وراء الطبيعة والفكر التاريخي الذي يسبق مذاهب الأديان الكبرى.

وما يبدو لنا حتى الآن بصورة شبه غامضة يمكن أن يتضح عن طريق دراسة عميقة له، وهذا لا يعني التوفيق الديني بين نقيضين أو جعل السرّ الغامض أمراً عملياً، والدراسة يجب أن تكون نابعة عن وجهة نظر تتفق مع السبب الذي يجعل هذا العالم غير واضح بالنسبة لنا وكأنه من المستحيل تفهمه أوكأنه شيء لا يتماشى مع عصرنا هذا منذ أن إجتاحت المذاهب المادية هذا العالم.

إن الغرب قد فقد صلته بعرفه الخاص به، حيث غرق في دوامة المذهب المادي غير السليم الذي يحاول قطع الطريق على الإنسان نحو الله وفي مسيرته لإنقاذ نفسه. لا يمكننا أن نتوقع أبداً أن يتوصل العالم الغربي إلى تفهم الروح النامية لدى الشعوب الإسلامية التي تنمو بشكل سريع بينما نمو هذه الروح لدى المسيحيين ينخفض بشكل ملحوظ.

لهذا السبب لا يمكن تفهم الدور الحقيقي للمرأة المسلمة في الأمة العربية وفي الجماهيرية بالذات، الا اذا قام من يود ذلك بنزع الستار الخفي الذي يفصله عن شعوب أخرى في هذا العالم تعتنق أدياناً مختلفة.

إن المرأة في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية تتمتع وبصورة مطلقة بكافة الحقوق التي ينصّ عليها الإسلام، كما وتشارك أيضاً بصورة فعلية في كل شؤون بلدها.

إن عدد الطالبات في الجماهيرية قد ازداد بشكل ملحوظ في كل مستويات التعليم. والمرأة العزباء قد تسلمت مهام ذات مسؤولية كبرى في الإدارة العامة وفي مختلف مجالات العمل الخاص، كما أن القوات المسلحة والكتائب الشعبية المسلحة قد خصصت للمرأة مكاناً فيها كي تمكنها من المشاركة في نظام الدفاع.

هذا هو بشكل مختصر وضع المرأة في الجماهيرية. فالمرأة أصبحت تلعب دوراً هاماً في المجتمع، كما كانت ولا تزال، السند الأساسي للرجل في المعارك التي خاضها من أجل الاستقلال، وفي أصعب وأدق اللحظات التي عاشها خلال الاعتداءات الخارجية التي كانت تقوم بها قوات الغزاة والتي أدت إلى زوال قبائل بكاملها من الوجود في معارك الحرية.

مؤسسات القطاع الثقافي التربوي:

إن المشاريع الثورية قد خصصت اهتماماً زائداً منذ عام 1969م. لتطوير المجال الثقافي التربوي بهدف قلب الوضع الذي كان قائماً خلال فترة الحكم الملكي وما قبلها التي كانت تتميز بنسبة الأمية العالية جداً.

إن المجتمع الإسلامي يعتني عناية فائقة بالطلبة ويسهر على وضعهم في مؤسسات التعليم التي تقوم بدور مكمل لما تفعله الأسرة من الناحية التربوية، حيث تقوم بتكييف الطفل

على تحمل المسؤوليات كي يتمكن في المستقبل من القيام بالمهام التي يتطلبها مجتمعه.

إن المدرسة في الجماهيرية، حيث يبدأ الطفل خطواته الأولى في هذا المجال، لا تشكل أي خطر على الطبيعة العمودية لكيان الأسرة التي تتمثل السلطة الأولى فيها بشخص الأب. فالمدرسة تعمل على تكييف الطالب مع تعاليم قائد الثورة الذي ينادي بضرورة تعليم الطالب وتحضيره منذ أول خطواته في المدرسة بشكل يستطيع معه فيما بعد القيام بمشاركة فعالة في أعمال المجتمع.

إن النظام التربوي الليبي يتميز بوجود مراحل ابتدائية و إعدادية وثانوية عامة وثانوية فنية، ومعاهد للمعلمين بالإضافة الى التعليم الديني في كافة مراحل الدراسة بما فيها المرحلة الجامعية.

إن الجماهيرية تتم الآن خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م. التي وضعها العقيد معمر القذافي وفقاً لمبادىء النظرية العالمية الثالثة والكتاب الأخضر.

أما أهداف هذه الخطة فهي إفساح المجال أمام الطالب ليتمكن من تحصيل المعرفة الضرورية كي يتمكن من الإسهام، فيما بعد، في نمو المجتمع بكافة المجالات. وهذا يعني أن النظام التربوي في ليبيا يهتم بتحضير الطالب وفقاً لمتطلبات مسيرة التحول الاجتماعي والاقتصادي الذي يجري في الجماهيرية، مع الأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر كل طالب وميوله العلمية.

ولابد أن نوضح هنا، طالما أن هذا الفصل قد خصص لعرض وجهات النظر العلمية الإجتماعية وليست الإحصائية أو المنهجية الدراسية التي سنتطرق إليها طبعاً في فصل آخر، أن كافة مؤسسات التعليم من المرحلة الإبتدائية إلى المرحلة الجامعية مروراً بالمدارس الفنية، هي المكان الذي يتم فيه إكمال دور الأسرة المسلمة التي تقوم باتباع التعاليم النابعة عن القرآن الكريم الذي هو شريعة المجتمع.

المؤسسة الجماعية.. من النظرية الى الواقع:

إن المؤسسة الجماعية ليست سوى خلية اجتماعية ـ اقتصادية تعمل ضمن إطار المسيرة الفنية الجماعية تجاوباً مع عملية إشباع الحاجات الفردية والجماعية واحتياجات الأسواق بشكل عام.

إن أعضاء المؤسسة الجماعية الاشتراكية هم أعضاء مجموعة أخرى دورها كدور المدرسة، أي أنه يكمل دور الأسرة. إنهم يعملون على إشباع حاجاتهم وعلى تحقيق الاكتفاء الذاتي الذي هو أول أهداف الثورة.

لقد حالفني الحظ حين أتيحت لي الفرصة بزيارة مؤسسات جماعية عديدة في الجماهيرية، ويمكن التأكيد على أنها، نظراً لمميزاتها، عبارة عن مجموعة من المنتجين الذين يقومون بأعمال تتماشى مع كفاءة واختصاص كل واحد منهم، مع العلم بأن النظام يعمل على تحقيق الكفاءة

الشاملة لكل أعضاء هذه المؤسسات وذلك عن طريق المناوبة في مختلف قطاعات العمل.

كيف يتم في الجماهيرية تشكيل مؤسسة جماعية، كالمنشأة الصناعية مثلاً.

يجتمع المنتجون الذين يصممون على تشكيل مؤسسة جماعية اشتراكية، وذلك بالدعم الذي يتلقونه عبر مشاريع الدولة التي قررتها المؤتمرات الشعبية التي تضع تحت تصرفهم كميات ضخمة من الموارد الناتجة عن استثمار الثروات الطبيعية، ويتم بعد ذلك إتباع الخطوات الآتية:

1 ـ يتم تشكيل مؤتمر شعبي مهني مستقل يضم كل الأفراد المشاركين، ثم يقومون بمناقشة كافة الأمور المتعلقة به.

2 ـ يختار هذا المؤتمر الشعبي المهني لجنة شعبية، يختلف عدد أعضائها باختلاف طبيعة ومدى أهمية المشروع، ويكون لهذه اللجنة أميناً يتم تصعيده كمسؤول عن تصميم المشروع وعن أعمال التنسيق. ويقوم كل فرد بمراقبة عمل معين. أما المهمات التنفيذية لكل عمل فيقوم بها الأعضاء ولمدة محددة دون أن يؤثر ذلك على العمل الأساسي لكل واحد منهم.

3 ـ كل أعمال المؤسسة هي أعمال مستقلة باستثناء المؤسسات ذات الطابع العام حيث تخضع هذه لاستشارة الأجهزة الرسمية وخاصة أمانة اللجنة الشعبية للصناعات في البلدية التي تتبع لها وضمن المجال المحدد لها.

4 ـ إن إدارة المحاسبة والإدارة العامة والنشاطات التربوية وأنظمة الصحة والضمان الإجتماعي، يتم تمويلها بواسطة المؤسسة نفسها. إن هذا الإكتفاء الذاتي هو ضروري جداً حتى في المزارع الجماعية التي هي محور نظام الإنتاج الزراعي وحيث يتم توجيه الجزء الأكبر من الموارد الاقتصادية.

5 ـ تتنادى قوة الثورة في المصنع وتشكل لجنة ثورية.

6 ـ يقوم المؤتمر الشعبي الأساسي بمناقشة كل الأمور المتعلقة بالمؤسسة ويتخذ القرارات اللازمة بالنسبة للإدارة العامة وإدارة المحاسبة وخطة برنامج الإنتاج بالإضافة الى تطبيقه.

7 ـ تقوم اللجنة الشعبية التي يتم تصعيدها بتحضير برنامج العمل السنوي وتقديمه للمؤتمر الشعبي الأساسي للموافقة عليه. كما تسهم أيضاً في متابعة سير أعمال المؤسسة. أنها المسؤولة أيضاً عن تحضير البرامج المختلفة لتدريب كافة المشاركين في هذا المشروع على مختلف الأعمال التي يتطلب القيام بها. ويجري كل هذا تحت رقابة شعبية من المؤتمر الشعبي للمؤسسة الجماعية الاشتراكية.

إن المؤسسات الجماعية في الجماهيرية تزدهر وتنمو، وتجدر الإشارة الى أنه لا يسيطر عليها أحد أو يتحكم بها، بل هي نتاج للمشاريع التي تهدف إلى وضع الأملاك ووسائل الإنتاج بيد المواطنين.

إن نظام المشاركة في الإنتاج تمشياً مع نظرية القائد الذي يطرح فيها فكرة إلغاء الأجور،

يتطابق مع الاستراتيجية الجماهيرية لتحويل ليبيا من بلد يعتمد على الاستيراد الى بلد ذي إكتفاء ذاتي في المواد الغذائية وأن يصدر ليس فقط ما يفيض عن احتياجاته من المواد الغذائية بل أيضاً كميات ضخمة من منتجاته الصناعية.

وهكذا تجتمع الأسر في إطار وحدة روحية جماعية وفي مؤسسة لا يوجد فيها أجراء بل شركاء يتمتعون بكافة حقوقهم.

اللجان الثورية.. أعصاب وشرايين المجتمع الجماهيري:

يعتبر ظهور اللجان الثورية في الجماهيرية حدثاً عظيماً فرضه الواقع الإجتماعي لهذا البلد وربما أيضاً ضرورة التحول الكبير من سلطة الحكومة الى سلطة الشعب. فقد كان الشعب العربي الليبي يعاني من مشكلات ثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية وخاصة المشكلات النفسية التي كانت نتاجاً للخضوع للإستعمار خلال مدة طويلة والتي لم تستطع ثورة الفاتح إزالتها نهائياً حتى الآن.

إن اللجان الثورية قد ظهرت في أواخر عام 1977م. عندما أصبح واضحاً أن الجماهير غير المتيقظة تماما كانت تحتاج الى محرك يحثها على المشاركة فعلياً في عملية اتخاذ القرارات السياسية الهامة.

وتجاوباً مع هذه المهمة الثورية ولدت هذه اللجان ضمن المؤتمرات الشعبية والاتحادات والجمعيات والموانىء والجامعات وحتى في المحلات السكنية وفي مختلف قطاعات العمل الإنتاجي وفي القوات المسلحة أيضاً.

إنها، كما قلت سابقاً، أعصاب الجماهيرية وشرايين المجتمع الثوري. وليس هدفها السيطرة على السلطة التي هي بيد الشعب، بل المحافظة عليها وصيانتها. لهذا، أخذ القذافي بعين الاعتبار دائماً وخاصة عندما تشكلت اللجان الثورية، أمراً هاماً وهو ابقاؤها بعيدة عن السلطة وذلك لتجنب ظهور فئات سياسية تشوِّه جوهر النظرية وتضع العراقيل أمام الجماهير بدلاً من تقديم المساعدة لها لتتمكن من القيام بدورها الذي خصصه لها النظام الجديد.

إن القائد قد طالب الجماهير أكثر من مرة بأن تترك جانباً خوفها الداخلي وأن تعلن عن طموحاتها ورغباتها وانتقاداتها وأن تشارك فعلياً في حياة بلدها عبر المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية التي أنشأتها الثورة.

إن القائد يسير دائماً في طليعة الجماهير التي لم تكن قد توصلت بعد الى تكييف نفسها مع المسيرة، فكان من الضروري تشكيل اللجان الثورية لتقوم بمهمة تحريكها وتوجيهها توجيهاً صحيحاً.

وقد كلفت اللجان الثورية بمهمة الترشيد الثوري الذي لا يعني، كما يؤكد القذافي، أن بإمكان هذه اللجان أن تقوم أو تحاول القيام بتسلم السلطة.

ويقال في ليبيا أن اللجان الثورية هي كأوردة الدم في جسم الإنسان، لأنه لا يوجد أي مكان في الجسد الاجتماعي الا وتصل إليه هذه الأوردة، فتحييه وتحثه على إدراك المعنى الحقيقي لسلطة الشعب.

وتتشكل اللجان الثورية في الجماهيرية من الأشخاص الذين يُعرفون بفكرهم القومي وإحساسهم الديني وتحمسهم للانضمام الى هذه اللجان.

المسجد:

ان القذافي عندما قام بأداء الصلاة في مسجد طرابلس بتاريخ 19 من شهر الكانون (ديسمبر) عام 1971م، كان يطبق بذلك سنة قديمة لدى الشعوب الاسلامية كانت سارية المفعول خاصة في عصر الخلفاء، وهي توحيد السلطتين الروحية والسياسية انطلاقاً من مبدأ الوحدة الجوهرية بين الحياة السياسية والحياة الدنيوية.

وتلا القائد آية من القرآن الكريم هي: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

إن القذافي عندما ذكر هذه الآية أراد أن يعبر بوضوح عن أن ثورة الفاتح هي بدون شك التعبير الخارجي للتحول الداخلي على الصعيد الروحي، وأن على الشعب العربي الليبي أن يبدأ جهاده «المقدس» أي النضال الروحي الداخلي الذي يجب أن يعيشه أي مسلم لتغيير نفسه والتمكن من الامتداد في المجال الدنيوي نحو القيام بمهمة تاريخية على المستوى العالمي، التي هي في الواقع «جهاد» حسب ما ورد بأن محمداً صلى الله عليه وسلم قال لصحبه وكانوا قد عادوا تواً من إحدى الغزوات «عدنا من الجهاد الأصغر (ويعني الحرب) الى الجهاد الأكبر.. ألا وهو جهاد النفس». وفي القرآن الكريم «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» [سورة النازعات].

هذا ما ورد في القرآن الكريم وما قاله خاتم الأنبياء والمرسلين عندما كان يتهيأ للصلاة بعد أن شارك في حملة قتالية، وهي جملة تعبر بوضوح عن الأولوية التي تعطيها الشعوب الاسلامية لكل ما هو معنوي وروحي وحضاري.

ولفهم الدور الذي يلعبه المسجد في المجتمع الإسلامي لابد من الانطلاق من اليقين والاقتناع بأن مفهوم الدولة في الإسلام يستند الى مبدأ الوحدة الجوهرية للسلطة الدنيوية والروحية.

إن المسجد هو مركز الإشعاع الروحي للمجتمع وللمدينة الإسلامية.

إن السماء والأرض تتحدان كونياً وفق النظرة الإسلامية، ولهذا يقول القرآن الكريم:

«وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم» [الآية 84 من سورة الزخرف]. «يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم» [الآية 24 من سورة الحشر].

في أي منطقة إسلامية، والجماهيرية هي طبعاً إحدى هذه المناطق، لا يمكن أن تسير الصيغ النظرية ـ العلمية والقيادة السياسية ذاتها في وجهة معاكسة للميزة الدينية والمقدسة للدين بكل ما في الكلمة من معنى.

وفي الإسلام يفتقد التقسيم مسجد ـ دولة للمعنى الذي يتميز به التقسيم كنيسة ـ دولة في الدول المسيحية والكاثوليكية والرومانية.

إن السياسة في دولة كالجماهيرية، حيث القرآن هو شريعة المجتمع، ليست سوى الطريق والوسيلة لإنقاذ الإنسان والمجتمعات، وهي توجد ضمن إطار الدين كأسلوب حياة على هذه الأرض.

لا يوجد إذن أية ازدواجية بين السلطة الدنيوية والسلطة الروحية مثلما حدث في ماضي المسيحية بين البابا والأباطرة.

أما بالنسبة لدور القائد فإنه يمكن القول، وفق شرح طويل لأحد المفكرين العرب، إن القائد هو أحد الأشخاص الذين يتمتعون بالعون الإلهي.. إنه موجه دولة الجماهيرية ويحاول أن يؤسس مدرسة تحديث حضاري وتفوق روحي.. إنه يحمي السلام السياسي والإجتماعي ويدافع عن النفوس المسلمة.

إن المسجد في الجماهيرية هو بالإضافة الى أنه مكان صلاة وانعزال نفسي هو مدرسة للتعليم القرآني تنضم إليها الأسرة الليبية بأطفالها وتعتبرها وتحترمها كمقر لحياتها الروحية.

المناطق الجغرافية:

كانت ليبيا قديماً تنقسم إلى ثلاث مناطق جغرافية محددة هي: «طرابلس وبرقة وفزان».

وكانت القبائل التي سكنت المناطق الثلاث قديماً تتأثر بقبائل قدمت من شبه جزيرة العرب وقد تصدت أحياناً للفتح العربي رغم أنها اعتنقت الدين الاسلامي منذ اللحظة الأولى.

وكانت منطقة طرابلس في البداية تخضع لسيطرة الفينيقيين والرومان، بينما كان برقة منذ القدم مستعمرة يونانية.

وقد اضطر المستعمرون لمواجهة قبائل البربر (وهي قبائل عربية قدمت مهاجرة من اليمن منذ آلاف السنين) الميالة للحروب في منطقة شمال افريقيا، كما فعلت ذلك أيضاً الفرق العربية التي كانت تصل إلى شمال هذه القارة من وسط الصحراء.

وكانت منطقة فزان هي المنطقة التي سكنتها تلك القبائل المعتادة على قساوة حياة الصحراء.

إن قوات الغزاة خلال مرحلة الاستعمار الايطالي قد رسخت هذا التقسيم الجغرافي لدرجة أنها قد عينت حكاماً في كل تلك المناطق الجغرافية.

وبعد قيام ثورة الفاتح، ونظراً للرغبة بإنهاء هذا التقسيم الذي كان قاعدة للمملكة التي

تأسست عام 1951م. والتي كان على رأسها الملك إدريس، قامت ليبيا بدفع مشروع لتقسيم الأراضي الى محافظات. لكن هذا الإجراء لم يطبق وانتهى مفعوله بعد مدة، وحالياً تقوم المؤسسات والهيئات الشعبية بكل الشؤون الإدارية في كافة الأراضي الليبية التي تحولت الى بلديات.

أما في ليبيا فلا وجود لها وكنتاج للمسيرة السياسية الطويلة الأمد، فإن المناطق التاريخية ذات المضمون الجغرافي التي بقيت حتى مدة قصيرة خلت، بدأت تزول نتيجة إعادة التنظيم الشامل على مستوى جغرافي ـ اجتماعي، وهذا ما تقوم به حالياً ثورة الفاتح.

البلديات:

تتمتع البلديات في الجماهيرية بنوع من التركيز وذلك من الناحية الجغرافية الإجتماعية، حيث أنها نقطة أساسية في التقسيم الإداري للجماهيرية، ونتاجاً لذلك تتكامل فيها المجموعات الإجتماعية التابعة للمناطق السكنية والريفية التي تضم جماهير المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية.

إن كل احتياجات هذه البلديات وطموحات هذه الجماعات الإجتماعية تمر عبر الطريق التي رسمتها الثورة والتي غيرت مهامها ووظائفها، وبالتالي تركيبتها العضوية الوظيفية.

إن البلدية الليبية هي ككل مؤسسات الدولة والإدارة تتبع للجان الشعبية التي تشرف عليها والتي تعمل على حل مشاكلها وتقوم بإرسال معلومات عن الوضع الإجتماعي فيها الى الأجهزة المختصة وبصورة خاصة الى مؤتمر الشعب العام واللجنة الشعبية العامة للجماهيرية.

من العامل الإجتماعي الى العامل السياسي الداخلي:

إن أي شخص يزور الجماهيرية بقصد دراسة تركيبتها الإجتماعية يتعثر دون شك بالعراقيل التي تنتج عن عملية التمييز الصعبة بين النواحي الإجتماعية والنواحي السياسية، حيث أن كل هذه النواحي تختلط أحياناً مع بعضها البعض فيصعب التفريق بينها.

ونتيجة ذلك، ظهرت دراسات عديدة سيئة جداً حول هذا البلد وحول قائده وثورته، وبدلاً من أن تفسر هذه الدراسات بعض النقاط غير الواضحة التي يعمل على تشويهها الإعلام الإمبريالي، تقوم بأعمال عكسية وكأنها تعمل لمصلحة العدو، لأن مجرد الإطلاع على هذه الدراسات يؤدي الى الإرباك فقط.

إن هذا الفصل يهدف إلى وصف التركيبة الإجتماعية الموجودة حالياً في الجماهيرية، وذلك طبعاً مع كل المشاكل التي تظهر بصورة طبيعية في كل مجتمع يعيش حالة تغير ومسيرة تحول باستمرار.

لقد أوليت اهتماماً خاصاً بعامل السياسة الداخلية دون إهمال الناحية الإجتماعية التي تنبع من مراقبة سير المجتمع وتسلسل الأحداث الإجتماعية، لكن بإضافة الاعتبارات التي ترتبط بالعمل السياسي والتي هي نتاج لقيادة مجتمع هو المجتمع العربي الليبي من قبل دولة هي الجماهيرية أي دولة الجماهير.

إنني كي أتمكن من إعطاء فكرة شاملة عن السياسة الجماهيرية ولكي لا أكرر مفاهيم ذكرتها في فصول سابقة، خصصت جزءاً من هذا الفصل لتحليل ودراسة شخصية القائد وذلك من الناحيتين السياسية والاجتماعية.

إن كل هذه الأمور ترتبط إرتباطاً مباشراً بنظرية القائد وشخصيته وأعماله التي لم تتوقف خلال ست عشرة سنة أي منذ قيام ثورة الفاتح حتى يومنا هذا.

كما خصصت جزءاً آخر من هذا الفصل لمميزات التركيبة التشريعية ـ السياسية للجماهيرية وأركانها الأساسية التي هي: المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية واللجان الثورية.

القــائــد:

إنه من الضروري إجراء دراسة تحليلية لشخص القائد كي يتم، بشكل أفضل، توضيح الأسس الإجتماعية العميقة لقيادته. ويمكن التأكيد على ميزة مزدوجة للقذافي تسمح باعتباره بطلاً خلاقاً وفي الوقت نفسه يتمتع بشخصية فذة.

فلو أنه أمضى حياته في التأمل والعمل الفكري لكنا وصفناه بخلاق فقط، لكنه بالإضافة الى ذلك قاد شعبه سياسياً وروحياً، وهو القائد بكل ما في الكلمة من معنى، كما أن فكره الفلسفي السياسي لم ينحصر في ليبيا فقط بل تعدى حدودها الى مجتمعات بعيدة جدا عنها.

وتميز فكره، عن فكر أشخاص كثيرين لم يتوصلوا خلال حياتهم لمعرفة الأهمية التي تمتعت بها أفكارهم على مسرح الأحداث الدولية، بأنه فكر يفسر الواقع بالإضافة الى أن القائد قد صاغ هذه النظرية التي نقلها الى الواقع، فحاز بذلك على تأييد الجماهير له تأييداً مطلقاً، ولا نقصد الجماهير الليبية فقط بل جماهير مختلف مناطق العالم.

لقد عرف أيضاً كيف يلخص في شخصه القدرات الإبداعية والتحليلية للوضع الجغرافي ـ الاجتماعي السياسي الدولي الذي يتطور في إطاره المجتمع الليبي التاريخي الذي يقوده والذي يسمى بدولة الجماهير.

ولا أريد عبر هذا المفهوم، وبصفتي كاثوليكي، أن أنفي تدخل العناية الإلهية التي تحرك، حسب معتقداتنا، مسيرة حياة الإنسان والشعوب والأمم والكون بأكمله. لكنني لا أستطيع في الوقت نفسه الا أن أعترف بالوقع العميق الذي تتمتع به شخصية القذافي بالنسبة لمسيرة ليبيا التاريخية ومسيرة الأمة العربية والحياة الدولية بشكل عام.

إن وسائل الإعلام الصهيونية ـ الامبريالية تخصص ملايين الدولارات سنوياً لتشويه سمعة

القذافي، وهذا طبعاً إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أهمية القذافي في هذا العالم وبأنه يسير على طريق الحق.

لقد كان القذافي وسيظل طيلة حياته، النقطة المركزية التي تدور حولها قوات كانت تغرق في نوم عميق ثم استيقظت من سباتها فاستعادت قوتها وحددت سيرها باتجاه صحيح في المجالين السياسيين، الداخلي والخارجي.

إن شخصيته المميزة وقدرته القيادية الفطرية تؤكدان للجماهير بأنه يجسد طموحاتها، ولهذا السبب ترافقه هذه الجماهير بحماس ضخم وخاصة عندما يحرض على اتخاذ القرارات الخطيرة وحتى غير الخطيرة.

إن العقيد القذافي قد وصل الى السلطة ثم سلمها للشعب، وهو لا يحتل اليوم أي منصب رسمي في مجتمعه.

إنه القائد الروحي والثوري للجماهيرية، إنه البطل الخلاق، إنه من يقود شعباً يحمل السلاح ليدافع عن انجازاته العملاقة، إنه من قدم الدعم ـ ولو تطلب ذلك تضحيات منه ـ لكل أولئك الذين يناضلون ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية وكل قوى البغي والعسف في العالم.

اللجان الثورية.. أسسها وأهدافها السياسية:

إن تأسيس اللجان الثورية في ليبيا قد جاء رداً على الوضع الإجتماعي الصعب الذي ورثته الثورة والذي كان يحد من إمكانيات الجماهير وقيامها بالمشاركة الفعلية في مجتمعها.

إن ما يريده القذافي بالدرجة الأولى هو أن تتمكن الجماهير من التعبير بحرية مطلقة عن إرادتها. لذلك فإن مهام اللجان الثورية في سياق حركتها التاريخية الثورية هي:

1 ـ تحريض الجماهير على ممارسة السلطة:

يتم هذا عبر المشاركة الفعالة للجان الثورية داخل المؤتمرات الشعبية حيث توضح للجماهير الوضع المحلي والدولي وتساعدها في اتخاذ القرارات الصحيحة والملائمة للجماهيرية. ومن واجبها أيضاً مراقبة كل من يعمل على تضليل الجماهير بقصد إزاحتها عن خطها الصحيح في تسلمها التام لسلطتها الشعبية وممارستها الكاملة لهذه السلطة.

إن ترشيد الجماهير لا يعني فرض شخص معين على المؤتمرات الشعبية، بل يعني الشرح الدائم للدور الذي يجب أن تلعبه هذه المؤتمرات والنتائج التي تصدر عن كل قرار تتخذه، طالما أن مصلحة الشعب ترتكز مباشرة على هذه القرارات.

2 ـ ترسيخ سلطة الشعب:

إن الممارسة الثورية التي ذكرناها في الفقرة السابقة تؤدي بالتأكيد وكنتاج منطقي الى تعميق سلطة الشعب، ومن ثم ترسيخها.

3 ـ ممارسة المراقبة الثورية:

في الجماهيرية تقوم اللجان الثورية بمراقبة الأعمال السيئة التي قد يقوم بها البعض بقصدٍ أو بغير قصد، وذلك لتقويم فاعليتها، تلك الأعمال التي يُقصد بها بالذات المسّ بالسلطة الشعبية أو محاولة إجهاضها، وكذلك الأعمال التي تسيء الى التوجه الاشتراكي، أو تشكك بطموحات الجماهير في تحقيق الوحدة العربية.

إن القائد يعرب عن ارتياحه لهذا التصرف لأنه يعتبر بأن اللجان الثورية تتألف من عناصر ثورية ذات كفاءة عالية وتحضير ديني وقومي جيد، وبأنه ليس هناك أفضل منهم للقيام بتفسير تصرفات المواطنين بالنسبة لمصلحة بلدهم العليا وثورتهم القومية والعالمية.

أما القرار النهائي فهو دائماً بيد الجماهير التي تعبر عن آرائها في المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية وهي من تحكم على الأحداث وعلى مفتعليها، وهي من تقرر أيضاً عقاب من يرتكب الأخطاء.

4 ـ تحريك المؤتمرات الشعبية:

لقد أشار بعض الدارسين في الجماهيرية بكل صدق إلى أن الإعلان عن قيام سلطة الشعب الذي تم في الثاني من شهر المريخ (مارس) عام 1977م، في مدينة سبها لا يعني بأن الجماهير ستقوم فوراً بالانضمام الى المؤتمرات الشعبية الأساسية لممارسة حق لم تكن تتمتع به في السابق.

لقد تم عبر هذا الحدث التاريخي فتح الأبواب أمام الشعب ليتسلم المهام التي أوكلتها إليه الثورة، لكن جزءاً كبيراً من الجماهير لم يقم بتلبية هذا النداء.. ما هو السبب؟ قد تكون تلك العراقيل رواسب ورثها الشعب عن الاستعمار وعن فترة الاستقلال المزيف التي سبقت الثورة.

ويستطيع القارىء أن يلاحظ وجود تناقض قام الدارسون الليبيون بالرد عليه. فالسؤال هو أنه كيف تحظى سلطة الشعب في الجماهيرية بهذه الصلاحية في الوقت الذي يبقى فيه الشعب نفسه على هامش القرارات وبملء إرادته؟ والجواب هو أن الإدارة الثورية تفسر المصلحة الوطنية والشعبية عبر الجماهير التي تشارك في المؤتمرات الشعبية. وفي ذات الوقت تعمل جاهدة لإزالة كل العراقيل التي تمنع قطاعاً كبيراً من الشعب من تسلم المهام والمسؤوليات المخصصة له.

ورد في نهاية الفصل الأول من الكتاب الأخضر أن «الأقوياء دائما يحكمون» إني أتفق تماما مع المفكر القذافي فيما ذكره هنا بالذات. الا أن كلمة «الأقوياء» تأخذ في الفكر الأخضر معنى مغايراً عن ما يجري في مؤسسات الحكم القائمة على إحدى النظريتين الليبرالية أو الماركسية.

في ظل النظريتين هاتين القوي فعلا هو الذي يحكم.. القوة الناتجة عن الحزب أو الطائفة أو القبيلة أو القوة المسلحة أو حتى المستعمر.. أيهم الذي يحكم ويتسلط على رقاب الشعب..

ولكن حين يُتابع أي من المؤمنين بالنظرية العالمية الثالثة، أو حتى الرافض لها وكذلك الدارس المحايد التطبيق العلمي للنظرية في ليبيا ويدخل الى أي من مؤتمراتها الشعبية سيجد أن هناك عناصر نشطة تكون أكثر حركة وعطاء ويدلون بآرائهم وقراراتهم في كثير من القضايا المطروحة. والأمر لا يختلف كثيرا في اللجان الشعبية التنفيذية.. هؤلاء هم «الأقوياء» في النظرية العالمية الثالثة لأنهم الأكثر وعيا للنظرية وسلطة الشعب والأكثر علما ونضجا ومعرفة وثقافة في الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وهؤلاء «الأقوياء» لا يستطيعون بمقوماتهم هذه أن يتسلطوا على رقاب الشعب ويفرضوا عليه قراراتهم، أو أن تجمعهم مصلحة مشتركة أو رؤيا موحدة تأخذ شكلا عموديا، لأن هذا مستحيل في سلطة الشعب الأفقية.

وهكذا يصبح الاتجاه متعاكس فبينما «الأقوياء» في النظرية العالمية الثالثة يتجهون بالضرورة نحو العطاء، فإن «الأقوياء» في النظريتين الليبرالية والماركسية يتجهون بالواقع نحو الأخذ..

لقد شرح لي البعض في الجماهيرية بأن اللجان الثورية تعمل جاهدة كي تمنع حصول ما حصل للعبيد في أمريكا الذين عادوا الى أسيادهم بعد أن نالوا حريتهم لأنهم وجدوا بأنهم إذا كانوا أحراراً يواجهون حملاً ثقيلاً لا يستطيعون القيام به. وقد قالوا لي في الجماهيرية أن عواقب أي فشل لسلطة الشعب في الجماهيرية سوف يعيدها الى أشكال الحكم التي كانت قائمة ما قبل الثورة.

5 ـ ترشيد اللجان الشعبية وأمانات المؤتمرات:

إن اللجان الشعبية هي المسؤولة المباشرة عن الإدارة الثورية وعن تنفيذ قرارات المؤتمرات الشعبية. كما أن الأجهزة الإدارية القديمة التي كانت ترتكز على شخص مختار المحلة وتصل الى مجلس وزراء، قد تم تقويضها واستبدلت باللجان الشعبية.

ان هذا النظام الجديد لا يشبه بشيء النظام القديم الذي كانت تصدر في ظله الأوامر «من الأعلى» وذلك ليس لفرض سياسات وحسب، بل أيضاً لإختيار السلطات. لكن الآن، وفي ظل سلطة الشعب في الجماهيرية يتم تصعيد المسؤولين بقرار يصدره أعضاء المؤتمرات الشعبية الأساسية الذين يختارون أيضاً أعضاء اللجان الشعبية وأعضاء اللجان الإدارية وفق كفاءتهم وخبرتهم و إخلاصهم للمبادىء الثورية.

ويتم العمل في الجماهيرية وبصورة خاصة ـ كما ذكرت سابقاً ـ لإبعاد اللجان الثورية عن السلطة. وأحد أدق هذه الجوانب هو العلاقة بين هذا النوع من اللجان واللجان الشعبية العامة والنوعية، الأمر الذي تم حلّه بإرغامها على القيام بوظيفتها و إتمام مهمتها بصورة علنية خلال

انعقاد جلسات المؤتمرات الشعبية أو في لقاءات مشتركة مع اللجان الشعبية والمؤتمرات الشعبية لمناقشة بعض المسائل الإيديولوجية وبرامج العمل الثوري.

إن طبيعة العمل الإداري والتنفيذي تزيل كل أنواع المشكلات والعراقيل. بالإضافة الى أن الشعب في المؤتمرات الشعبية هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، ولكي يتاح له الفرصة بصورة أفضل بالتعبير عن آرائه شكلت اللجان الثورية.

6 ـ حماية ثورة الفاتح والدفاع عنها والدعاية لها:

أ ـ حماية الثورة: إن الدفاع عن الثورة بالنسبة لليبيين يعني النضال وبصورة خاصة ضد تلك الجماعات المعادية والرجعية التي تريد تحويل وجهة الثورة نحو مصالحها الفئوية الخاصة.

إن اللجان الثورية هي في الحقيقة من تحمي الثورة وقائدها والنظرية العالمية الثالثة، وهي من تعرف جيداً نوعية الأفراد الذين يسيئون للقضايا الوطنية والشعبية.

وليس فقط أولئك الخونة والمندسّين هم من يخدمون الأعداء، بل هناك أيضاً أولئك المتربصين للفرص التي تتيح لهم إشباع أطماعهم الشخصية وأولئك المتشائمين الذين بتشاؤمهم الخطير يهدون عزائم الشعب ويقودونه نحو الهلاك.

إن الدفاع عن الثورة هو أمر اقتضى وضع السلاح بيد الشعب الذي يقع على عاتقه هو الدفاع عن كل ذرة من تراب الأرض الليبية من أي عدوٍ داخلي أو خارجي يريد أن يدمر له إنجازاته.

ب ـ نشر مبادىء الثورة: إن أحد أهم الأسس التي ترتكز عليها الثورة هو تأييد المواطنين لمبادئها الرئيسية المطروحة في النظرية العالمية الثالثة والكتاب الأخضر. واللجان الثورية تقوم بمهمة ترشيد وتحريك الجماهير، وذلك بصورة دائمة، كي تتمكن هذه الجماهير من تفهم مبادىء الثورة والدفاع عنها.

هذه هي مهام اللجان الثورية وفق دراسة عميقة قمت بإجرائها في الجماهيرية وقد أضفت إليها بعض الملاحظات الشخصية.

ولإكمال هذه الدراسة حول اللجان الثورية يجدر ذكر بعض الكلمات التي قالها العقيد القذافي في جامعة «قاريونس» في الرابع من شهر أين النار (يناير) عام 1979م. قال القائد «لقد وجهت نداءً الى كافة القوى الثورية والى كافة الليبيين الثوريين والى كل أولئك الذين تفهموا الثورة بعد يوم الفاتح من سبتمبر، وذلك لينضموا الى اللجان الثورية.. ومن لم ينضم الى هذه اللجان حتى الآن، المريض والجاهل والمنغلق على نفسه، فليس هناك أي داعٍ لأن ينضموا الى أي لجنة ثورية. إن مثل هؤلاء الأشخاص هم في الواقع استغلاليون، وهذا العصر ليس عصر استغلال. إنهم أشخاص يعملون فقط من أجل مصالحهم الخاصة. وعلى كل شخص منهم أن يفهم بأن ليس له مكان هنا، وبأنه مدعو للذهاب الى أي مكان آخر يدافع

فيه عن مصالحه الخاصة، فهنا لا وجود للتكبر ولا للتوصيات الخاصة ولا للفساد».

إن اللجان الثورية قد أكدت منذ مدة قصيرة في أحد مؤتمراتها السنوية على المبادىء والأهداف التي تعمل من أجلها، كما أيدت ما يسمى بالمبادىء الشريعية ـ السياسية للثورة، ويمكن تلخيص هذه المبادىء بالنقاط الآتية:

1 ـ السلطة للشعب الذي يمارسها عبر المؤتمرات الشعبية، وكل عمل إرادي يرمي الى تجاوز المؤتمرات الشعبية يعتبر تهديداً لسلطة الشعب.

2 ـ الاشتراكية هي خيار ثوري ولا يمكن استبدال النظام الثوري الجديد اذا أردنا تحقيق مجتمع سليم.

3 ـ إن نمو وتطور القوة الثورية يعملان من أجل الثورة. و إن تحقيق الأعمال التاريخية المرتبطة بها يعتمد على التحضير النوعي لأعضاء اللجان الثورية.

4 ـ إن الإخاء الجماعي هو من مميزات العمل الثوري في اللجان للتمكن من القيام بالمسؤوليات في الوسط الإجتماعي. كما أن المسؤولية الجماعية للجان الثورية والمسؤولية الفردية لأعضائها هما أساس المراقبة الثورية.

5 ـ لا يمكن الخلط بين الديماغوجية وبين العمل الثوري، حيث أن الديماغوجية لا علاقة لها بالثورة. و إن إلغاء الديماغوجية بصورة نهائية هو واجب رئيسي من واجبات اللجان الثورية.

6 ـ إن الممارسة الواعية للعنف الثوري إذا كان ذلك ضرورياً لسحق أعداء سلطة الشعب والاشتراكية، تمنع من الإنحراف نحو ممارسة الرعب الذي يقهر الإنسان و يلغي حريته.

7 ـ إن النظرية العالمية الثالثة هي نظرية الحرية والجهد الإنساني، الجسدي والخلقي، بهدف تمكين الإنسان من تحقيق سعادته.

إن اللجان الثورية قد وضعت بصورة واضحة جداً أسسها ووجهتها المنهجية التي تتضمن تطابقاً عقائدياً مع العنف كوسيلة للقضاء على الأعداء الأبديين لثورة الفاتح.

إنها حالياً في وضع تحرك دائم بحثاً عن تنظيم صحيح يتيح لها ـ ربما كما قال بيرون ـ الانتصار على الزمن هو أحد العوامل التي تسهم في تدمير الحركات الثورية والأسس التي ترتكز عليها. كما تقوم أيضاً بمهمة تدريب حقيقي لرفع مستوى القوة الثورية، بالإضافة الى أن إطاراتها تعي تماماً ضرورة إزالة بقايا ومخلفات المجتمع البرجوازي الذي دمرته الثورة.

إن اللجان الثورية قد قررت أيضاً العمل في الخارج ضد أعداء الجماهيرية وخاصة ضد الليبيين الخونة الذين تقوم بتمويلهم بعض الدول الصناعية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني.

وعلى صعيد السياسة الدولية تقوم اللجان الثورية بتقديم الدعم المطلق لموقف القائد

بالنسبة لضرورة القيام بهجوم استراتيجي معاكس ضد الاستعمار الأمريكي الذي يتمثل بقواعد في مصر وعُمان والصومال وفلسطين المحتلة. وتأخذ اللجان الثورية مسألة تشاد بعين الاعتبار حيث أكدت مؤخراً على موقفها بدعم القوات الثورية المسلحة التي تناضل من أجل تحرير تشاد، ووقفت بكل صدق و إخلاص الى جانب هذا الشعب الشقيق معلنة عن تأييدها له وعن تضامنها معه.

وكما كان متوقعاً، فقد أعلنت عن قيام اتحاد للقوة الثورية العربية الوحدوية لحث وتحريك الجماهير العربية لتحقيق وحدتها وحريتها.

إن اللجان الثورية تؤمن بأن الجماهيرية هي نهاية المطاف وهي نقطة التقاء كل ثورة ترمي الى إقامة سلطة الشعب، بالضبط مثلما فعلت ثورة الفاتح. فهي تعتبر أن تأسيس أول جماهيرية في ليبيا هو حجر الزاوية لبداية عصر الجماهير ونهاية عصر الجمهوريات البرجوازية بشكل عام.

إن هذه المرحلة، مرحلة الجماهيرية، هي بالنسبة للجان الثورية آخر مرحلة للتطور الإجتماعي، سبقتها مرحلة الملكيات ومرحلة الجمهوريات، وهناك بالنسبة لها خطان أساسيان هما: الخط السياسي والخط الإجتماعي.

الخط الأول (السياسي) يقضي بأن تحل الجماهير محل الحكومات وأجهزة الأمن والجيوش والأحزاب، وهذا يعني ـ بالنسبة للجان الثورية ـ الحل النهائي والتاريخي للمشكل السياسي.

والخط الثاني وهو الاقتصادي يقضي بتحويل المنتجين من أجراء الى شركاء، وبأن تصبح الأرض ملكاً للجميع وبأن يصبح البيت لساكنه، وبتحقيق نظام توزيع متساوٍ للثروات، وبالتأكيد على أن العمل والإنتاج والخدمة العامة الصحيحة هي قاعدة المجتمع الجماهيري، لأن دور المنتجين هو دور أساسي في هذا المجتمع.

إن أفضل برهان على أن اللجان الثورية لا تمت بأي صلة للشيوعية ـ كما تقول بعض وسائل الإعلام الجاهلة ـ هو بيانها حول هذا الموضوع. فقد أكدت على أن الاشتراكية الجديدة تختلف عن الاشتراكية التي تطبق في الدول الشيوعية حيث كل شيء بيد الحكومة والحزب، بينما في ظل الاشتراكية الجديدة كل شيء بيد الشعب.

وتؤكد أيضاً على ضرورة نزع الملكية من يد الطبقة الرأسمالية في ظل النظام الرأسمالي ومن الحكومة في ظل النظام الماركسي، وذلك لإرجاعها الى الشعب. كما تؤكد كذلك على ضرورة نزع السلطة السياسية من الطبقة الرأسمالية ومن الحزب الشيوعي لتسليمها للشعب.

وتنادي أيضاً بمقولة «لا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية» وبأن اللجان الشعبية يجب أن تتشكل في كل مكان وهي المسؤولة دائماً أمام المؤتمرات.

وبغض النظر عن بعض المفاهيم التي تتضمن بعض الشيء من المثالية الصعبة ـ وليست مستحيلة ـ المنال فهناك مفاهيم كثيرة تتضمن من الناحية العملية كافة الحلول للمشكلات السياسية والاقتصادية والإجتماعية، وذلك بصورة جدية وواقعية.

وتجدر الإشارة أيضاً الى موقف اللجان الثورية تجاه الدور الذي يلعبه العمال في المجتمع، حيث أنها تشكك بالتوجهات الليبرالية والماركسية لبعض حركات العمال في العالم. ففي الجماهيرية استياء متزايد بالنسبة للوضع الذي تعيشه حركة العمال البولونية حيث أن حقوق هؤلاء العمال تداس من قبل الحزب الشيوعي الذي أقام دكتاتورية مادية و إلحادية لا تتمتع الا بتأييد خمسة بالمئة من عدد السكان. إنها دكتاتورية تمنع الإنسان من حقه حتى في أداء الصلاة.

في العام الماضي وبالتحديد في شهر الماء (مايو) من عام 1984م، وبمناسبة انعقاد الملتقى العالمي حول الجانب الاقتصادي من الكتاب الأخضر والذي يتمثل بمقولة «شركاء لا أجراء»، قام الأخ أحمد الشحاتي بطرح مسألة بولونيا لمناقشتها. علماً أن الأخ الشحاتي هو أحد الدارسين اللامعين للنظرية العالمية الثالثة. وهو الذي أسس المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر الذي يوجد مقره الرئيسي في مدينة طرابلس.

الجماهير والسلطة في الجماهيرية:

«عصر الجماهير»، «أداة الجماهير»، «سعادة الجماهير»، «السلطة للجماهير»، «سياسة الجماهير»... كلها شعارات ترفع حالياً في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

لكن وبعمق، ما هي الجماهير، اجتماعياً وسياسياً؟..

إن الجماهير هي مجموعة أفراد دون علاقة مادية بينهم، لكنهم يتحدون في مشاعر أو في فكر أو في مصلحة مشتركة، تدفعهم للعمل بشكل فطري وتلقائي، ويشكلون مع بعضهم بناءً فوقياً حقيقياً.

إن الجماهير الليبية إذن هي مجموعة من المواطنين الذين يقومون بأدوار مختلفة في المجتمع، والذين ينتمون لأسر وقبائل مختلفة، والذين يقيمون في تجمعات سكنية ضخمة تفصلها عن بعضها آلاف الكيلومترات، ولكنهم تمشياً مع أقوال قائدهم ونظراً لتاريخهم الطويل الحافل بغزوات المستعمرين خلال فترات طويل من الاستعمار، ونظراً لضخامة الانجازات التي حققتها وتحققها الثورة، إتحدوا مع بعضهم البعض واتخذوا موقفاً مماثلاً لموقف قائدهم ومتماشياً مع مبادىء الكتاب الأخضر وأسس النظرية العالمية الثالثة.

إن ما أقصده ليس أبداً تكرار بعض المفاهيم التي ذكرتها في فصول أخرى من هذا الكتاب حول الجماهيرية بل إجراء تحليل علمي دقيق لا مجال فيه لأي مواقف إنفعالية.

إن اللجان الثورية إن ولدت في الجماهيرية لتكون «أداة الثورة» بالنسبة للجماهير ولتوجيهها توجيهاً ثورياً، فإنما ذلك قد حصل لأن الجماهير عادة تعاني من نقص أو رواسب من الماضي، فتقوم هذه اللجان بتصحيح خط الجماهير وبمكافحة بعض الشوائب الباقية فيها كاللامبالاة والخضوع على سبيل المثال.

ولابد من الأخذ بعين الاعتبار أن ثورة الفاتح قد عملت على إشباع حاجات المواطن الليبي وقد قامت بتحقيق إنجازات ضخمة بالإضافة الى إنجازات معنوية أخرى لابد من الدفاع عنها والمحافظة عليها كتأسيس الجماهيرية و إقامة سلطة الشعب.

إن العمل الذي تقوم به اللجان الثورية في مجال ترسيخ فكر القائد والدفاع عن الثورة هو عمل يهدف لتغطية بعض الشوائب التي ترتكبها الجماهير أحياناً ومنها، بالاضافة الى التي أصبحت معروفة، قلة الكفاءة في الاستيعاب والإدراك.

إن كل النقاط التي تتقارب الى عامل تماسك الجماهير، تتمثل في بناء فوقي هو رغم عيوبه ومشكلاته واقع أساسي للنظام الإجتماعي الليبي.

إن الجماهير الليبية تتمتع ببعض العوامل التي هي في الواقع مصدر عامل التماسك، وهي: الدين المشترك واللغة المشتركة والعرف المشترك، ومن النظرية العالمية الثالثة فكر مشترك حملته واعتنقته.

والجماهير في ليبيا لا تنوب بأي شكل من الأشكال عن الجماعات الإجتماعية ولا تحاول تدميرها، أنها ليست أبداً تركيبة فوقية للتركيبة التنظيمية بل هي فقط مجموعة تختلف عن غيرها لأنها ظهرت تلقائياً وانتهجت قوانين خاصة بها.

ما هو العامل الرئيسي الذي أدى إلى تشكيل هذه الجماهير؟ أعتقد أنه النشر المركّز لفكر العقيد القذافي وكونه هو مثال للثوريين الحقيقيين.

إن الكتاب الأخضر قد وصل للأسر ومؤسسات التعليم والمصانع والمزارع والمدن والى أبعد مكان في الصحراء الليبية. إنه قد وصل الى أعمق الجذور الإجتماعية عبر التركيبة التنظيمية للمجتمع، الأمر الذي يدل على أن هذا الفكر قد وضع الأسس للنظام الجماهيري.

إن الجماهير، قد تتخلى في بعض الأحيان عما هو نظامي وحتى الأفراد الذين يحملون الفكر الجماهيري و يعملون به، قد ينسوا ارتباطهم التركيبي فيتخلون عن الترتيب الذي يسيطر على كل تنظيم اجتماعي.

إنهم مخطئون جداً أولئك الذين يعتقدون أنه بالإمكان إخضاع الجماهير لتركيبة معينة. فالجماهير لا يمكن أن تخضع لذلك، فهي بطبيعتها تركيبة فوقية. وأكرر القول بأن أفراد الجماهير يتحدون تلقائياً مع بعضهم البعض وحول فكر مشترك أو حول شخصية فذة ــ مثلما هي الحال في ليبيا ــ تجسد كل طموحاتهم.

إن إرادة اللجان الثورية بالتحول الى «أداة ثورية» لتوجيه الجماهير، تنبع عن الضرورة المنطقية لتكييف وتسيير الجماهير نحو الأهداف العظيمة التي رسمتها ثورة الفاتح وقائدها الذي يجسد، ليس فقط طموحات الشعب الليبي بل طموحات كافة القوى المناضلة في هذا العالم التي ترغب بأن ترى طريقها نحو التحرر النهائي مناراً.. وربما «بالضوء الأخضر»..

إن «عصر الجماهير» الذي أعلن عنه القذافي، لا يهدف إلى أي شيء سوى دفع الجماهير نحو المشاركة التاريخية الفعالة دون إضعاف التركيبات التنظيمية التي تعتبر قاعدة للمجتمع.

تطبيق «سلطة الشعب» في الجماهيرية:

إن العقيد القذافي قد طرح في كتابه الأخضر وجهة نظره أو بالأحرى نظريته بالنسبة للأسلوب الذي يجب أن يتبعه الشعب في الدفاع عن أسس «الديمقراطية الحقيقية» بالإضافة الى كيفية تطبيقها والعمل وفق تركيبة جديدة للحكم.

إن ولادة هذه الديمقراطية الحقيقية تسجل نهاية النظام الديمقراطي التقليدي الحديث الذي يتميز باعتماده نظام المؤسسات الليبرالية.

وقد يتساءل الكثيرون من القراء عقب الإطلاع على المفاهيم التي يطرحها العقيد القذافي، عن كيفية تطبيق سلطة الشعب في الجماهيرية وكيفية عمل المؤتمرات الشعبية ومؤتمر الشعب العام، وعن الصيغة التي تعتمدها هذه المؤتمرات والتي تطرحها النظرية العالمية الثالثة، وهي تتلخص بهذه المقولة: «لا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية».

وتؤكد النظرية العالمية الثالثة على أن المؤتمرات الشعبية هي الأداة الوحيدة للديمقراطية الحقيقية، وأن أي نظام حكم يختلف عن الذي يطرحه الكتاب الأخضر، هو نظام ذو طبيعة دكتاتورية. كما يؤمنون بأن مقترحات القذافي هي غير خيالية، بل هي ثمرة فكر استطاعوا أن يتفهموه، وأن يتعلموا من تجارب شعوب أخرى ليتمكنوا من وضع أسس الديمقراطية الحقيقية.

إن تأسيس المؤتمرات الشعبية وكيفية انضمام الأشخاص الذين يتبعون لمختلف قطاعات المجتمع إليها يتطلب بدون شك شرحاً عميقاً ووافياً لأسسها وكيفية عملها.

المؤتمرات الشعبية:

إن التحدث عن فلان أو عن آخر من أعضاء أي مؤتمر شعبي في الجماهيرية هو أمر بعيد عن الواقع حيث أن أي شخص كان عندما ينضم للمؤتمر الشعبي، يصبح بلا إسم ولا لقب، بل عضواً في هذا المؤتمر.

ولتشكيل المؤتمرات الشعبية تم تقسيم الشعب وفق الترتيب الإداري للبلد، ودون الأخذ بعين الإعتبار أهمية عدد سكان المنطقة أو البلدية أو المقاطعة، فهناك مثلاً مناطق تضم عدة مقاطعات بينما مناطق أخرى تضم مقاطعة واحدة فقط.

ولكل مؤتمر شعبي أساسي أمانة تتشكل بالطريقة الآتية:

تقوم جماهير المنطقة التي تشكل المؤتمر الشعبي الأساسي بتصعيد أعضاء الأمانة لهذا المؤتمر.

ويتم هذا الأمر بالأسلوب الذي يسميه الليبيون «التصعيد المباشر» وذلك لتجنب الأساليب التقليدية التي تتميز بها الديمقراطية الليبرالية، وهي: صناديق الاقتراع والاستفتاء وفرز الأصوات الخ..

ويقوم أحد الأشخاص في الإجتماع الذي يعقده هذا المؤتمر الشعبي الأساسي، بطرح اسم المواطن الذي يراه مؤهلاً لأن يكون عضواً في أمانة المؤتمر. وبعد مناقشة الموضوع يتم تصعيد هذا الشخص أو لا، من بين الأشخاص الذين تطرح أسماؤهم في قائمة المرشحين.

إن النظام السياسي الليبي الذي تنتهجه الجماهيرية هو نظام ديناميكي. ولهذا، فإن ما هو ساري المفعول اليوم قد لا يكون ساري المفعول غداً، إذ أن الشيء المهم هو نوعية التطبيق وليس عدد الأعضاء الذين يجتمعون في منطقة أو في أخرى، ويمكن القول أن ما يطبق حالياً هو الأسلوب الآتي:

1 ـ يتم تشكيل مؤتمر شعبي أساسي في منطقة معينة، ويتم تصعيد خمسة أعضاء يشكلون أمانة لهذا المؤتمر اذا كانت المقاطعة تضم بلدة واحدة، أما اذا كانت المقاطعة تضم بلدتين فعدد أعضاء اللجنة يكون ثلاثة عن كل بلدة. و إذا كان المقاطعة تضم أكثر من بلدتين فإن عدد الأعضاء يكون اثنين عن كل بلدة، (وهكذا على التوالي).

2 ـ تقوم كل أمانة باختيار، من بين أعضائها، أميناً وأميناً مساعداً للقيام بإدارة الأعمال اليومية للمؤتمر الشعبي الأساسي يعرضا على أعضاء المؤتمر لإقرار تصعيدهما أو يُصعدا من قبل أعضاء المؤتمر منذ البداية.

أما مسؤوليات اللجنة فهي الآتية:

أ ـ تحضير المؤتمر الشعبي الأساسي للاجتماعات العادية وغير العادية.

ب ـ القيام بالإجراءات اللازمة خلال انعقاد المؤتمر (ضبط النظام).

ج ـ صياغة القرارات والتوصيات الناتجة عن اجتماعات المؤتمر.

د ـ مراقبة تنفيذ القرارات والتوصيات التي اتخذتها جماهير المؤتمر، وذلك بمتابعة اللجنة الشعبية التنفيذية.

هـ ـ تقديم التقارير الخاصة لجماهير المؤتمر مع الشروح الوافية لنتائج التوصيات. ويقوم بتحضير هذه التقارير أولئك الذين تقع على عاتقهم مسؤولية متابعة سير القرارات والتوصيات.

و ـ تشكيل لجان لشؤون خاصة كي تقوم بدورها على أكمل وجه على أن يعتمد المؤتمر الشعبي الأساسي أعضاء هذه اللجان ومهامها.

إن القرارات التي يتخذها أي مؤتمر شعبي منها قرارات تخصه هو، ولا يمكن أن تخضع لاعتماد أي مؤتمر آخر.

ومنها قرارات تتعلق بمسائل تهم البلدية كلها، حينذاك ترفع هذه القرارات الى المؤتمر

الشعبي للبلدية للتنسيق مع قرارات بقية المؤتمرات الشعبية الأساسية للبلدية ثم صياغة القرار النهائي. أما اذا كانت تهم الجماهيرية ككل كالمعاهدات الدولية والميزانية العامة.. الخ. فتصل الى مؤتمر الشعب العام ليتم فيه التنسيق والصياغة ومن ثم إصدارها في صورة قوانين جاهزة للتنفيذ من قبل اللجان الشعبية بكافة المستويات والنوعيات الآتية: بعد تصعيد أمانة لكل مؤتمر شعبي أساسي تجتمع الأمانات التابعة لكل مؤتمر شعبي أساسي لتشكل مؤتمراً شعبياً على مستوى البلدية ويقوم هذا المؤتمر بتصعيد أمانة له. ويتم اختيار أمين وأمين مساعد لهذه الأمانة.

ان هذا الأسلوب في جوهره هو نفس الأسلوب المتبع في المؤتمرات الشعبية الأساسية. كما أن اللجان الفنية هي أيضاً تُنظم كلجان شعبية خاصة، مثلاً: اللجنة الشعبية للتعليم، اللجنة الشعبية للصحة، الخ..

إن المؤتمرات الشعبية على مستوى البلديات تقوم بتنسيق قرارات المؤتمرات الشعبية الأساسية وبمراقبة سير قرارات أعضائها مع اللجنة الشعبية العامة واللجان الشعبية الخاصة.

أما نقطة الإلتقاء لهذه المؤتمرات الشعبية فهي «مؤتمر الشعب العام» الذي يعقد مرة كل سنة ويتم فيه صياغة القرارات بصورتها النهائية لتنفيذها كما شرحنا سابقاً، التي تنقل للجنة الشعبية العامة للجماهيرية واللجان الشعبية العامة للبلديات وحتى للمحلات. هذه اللجان هي المسؤولة مباشرة أمام المؤتمر الشعبي الذي قام بتصعيدها.

مؤتمر الشعب العام:

لقد قيل الكثير حول النظرية وكيفية تشكيل وعمل مؤتمر الشعب العام في الجماهيرية، وهو، يتألف من الأمناء والأمناء المساعدين للمؤتمرات الشعبية الأساسية، ومن الأمناء والأمناء المساعدين للمؤتمرات الشعبية على مستوى بلديات، ومن أمناء اللجان الشعبية العامة والنوعية على مستوى بلديات وأعضاء اللجان الشعبية العامة في الجماهيرية، ومن أمناء اللجان الشعبية الجامعية وأمناء اللجنة العامة لمؤتمر الشعب العام وأمناء المؤتمرات الشعبية للاتحادات والنقابات والروابط المهنية والفنية.

إن مؤتمر الشعب العام في اجتماعه السنوي يرسم ويقرر استراتيجيات الدولة (الجماهيرية)، ويقيّم أعمال مختلف الادارات الشعبية خلال السنة الفائتة، ويقيم نتائجها ويقرر تصعيدات جديدة أو يخلق إدارة جديدة ويلغي أخرى إذا دعت الحاجة.

ولا يقصد هنا بكلمة (يقرّر) أن أعضاء مؤتمر الشعب العام يفعلون ذلك من ذاتهم وبإرادتهم المطلقة، بل هي قرارات اتخذت في المؤتمرات الشعبية تُجمع الآن في مؤتمر الشعب العام بقرار موحد. وعلى هذا يمكننا القول بأن مؤتمر الشعب العام أشبه بلجنة صياغة لكل ما قررته المؤتمرات الشعبية الأساسية والبلدية والمهنية وبالتالي لإرادة الشعب.. كل الشعب.

وتتألف أمانة مؤتمر الشعب العام من أمين عام وأمين مساعد وأمناء آخرين يتمّ

تصعيدهم من قبل أعضاء هذا المؤتمر ويتبع لهذه الأمانة الجهاز المركزي للرقابة الإدارية.

إن إحدى مميزات أعضاء مؤتمر الشعب العام هي أن صفتهم كأشخاص لا تهم بقدر ما يهم دورهم بنقل توصيات وقرارات المؤتمرات الشعبية الأساسية التي صعدتهم كأمناء وكأمناء مساعدين لتشكيل مؤتمر الشعب العام. وليس لديهم الحق، خلال المناقشات، بإبداء آرائهم الشخصية. إنهم يقومون فقط بالمهمة التي أوكلها إليهم مؤتمرهم حتى لو كانت آراؤهم الشخصية لا تتفق وآراء هذا المؤتمر.

وبدون شك، إن القرارات لا تتخذ دائماً بالإجماع، أكان ذلك في المؤتمرات الشعبية الأساسية أو في المؤتمرات الشعبية على مستوى البلديات أو في مؤتمر الشعب العام.

كيف يفسر إذن الدارسون للنظرية العالمية الثالثة مسألة الأكثرية؟. وأين يكمن الفرق بين هذا النظام والأنظمة الانتخابية في أي بلد آخر؟

يقولون إن الأكثرية في النظام البرلماني تخضع لتعديلات كثيرة والاستثناء يؤكد القاعدة. بينما في الجماهيرية، إن القرارات لا تُتخذ وفق الرأي الفردي لأعضاء المؤتمر بل تخضع لما قررته المؤتمرات الشعبية الأساسية التي صعدتهم.

ويؤكد متتبعو هذا النظام الديمقراطي الجديد بأن طرح الحلول للمسائل التي تتعلق بمناطق أو بمحافظات أخرى هو عمل يؤدي الى إحياء الروابط الأساسية بين أعضاء المؤتمرات، وهو عمل يسمح للجماهير بإبداء آرائها، إيجابية كانت أو سلبية.

هناك شيء يميز النظام المتبع حالياً في الجماهيرية عن أنظمة أخرى معروفة في العالم، وهو أنه لكي يكون الفرد عضواً في المؤتمر الشعبي يكفي أن يكون فقط مواطناً ليبياً مقيماً في الجماهيرية أو في خارجها، فلا شيء يحرمه حقه هذا، الا اذا صدر عليه حكم قضائي بارتكابه عمداً ما يمسّ سلطة الشعب.

ويتم تحضير جداول الأعمال من قبل المؤتمرات الشعبية الأساسية قبل وقت مناسب من عقد دوراتها العادية. وأحياناً تأتي مقترحات بإدراج بعض المسائل والقضايا في جدول الأعمال وذلك من قبل اللجان الشعبية العامة للبلديات أو الجماهيرية والتي تظهر ضرورتها من خلال تنفيذ السياسة الداخلية والخارجية التي سبق وقدمتها المؤتمرات الشعبية نفسها.

ومن المعروف أيضاً أن النواب في الأنظمة التقليدية يقومون أحياناً بتغيير توصيات مطروحة من قبل أحزابهم. إن هذا في الجماهيرية أمر مستحيل.

وحول مسألة الأكثرية، يؤكد شرّاح النظرية العالمية الثالثة على أن الفرق موجود، وهو فرق شاسع بين النظام الجماهيري والنظام البرلماني، لأن عضو واحد أو عدد معين من الأعضاء يمكنهم التحول من أقلية إلى أكثرية والعكس بالعكس وفقاً لقرار المؤتمر الشعبي الأساسي الذي يمثل أي أمر خاص هو قيد البحث.

هناك فرق آخر بين النظام الجماهيري والنظام الديمقراطي التقليدي الحديث، وهو أن رأي

عضو المؤتمر الشعبي يُعرف فقط عندما يتم التصويت أو عندما يخاطب أعضاء المؤتمر مبدياً رأيه وقراره. وأمام هذه المسألة الفقهية يصبح من المستحيل تشكيل تحالفات وتكتلات.

لقد حدث أن بعض أمناء وأعضاء اللجان الشعبية التنفيذية، لم يقوموا بتنفيذ المهام التي ألقيت على عاتقهم، فكان نصيبهم الحكم على تصرفاتهم بالإدانة، وبعد ذلك، حين وجد أن أعذارهم في التقصير غير كافية تمّ عزلهم عن مناصبهم واستبدلوا بعناصر مؤهلة للقيام بهذه المهام بصورة أفضل ولتنفيذ قرارات المؤتمرات الشعبية الأساسية.

أما بالنسبة للاتحادات والنقابات والروابط المهنية ومؤتمرات المهنيين والفنيين، فإنها تتجمع وفق اختصاصاتها وليس وفق إنتمائها لمنطقة أو لأخرى.

إن دورها يختلف عن الدور الذي تلعبه مثل هذه الاتحادات في أنظمة أخرى. وحول هذا الموضوع يقول القذافي في نظريته: إن المواطنين جميعاً الذين هم أعضاء تلك المؤتمرات الشعبية ينتمون وظيفياً أو مهنياً إلى فئات مختلفة.. لذا عليهم أن يشكلوا مؤتمرات شعبية مهنية خاصة بهم، علاوة على كونهم مواطنين أعضاء في المؤتمرات الشعبية الأساسية أو اللجان الشعبية.. إن ما تتناوله المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية يرسم في صورته النهائية في مؤتمر الشعب العام الذي تلتقي فيه أمانات المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية. و إن ما يصيغه مؤتمر الشعب العام الذي يجتمع دورياً أو سنوياً يطرح بالتالي على المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية ليبدأ التنفيذ من قبل اللجان الشعبية المسؤولة أمام المؤتمرات الشعبية الأساسية.

إن اللجان الثورية التي تطرقت للحديث عنها مراراً، تعمل على توجيه وحث الجماهير على ممارسة السلطة داخل المؤتمرات الشعبية، وذلك لحماية الثورة والدفاع عنها ونشر مبادئها في كل مكان.

وبانعقاد مؤتمر الشعب العام تكتمل الصورة النموذجية لسلطة الشعب التي غدت منذ إعلانها في ليبيا في الثاني من شهر المريخ (مارس) 1977م هاجس المفكر الثائر معمر القذافي، رغم أني متأكد أن إرهاصاتها بدأت تمور في وجدانه منذ مظاهرة الخامس من شهر التمور (أكتوبر) 1961م. وهكذا تم تطبيق معظم الأفكار التي طرحها العقيد القذافي في الكتاب الأخضر، رغم بعض الصعوبات التي لا نقول أنها انتهت بالكامل.

و إذا أردنا هنا أن نؤكد على شخصية القائد الفذة وقدرته الابداعية وتأييد شعبه له، يكفي أن نقول بأنه في خطاب واحد طرح فيه بعض الاقتراحات وبعض التغييرات، جعل الشعب كله يلتف حوله ويؤيد توصياته واقتراحاته.

إن الفصول القادمة تهدف الى دراسة نمو ثورة الفاتح في كل واحد من قطاعات الحياة في الجماهيرية، مع تخصيص الجزء الأخير من هذا الكتاب لكل ما يتعلق بتطبيق النظرية العالمية الثالثة في حقل السياسة الخارجية الليبية والدور الذي يلعبه العقيد القذافي كقائد لكل الشعوب التي تناضل من أجل انعتاقها النهائي والحقيقي.

لقد حان الوقت إذن للقيام بدراسة خاصة وعميقة لنقطة الإنطلاق.

العامل الاقتصادي وتطبيق الإشتراكية

إن أحد المظاهر التي تتميز بها ثورة الفاتح هو الإحساس العميق بالعدالة الإجتماعية وبخدمة المصلحة العامة الذي منحه القائد للسياسة الاقتصادية التي تنتهجها الجماهيرية.

كم من حكومات في الدول النفطية حولت ثرواتها الطبيعية التي هي ملك لشعوبها الى إشباع أطماع قادتها التي لا حدود لها.

أما القذافي فقد خطط لأعمال ومشاريع تلزم حتى آخر درهم من دخل الجماهيرية الناتج عن عمليات تصدير النفط ومشتقاته. إن هذه المشاريع هي التي ستضمن رفاهية وازدهار الشعب الليبي عندما يجف النفط أو عندما يتم استبدال هذه المادة بمادة أخرى كمصدر رئيسي للطاقة.

إن الإزدهار الذي تحقق خلال الست عشرة سنة الأخيرة، والمشاريع التي هي الآن موضع درس أو قيد التنفيذ، تحتاج لآلاف الصفحات اذا أردنا ذكرها والتطرق إلى الوضع القائم حالياً في الجماهيرية والتطور الإقتصادي الذي حصل خلال السنوات الأخيرة.

لهذا السبب، سوف أحاول في هذا الفصل، الإشارة فقط بخطوط عريضة إلى السياسة الإقتصادية في مختلف المجالات و إلى مؤشرات النمو خلال السنوات الأخيرة.

لملاحظة نتائج عملية تطبيق السياسة الاقتصادية في الجماهيرية عن طريق ثورة الفاتح من سبتمبر يجب الإعتراف ـ بغضّ النظر عن النتائج التي تنبع من دراسة ترتكز على آراء وتوجيهات خاصة في هذا المجال ـ بأن الأمر الذي يعطي هذه السياسة قيمة فريدة هو أنها جزء من نظام فلسفي، وبتسلسل منطقي من نظرة لاهوتية.

ربما هذا الأمر يرعب أولئك المتخصصين في معاهد الليبرالية والماركسية، لكنه يرتكز على قيم غير اقتصادية تتميز بها، في هذه الحالة، الثورة الوطنية والشعبية والإنسانية والإسلامية، تنظر الى كل شيء من منظار ديني وتعمل وفق ذلك بالنسبة للمسائل الدنيوية.

وهذا يختلف تماماً عن الأنظمة التي تنتهج سياسات اقتصادية تفصل بين الناحيتين الاقتصادية والخلقية وتخلق بذلك عالمين مختلفين عن بعضها البعض دون أي رابط بينهما.

في الجماهيرية تم تطبيق كل الأفكار التي تتميز بعمقها الخلقي والتي طرحها المفكر القذافي

ليس فقط في الكتاب الأخضر بل أيضاً في كتابات أخرى وفي مناسبات عديدة. ربما هناك أشخاص متخصصون ينتقدونه من الناحية الفنية، لكنني أسألهم هنا: «من يملك القدرة الخلقية والحق بأن يحكم على سياسة اقتصادية هدفها المصلحة العامة و إشباع حاجات الإنسان ليس إلا».

إن المؤتمرات الشعبية الأساسية واللجان الشعبية ومؤتمر الشعب العام، يجتمعون بصورة دائمة مطبقين أفكار النظرية العالمية الثالثة.. يدرسون المشاريع ويخططون وينظمون وينفذون التدابير الضرورية لتنظيم اقتصاد وطني يرتكز على أساس دفع جهاز الإنتاج بهدف إشباع حاجات الشعب الليبي من المنتجات والخدمات.

وبخطوط عريضة يمكن القول أن الاستراتيجية التي تنتهجها الثورة ترتكز على النقاط الآتية:

1 ـ إقامة شبكة أسواق ومجمعات على طول وعرض ليبيا لتغطية احتياجات الشعب في مراكز الإستهلاك الرئيسية.

2 ـ تخفيض نسبة الاستيراد وحصره بالمواد الضرورية التي تقررها المؤتمرات الشعبية الأساسية وفق الإحتياجات الأساسية لكل منطقة أو بلدية.

3 ـ تنظيم أسواق المنتجات المحلية والعمل على تصدير كل ما يفيض عن حاجة الشعب من المنتجات الليبية أو من المواد المصنعة خصيصاً للتصدير.

4 ـ تشكيل احتياط من المواد الضرورية والمستوردة بهدف تأمين تغطية الإحتياجات الداخلية منها خلال فترة محددة من الزمن.

5 ـ بناء علاقات مع دول شقيقة وصديقة لتأمين إحتياجات الإقتصاد الوطني من المواد الضرورية والخدمات.

وتجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد في ليبيا حتى عام 1983م، حوالي 1871 سوقاً و8 مجمعات ضخمة.

ومع بداية الثمانينات تمت الموافقة على خطة تحول عملاقة سميت بخطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م ذكرنا سابقاً معلومات عنها بخطوط عريضة.

إن هذه الخطة قد وضعت لإشباع حاجات الشعب الليبي ولإعادة تنظيم تركيبة التجارتين الداخلية والخارجية و إزالة كل معالم التجارة الحرّة وبقايا كل ما يعتبر نوعاً من الاستغلال.

لهذا الهدف تم تشكيل وتجهيز تعاونيات استهلاكية في كل أنحاء الجماهيرية، وتغطية مناطق مختلفة بفروع ومراكز تابعة لشركات ومنشآت عامة. كما تم إنشاء المخازن، ويتم حالياً تقنين الاستهلاك العام والخاص، ويتم أيضاً خلق تركيبة سياحية لتسهيل هذه الأمور بالنسبة للشعب.

في مجال التجارة الخارجية، يتم العمل على تغطية الإحتياجات الشعبية من المنتجات التي

تفتقد إليها الجماهيرية، لكن بأسعار معقولة وبدون أي هدف للربح، ومثال على ذلك: تقوم الجماهيرية بشراء عدد معين من السيارات، وذلك من شركة معينة تقوم بشحن هذه السيارات الى ميناء ليبي. ويكون سعر السيارة الواحدة بالنسبة للمستهلك مباشرة ـ حيث لا وجود في ليبيا للوسطاء ـ معادلاً لسعر الكلفة والتأمين والشحن تقوم الجماهيرية بدفعه للشركة بالإضافة إلى بعض المصاريف الأخرى.

وتشمل خطة التحول ضرورة تنظيم تركيبة جديدة للتجارة الخارجية بهدف التمكن من تحمل مسؤوليات جديدة، كما تشمل أيضاً ضرورة تخفيض نسبة الكميات المصدرة من النفط.

إن قيمة المصدرات الليبية قد وصلت خلال عام 1980م، الى حوالي 000 000 000 7 دينار أي ما يعادل 000 000 500 24 دولار حسب سعر الصرف الرسمي الليبي، بينما من المقرر أن تنخفض قيمة المصدرات خلال هذا العام 1985م الى حوالي 000 000 400 5 دينار ليبي، أي أن نسبة الإنخفاض في قيمة المصدرات هي 5٪ تقريباً.

وتحافظ الخطة على أهداف المرحلة الأولى 1970 ـ 1973م. أي تشكيل مراكز استهلاكية ومخازن للمنتجات والمواد التي قد يحتاجها الشعب في بعض الحالات الطارئة بالإضافة إلى البدء بالعمل الجاد لتحسين نسبة الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي.

ويتم حالياً القيام بمراجعة لسياسة دعم الإنتاج وتقنين الإستهلاك لتكييفها مع متطلبات الحاضر والمستقبل القريب.

إن وضع الحركة التعاونية يخضع حالياً لبعض التقويم وذلك بهدف تكييفه مع متطلبات الحركة الداخلية للسلع. كما أن ليبيا تقوم اليوم بدراسة تشريع جديد يهدف الى تنظيم النشاطات الصناعية والسلعية وفق التركيبة الاشتراكية وأطلقت على هذا النوع من الأنشطة اسم (التشاركيات).

ومن المقرر أيضاً بناء وتجهيز مختبرات ضرورية لإقامة نظام رقابة لنوعية الإنتاج، وذلك بهدف حماية المستهلك وتعزيز الإقتصاد الوطني.

ويتم أيضاً إجراء دراسات لوضع أنظمة نموذجية للاستهلاك بقصد توعية وترشيد المستهلك حول احتياجاته الأساسية والعمل على تجنب استهلاك مفرط من المنتجات.

إن الخطط السارية المفعول حالياً والانجازات التي تحققت في مختلف المجالات، والتي هي ضمن مسؤوليات مختلف المكاتب الشعبية المتفرعة من مؤتمر الشعب العام، هي ما سنذكره لاحقاً.

النهر الصناعي.. مشروع قمة لثورة الفاتح:

إن إنشاء النهر الصناعي في الجماهيرية هو دليل آخر، فريد من نوعه، على كفاءة ثورة الفاتح. فهذا المشروع «الفرعوني» هو نتاج لدراسات دقيقة قامت بها أجهزة دولية بارزة

كالمعهد الجيولوجي البريطاني والشركة الفرنسية «جيفلي» بالإضافة إلى مؤسسات أخرى من جهات متعددة.

إن الدراسات الأولى التي حددت بعد سنوات عديدة إمكانية إنشاء نهر صناعي، تعود إلى عام 1972م. أي عندما تم الاستنتاج عبر أعمال البحث أنه يوجد في منطقتي «السرير» و«تازربو» احتياطات ضخمة من المياه الجوفية التي تتغذى باستمرار والتي تعتبر كافية لسد حاجات الجماهيرية في الريّ لمدة تزيد عن ثلاثمائة سنة.

وفي عام 1980م أظهرت الدراسات نتائج ايجابية، محددة امكانية نقل حوالي مليوني لتر من الماء يومياً الى المنطقة الساحلية.

إن مشروع نقل المياه عبر نهر صناعي سوف يغير، دون شك، وجه الجماهرية مؤديا إلى رفع مستوى زراعة الحبوب حيث سيتم ري حوالي 000 000 50 هكتار من الأراضي في المنطقة الجنوبية الشرقية من بنغازي التي سيتم زرعها بالقمح الشتوي. كما سيتم زرع حوالي 000 000 30 هكتار لإنتاج علف الحيوانات، الأمر الذي سيسمح بإنتاج حوالي 000 23 طن من زيت الصويا، وبتربية عشرات الآلاف من البقر الحلوب التي ستنتج بدورها الكميات الضرورية من الحليب.

إن هذا المشروع نظراً لأهميته وضخامته يرافقه عدد كبير من المشاريع والأعمال التي ترتبط به والتي تؤدي إلى قيام ليبيا بالتعاقد مع اليد العاملة من دول شقيقة، افريقية وعربية.

ونذكر هنا بعض المعلومات حول هذا المشروع:

1 ـ ان حجم الاسمنت الذي سيستخدم في صناعة الأنابيب يكفي لإنشاء طريق عام من ليبيا إلى الهند.
2 ـ إن طول الشريط الذي سيستخدم يكفي للفّ الكرة الأرضية 55 مرة.
3 ـ إن كل أنبوب يزن 77 طن، ويبلغ طوله 7 أمتار وقطره 4 أمتار وسماكته 30 سنتيمتراً.
4 ـ إن حجم الحجارة والرمال التي ستنتج عن أعمال الحفر يعادل ثلاث مرات حجم الهرم الكبير في مصر.
5 ـ إن وزن الفولاذ الذي سيستخدم يقدر بحوالي مليون طن.
6 ـ إن عدد الأنابيب التي ستستخدم يصل إلى حوالي 250 ألف أنبوب.

وهكذا استحق هذا المشروع الإسم الذي أطلقته عليه الثورة (النهر الصناعي العظيم).

الزراعة والمواشي والتغذية بشكل عام:

قال القذافي منذ مدة كلمات توضح أهداف الاستراتيجية الليبية في مجال الزراعة والمواشي، حيث أكد على أن منطقة الجبل الأخضر تشهد على عطاء هذه الثورة الزراعية العظيمة التي ستمكن الشعب الليبي من العيش بحرية تامة، حيث أنه سيحصل على كل المواد الغذائية التي

كان لفترة خلت يستوردها من الخارج.. وقال: «هذه هي الحرية.. هذا هو الاستقلال.. وهذه هي الثورة».

إن استراتيجية الجماهيرية في قطاع الزراعة والمواشي تهدف إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي وتخفيض نسبة الاستيراد من الخارج قدر المستطاع.

أما الميزانية المخصصة لهذا القطاع فقد وصلت خلال الفترة ما بين 1970 و1985م، بصورة إجمالية إلى حوالي 000 000 000 4 دينار ليبي أي ما يعادل 000 000 000 14 دولار. وهذا يمثل حوالي 19٪ من كل الميزانيات المخصصة لكافة القطاعات.

ومن بين أهم المنجزات التي تحققت في هذا المجال هو استصلاح حوالي 720 226 1 هكتار من الأراضي وإعادة زرعها، وهذا يمثل حوالي 52٪ من البرنامج العام الذي يشمل 114 مشروعاً زراعياً موزعين على 86 مقراً إنتاجياً سبعة منها لزراعة الحبوب و21 لزراعة الغابات وتنمية المراعي.

وقد تم أيضاً حفر حوالي 2846 بئراً للماء تغطي احتياجات حوالي 76٪ من البرنامج العام. وتم بناء 10342 مسكن للمزارعين والرعاة وحوالي 14125 مزرعة سلمت للقادرين على استغلالها، بالإضافة الى 80 مخزناً. وتم تعبيد حوالي 3086 كلم من الطرق، وزرعت ملايين الأشجار المثمرة (وصل عددها الى حوالي 20 مليون شجرة تقريباً).

إن الإنتاج قد ارتفع بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة، والهدف من ذلك طبعاً تحقيق الاكتفاء الذاتي. فإنتاج القمح الذي وصل عام 1970م الى 27000 طن قد وصل عام 1983م الى 213000 طن. بنسبة 17,2٪ في الزيادة سنوياً.

وارتفع الإنتاج من الخضروات بنسبة 10,8٪ سنوياً، حيث كان الإنتاج خلال عام 1970، حوالي 205000 طن ووصل خلال عام 1983م الى 774000 طن.

أما الإنتاج من الزيتون فقد ارتفع بنسبة 5,8٪ سنوياً، حيث كان خلال عام 1970م حوالي 69200 طن، ووصل خلال عام 1983م الى 143800 طن. وارتفع الإنتاج من الفواكه بنسبة جيدة حيث كان خلال عام 1970 حوالي 90300 طن ووصل خلال عام 1983م الى حوالي 262200 طن.

وارتفعت أيضاً نسبة الإنتاج من اللحوم والحليب، حيث كان إنتاج اللحوم خلال عام 1970م حوالي 42300 طن ووصل خلال عام 1983م الى 74800 طن، أي بنسبة 4,5٪ سنوياً، كما أن الإنتاج من الحليب كان خلال عام 1970م يقدر بحوالي 52200 طن بينما وصل خلال عام 1983م الى 120000 طن تقريباً، أي بزيادة نسبتها 6,6٪ سنوياً.

وحققت الجماهيرية زيادة لا يستهان بها في إنتاج العسل والبيض، حيث كان إنتاجها من العسل خلال عام 1970م يقدر بحوالي 30 طن بينما وصل خلال عام 1983م الى حوالي 500 طن،

أي بزيادة سنوية نسبتها 42,2٪. كما أن إنتاج البيض خلال عام 1970م كان يقدر بحوالي 000 500 45 بيضة، ووصل خلال عام 1983م الى حوالي 000 000 390 بيضة، أي بزيادة سنوية نسبتها 18٪.

وقد قامت أمانة الزراعة بتأسيس نظام تربوي زراعي، وتستغرق مدة الدراسة ثلاث سنوات يتخرج بعدها الطالب حاملاً شهادة تخصصية في هذا المجال. وهناك اختصاصات عديدة في هذا المجال كالتعليم الزراعي والطب البيطري والتعليم الفني، وهناك أيضاً معهد الموارد المائية الذي يقوم فيه الطلاب المتخرجون بأعمال حفر الآبار وخدمات المياه الجوفية والسطحية.

ويوجد أيضاً في «الحشان» معهد للغابات يقوم سنوياً بتنظيم حملات زراعية يشارك فيها المتطوعون من مختلف المناطق، وذلك لزيادة عدد الأشجار المغروسة.

والجدير بالذكر هو أن المدة المحددة لخطة التحول الخمسية، التي ذكرناها مراراً، تنتهي خلال هذا العام 1985م. وكما قلنا، إن هدفها الأساسي هو تحقيق الإكتفاء الذاتي في مختلف القطاعات الزراعية والحيوانية والسمكية وغيرها..

وتستهدف هذه الخطة استصلاح وتنمية حوالي 70000 هكتار من الأراضي المروية وحوالي 500000 هكتار من الأراضي الخصبة، بالإضافة الى رفع طاقتها الإنتاجية وإلى تنمية حوالي 1207217 هكتار لتأمين مصادر التغذية في المناطق الريفية ولتنمية المراعي التي تزيد بدورها إنتاج اللحوم.

وتستهدف الخطة أيضاً تنمية المنطقة الساحلية التي تفسح المجال أمام استغلال الأراضي الصالحة للزراعة فيها لتخفيض نسبة الكميات الضخمة من المياه المخصصة للريّ.

وهكذا، بقصد رفع مستوى الإنتاج لتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال التغذية تم وضع الأهداف الآتية:

1 ـ زيادة إنتاج القمح من 140500 طن في عام 1980م الى 428000 طن في عام 1985م لتغطية 75,3٪ من الاحتياجات المحلية.

2 ـ زيادة إنتاج الشعير من 71500 طن في عام 1980م الى 105600 طن في عام 1985م لتغطية كل الاحتياجات المحلية.

3 ـ زيادة إنتاج الفواكه والزيتون من 312000 طن في عام 1980م الى 344000 طن في عام 1985م لتغطية 98٪ من الاحتياج المحلي.

4 ـ زيادة إنتاج اللحوم من 58600 طن في عام 1980م الى 130400 طن خلال عام 1985م وذلك نتيجة تطور إنتاج لحوم الدواجن الذي يغطي حالياً حوالي 57,5٪ من المجموع الإجمالي، ويمثل لحم الغنم حوالي 33,5٪ ولحم البقر حوالي 9٪. إن نموّ هذا الإنتاج سيغطي الإحتياج المحلي من اللحوم.

5 ـ زيادة إنتاج الخضروات من 658300 طن في عام 1980م الى 779000 طن في عام 1985م لتغطية 95,6٪ من الاحتياج المحلي.
6 ـ العمل على حماية الاكتفاء الذاتي في إنتاج البيض الذي كان في عام 1980م 15700 طن، ووصل في عام 1985م الى 45300 طن.
7 ـ زيادة إنتاج الحليب من 000 000 110 لتر في عام 1980م الى 000 000 823 لتر في عام 1985م.

إن الجماهيرية قد نسبت حوالي 49,9٪ من الاستثمارات الصناعية للقطاع الزراعي وتربية المواشي. وقد تم إنشاء مطاحن ضخمة في مدينة طرابلس ومطاحن أخرى تصغرها حجماً في مختلف أنحاء الجماهيرية.
مل الآن في الجماهيرية مصانع عديدة لإنتاج الألبان، وذلك في مدينتي طرابلس وبنغازي، ومصانع أخرى لتعليب التمر ومعجون الطماطم، ولتعبئة المياه المعدنية وشراب الفواكه ولتعليب البقول. ويوجد في هذه المصانع أيضاً أماكن خاصة لتجفيف الفواكه والبقول.

وتم أيضاً إنشاء مصانع للخلّ والخميرة ولتصنيع التبغ ليس فقط لتغطية الإحتياج الداخلي بل أيضا استعداداً للتصدير.

هذا ويوجد في ليبيا حالياً حوالي 46 مصنعاً يوجد 25 منها في حالة إنتاجية تامة، والباقي سوف ينتهي بناؤه قريباً ليتم توزيعه على المنتجين الشركاء الذين سيقومون بتشغيله.

وقد قامت الثورة أيضاً بوضع برنامج قروض وإعانات بهدف تنمية القطاع الزراعي واستخدام أحدث الماكينات والتقنية المتطورة. فيتم تقديم القروض للمنتجين، تكون طويلة الأجل، ليتمكنوا من القيام بأعمال حفر آبار الماء وتوسيع رقعة الأراضي المروية وتسميد الأرض ومكافحة الحشرات، بالإضافة إلى تربية البقر الحلوب والطيور والغنم الخ..

كما تقدم الجماهيرية للمنتجين إعانات عن طريق المصرف الزراعي علاوة على الجرارات الزراعية وكل الآلات والمواد الكيماوية والعلف ومبيدات الحشرات والكهرباء وغيرها..

وبالنسبة للمنشآت الزراعية الجماعية، يبدو من المهم جداً ذكر العناصر التي يتم ضمها لهذه المؤسسات المتواجدة في المناطق السكنية التي تعمل على تغطية الاحتياجات من مختلف أنواع المنتجات، حيث أنه من الضروري أن تتمتع هذه المنشآت البعيدة بتركيبة عملية مختلفة. ولنأخذ على سبيل المثال مشروع «وادي القطارة» بالقرب من مدينة بنغازي، الذي يجمع المميزات الآتية:

بعد أن يجتمع المؤتمر الشعبي الأساسي ويصعد لجنته الشعبية يتم القيام بنفس الخطوات التي تم أيضاً في كافة المنشآت. إثر ذلك تجتمع اللجنة الشعبية وتقوم بتحضير برنامج العمل السنوي وتعرضه على المؤتمر الشعبي الأساسي للموافقة عليه، وتقوم أيضاً بمراقبة:

أ ـ العضو المراقب لوحدات الخدمات الذي يقوم بدوره بمراقبة الإجتماعات الإرشادية للمستفيدين من المشروع مع أسرهم، ويقوم بتحضير برنامج الإرشاد ويقدر نتائجه. ويقوم أيضاً بمراقبة وحدات الخدمة في مجال الزراعة وتربية المواشي وخاصة البقر والغنم، بالإضافة الى صيانة الآلات وأدوات العمل وتقديم قطع الغيار الضرورية وإدارة مؤتمرات المزارعين وإعطائهم الإرشادات اللازمة لخدمة مصالح المستفيدين بصورة أفضل.

ب ـ العضو المراقب للخدمات العامة والوحدات الأساسية الذي تحمله اللجنة الشعبية التي قامت بتصعيده مسؤولية مراقبة صيانة الوحدات الأساسية والطرق والكهرباء والاتصالات ومساكن المنتجين والمركز الصحّي والسوق العام ومحطة البنزين وأماكن الترفيه والرياضة.

ج ـ العضو المراقب للإنتاج والتسويق، يراقب باستمرار كميات المنتجات ونوعياتها، ويسهل للمنتجين المستفيدين شروط الإنتاج ويكون على اتصال بالمؤسسات الشعبية المسؤولة بقصد تأمين الأسواق للمنتجات.

د ـ العضو المراقب للتعليم العام والمهني، وهو الذي يهتم ببرامج تعليم الأميين وبرامج التعليم العام والمهني.

هـ ـ العضو المراقب لوحدات الصيانة وأعمال الريّ، وهو المسؤول عن مراقبة محطات الضخّ وأعمال وصيانة شبكات الريّ وحماية شبكات المياه الصالحة للشرب والخزانات.

و ـ العضو المراقب للشؤون العسكرية والوحدات الدفاعية وهو المسؤول عن إدارة البرامج التي تهدف إلى توعية الشعب وحثه على تحقيق «الشعب المسلح» والتي تجعل من المكان مركزاً عسكرياً يستطيع أن يواجه أي عدوان أجنبي.

إن مشروع «وادي القطارة» يستهدف الاسهام في تطوير النمو الريفي، وخلق مجموعات جديدة من المزارعين، والعمل مع مشاريع أخرى لمدّ مدينة بنغازي بالمواد الغذائية من المنتجات الزراعية وخاصة الفواكه والخضروات.

تبلغ المساحة الإجمالية للمشروع 2000 هكتار يتم ريّ القسم الأكبر منها. ويضم هذا المشروع حوالي 1341 مزرعة مساحة كل واحدة منها 10 هكتارات، وتنتج الحبوب والفواكه والخضروات والبقول. كما أن نوعية هذه المنتجات ممتازة وتسهم بشكل ملحوظ في مسيرة الاكتفاء الذاتي من المواد الغذائية.

وتولي الجماهيرية اهتماماً بالغاً بالصناعة السمكية فتدفع مخططات التنمية وانشاء الموانىء الخاصة بهذا القطاع على طول الساحل وبالقرب من مراكز الاستهلاك الرئيسية.

وبهدف تحديث السوق الليبي قامت الجماهيرية بتشكيل مؤسسات اقتصادية مشتركة مع دول كاسبانيا واليونان اللتان تسيطران على أساطيل متطورة لصيد الأسماك. ويتم حالياً التشجيع

على الاستثمارات في هذا القطاع، ويرافق ذلك أيضاً بناء المخازن المبردة لحفظ الأسماك والقشريات.

ان القائد الذي يعرف جيداً أهمية ثروات الجماهيرية البحرية، نصح بتطوير سياسة دراسة المحيطات عبر تدريب وتحضير المهنيين والأخصائيين في هذا المجال بهدف التوصل الى استغلال مناسب لهذه الثروات.

هذا وفي الطريق نحو الاكتفاء الذاتي في مجال المواد الغذائية لم تبخل الجماهيرية أبداً حيث أنها تولي هذا الموضوع أهمية كبرى. واذا أردنا أن نحكم وفق المعلومات الظاهرة نستطيع القول بأن هذا البلد لن يتأخر كثيراً حتى يحقق هذا الطموح العظيم لقائد الثورة العقيد القذافي، وهو ترسيخ الحرية الحقيقية لشعبه في كافة المجالات.

الصناعة:

إن ثورة الفاتح قد أولت اهتماماً عظيماً للتنمية الصناعية منذ قيامها عام 1969م. وذلك لتنويع مجالات الإنتاج والخروج من هذا الوضع التقليدي لليبيا بأنها مصدرة للنفط فقط، كما وأيضاً العمل على تحضير الأسواق الخارجية لما يفيض عنها من منتجات.

وقد تم خلال المرحلة ما بين 1970 ـ 1983م تدشين أكثر من 110 مصانع، وحوالي 34 مصنعاً كان لا يزال حتى فترة قصيرة جاهزاً للتشغيل والإنتاج. وحوالي 136 مصنعاً مازال قيد الدرس. بهذا يكون العدد الإجمالي للمصانع في ليبيا 280 مصنعاً، منها 81 مصنعاً للمواد الغذائية و56 مصنعاً للمواد الكماوية والمشتقات النفطية و49 مصنعاً للنسيج والخيوط والدباغة و45 مصنعاً للمواد المعدنية والكهربائية و36 مصنعاً للإسمنت ومواد البناء و13 مصنعاً للخشب والورق ومشتقاته.

إن القطاع الصناعي قد أحرز في ليبيا تطوراً غير عادي على مختلف المستويات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، وذلك بفضل اهتمام الجماهيرية به وبفضل الاستثمارات الضخمة التي تقوم بها في هذا المجال.

وقد دخلت ليبيا أيضاً مجال صناعة المشتقات النفطية حيث أنها بدأت تنتج وتصدر مادة «اليوريا» والمعادن وغيرها. كما أنها أصبحت تنتج الزجاج وأنابيب البلاستيك والإسمنت والصابون المعطر والسجّاد وأكياس الورق والدراجات.

إن خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م تستهدف أيضاً دفع برنامج تنمية للقطاع الصناعي على المدى الطويل كي تتمكن ليبيا من إنتاج مواد تخصص للاستهلاك المحلي ومواد تخصص للتصدير الى الأسواق الخارجية، كما تستهدف أيضاً أن تتمكن ليبيا من بيع منتجاتها بأسعار خاصة للشعوب العربية والافريقية الشقيقة التي تفتقر لموارد اقتصادية جيدة أو التي تخضع للفقر والعوز مثل تشاد والسودان.

وتعمل الخطة الاقتصادية على تحقيق استعادة الاستثمارات التي تقوم بها في هذا المجال وذلك عن طريق تصدير منتجاتها الصناعية.

ونستطيع أن نلخص خطة التحول الخمسية في مجال الصناعة بما يلي:

1 ـ إن الإنتاج الصناعي قد تحسن بشكل ملحوظ خلال الخمس سنوات الأخيرة بنسبة سنوية قدرها 22,6٪. إن قيمة الإنتاج قد وصلت خلال عام 1980م الى 000 600 689 دينار أي ما يعادل 000 600 413 2 دولار، بينما من المتوقع أن تصل هذه القيمة خلال السنة الجارية 1985م الى حوالي 000 000 282 1 دينار أي ما يعادل 000 000 487 4 دولار.

2 ـ إن المصدرات من المنتجات الصناعية قد ازدادت خلال السنوات الأخيرة بنسبة 2,4٪ سنوياً. فبينما كانت قيمة المصدرات خلال عام 1980م 000 800 245 دينار، وصلت خلال عام 1985م الى 000 700 675 دينار. إن إسهام القطاع الصناعي غير النفطي قد ارتفع من 000 300 126 دينار خلال عام 1980م الى حوالي 000 200 376 دينار خلال عام 1985م أي بنسبة 4,4٪ سنوياً مقابل ارتفاع في نسبة المصدرات النفطية لا يصل الى 0,1٪ سنوياً.

3 ـ ان الاستغلال الكامل للموارد بفضل استغلال النفط الخام المحلي قد أفسح المجال أمام إسهام أكبر في الإنتاج الصناعي الإجمالي.

4 ـ من المتوقع أن يحدث تغيير في الميزان التجاري حيث يرتفع الإنتاج المحلي لبعض المنتجات و يتم تغطية الاحتياجات الداخلية. و يتم العمل أيضاً لتشجيع استهلاك بعض المنتجات الليبية في الأسواق الداخلية وذلك من أجل استبدال المواد الموجودة في هذه الأسواق والتي يتم استيرادها من الخارج. إن كل هذا ينبع من الاستراتيجية التي وضعها القائد لتحقيق الاستقلال الذاتي الذي لن يتم طالما يرتبط الاستهلاك الداخلي بالاستيراد من الخارج.

و يتم العمل لتحقيق الاستقلال الذاتي في منتجات المطاحن والمواد الغذائية بشكل عام، بالإضافة الى الإسمنت والكلس والنضائد الجافة.. الخ... كما يتم العمل أيضاً لتحقيق تغطية الجزء الأكبر من الاحتياجات من مشتقات النفط ومن النسيج والأحذية والسجاد والنضائد السائلة بالإضافة الى تغطية جزء من الإحتياجات من الشاحنات والباصات الخ...

5 ـ إن المصدرات الصناعية قد ارتفعت بشكل ملحوظ. في عام 1980 وصلت هذه المصدرات الى 000 300 312 دينار بينما من المتوقع أن تصل خلال عام 1985م الى 000 300 977 دينار، أي بنسبة 52,2٪ سنويا. ان هذا سيساعد طبعاً في تدعيم وتنويع المصدرات من المنتجات الصناعية. إن إسهام هذا القطاع الصناعي في هذا المجال قد ارتفعت من 4,6٪ في عام 1980م الى 18,5٪ في عام 1985م..

وتعتبر المصدرات من مشتقات النفط والمنتجات الصناعية من الغاز هي الجزء الأكبر من المصدرات الصناعية الإجمالية خلال السنوات الأخيرة. كما أن مصدرات قطاع الصناعات الكيماوية والبلاستيكية والأحماض السائلة والصناعات المعدنية ومشتقات النفط، قد حققت أيضاً ارتفاعاً واضحاً خلال السنوات الأخيرة التي بدأت تطبق فيها خطة التحول الخمسية.

إن التطور الصناعي والزيادة في الإنتاج قد سببا زيادة في عدد العاملين في هذا المجال. فمنذ عام 1980م حتى الآن ارتفع عدد العناصر الذين يعملون في هذا المجال من 58000 الى 112000 شخص، أي بزيادة 14٪ سنوياً. كما أن قدرة هذا القطاع الإنتاجية قد تضاعفت. وارتفعت أيضاً نسبة الإنتاج في المصانع غير النفطية بشكل ملحوظ، حيث أن نسبة الارتفاع كانت خلال المرحلة ما بين 1976 ـ 1980م حوالي 4,5٪ ووصلت خلال عام 1985م الى 7,9٪.

إن هذه الأرقام تدل على أن الأهداف قد بدأت تتحقق، وهذه الأهداف هي زيادة الإنتاج وزيادة نسبة التصدير من المنتجات الصناعية غير التقليدية، واسترجاع الاستثمارات التي يتم استخدامها مجدداً في الجزء الأكبر من المنتجات الكيماوية والمعدنية وغيرها.

إن خطة التحول الخمسية تستهدف أيضاً الاستثمار المتواصل، كما أن الجماهيرية تولي اهتماماً زائداً للنواحي العلمية والتقنية بالإضافة الى الأبحاث والدراسات والتدريب.

إن المؤشرات المذكورة تعكس أن الاستراتيجية الموضوعة لخطة التحول الخمسية تعطي الأولوية لصناعة وتصدير مشتقات النفط والمنتجات الكيماوية لاسترجاع الاستثمارات وتحويلها إلى الصناعات المعدنية الأساسية وصناعة منتجات هندسة الصلب، وهذه المنتجات هي أساسية ومهمة جداً بالنسبة لتنمية الصناعة.

إن درجة النمو قد فاقت ما كان متوقعاً الوصول إليه عن طريق خطة التحول الخمسية، حيث أنها وصلت إلى ما يلي:

31,9٪ في صناعة المنتجات المعدنية، و36,6٪ في مجال الصناعات الكيماوية و38,3٪ في مجال صناعات المشتقات النفطية و52,7 في مجال الصناعات المعدنية الأساسية.

أما بالنسبة للاستثمارات التي يتم وضعها في الصناعتين الخفيفة والثقيلة، فإن خطة التحول قد برهنت على أنها، مع عدم إهمال الصناعة الخفيفة، تقوم بإعطاء الأولوية أيضاً للصناعة الثقيلة.

إن نمّو الصناعة الثقيلة خلال الخمس سنوات الأخيرة قد ارتفع من 62,8٪ خلال عام 1980م الى 68,6٪ خلال عام 1985م. بينما انخفض في مجال الصناعة الخفيفة خلال الفترة نفسها من 37,2٪ إلى 31,4٪.

هذه هي إذن السياسة الصناعية التي تنتهجها الجماهيرية في خطة التحول الخمسية التي تنتهي مدتها خلال هذه السنة 1985م. كما أن المؤشرات والأرقام المذكورة لا تعكس سوى لمحة بسيطة عن ازدهار هذا البلد في مجال الصناعة.

الإسكـــان:

عندما قامت ثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969م. كان معظم الشعب الليبي يسكن الخيام أو البيوت المتواضعة التي كانت تفتقد لكل أنواع الرفاهية وأدنى الشروط الصحية. واليوم، يتجول الإنسان في الجماهيرية فيعتقد بأن أحداً يغير الأمور كلها بشكل سحري. في الزيارة الأولى التي قمت بها إلى ليبيا خلال شهر أين النار (يناير) عام 1976م. كانت طرابلس وضواحيها تشبه ساحة معركة، لا مدافع فيها ولا قتال بل جرافات ضخمة تدمر المساكن القديمة التي هي من بقايا الاستعمار والحكم الملكي وحتى الحكم العثماني.

ان الوضع الذي ورثته الثورة هو سيء جداً لدرجة أن كل هذه الجهود الضخمة التي تبذل والأموال التي تصرف لم تتمكن حتى الآن من حل المشكلة السكنية نهائياً بالشكل الذي يريده قائد الثورة.

وتتلخص خطة التحول 1981–1985م بالنسبة لقطاع السكن بما يلي:

1 ـ إن من واجب المجتمع ومن مسؤولياته أن يقدم المساكن بصورة مجانية للأسر التي لا تتلقى أي دخل.

2 ـ تعطى قروض أو مساكن جاهزة يتم تسديدها على المدى الطويل ولا يجب أن تتعدى قيمة القسط الواحد نسبة 25٪ من دخل المواطن الشهري. ان هذه القيمة تستخدم مجدداً لبناء مساكن أخرى لأسر هي في هذا الوضع. وهكذا، و إن كان ببطء، سوف يأتي ذلك اليوم ـ وهو قريب جدا ـ الذي سيمتلك فيه كل مواطن بيته الخاص به.

3 ـ إن «مصرف الاستثمار العقاري» يمد المواطنين بالقروض ويحثهم على التوفير لتسديد ديونهم.

4 ـ تقوم اللجان الشعبية للإسكان بإنشاء وحدات سكنية لقطاع الصناعة، وقطاعات أخرى كالصحة والتربية. وتقوم أمانة الزراعة ببناء وحدات زراعية.

5 ـ تخصيص قسم من رأسمال الضمان الاجتماعي لإنشاء عمارات تقسم إلى وحدات سكنية يتم تأجيرها للأجانب المقيمين في ليبيا.

6 ـ صيانة المساكن بشكل ممتاز يساعد في إطالة حياتها وفي تخفيض نسبة استبدالها.

7 ـ إن القوانين المعمول بها حالياً في مجال السكن، بالإضافة إلى القروض الحكومية، سوف تتوحد لتخدم بصورة أفضل أهداف سياسة الإسكان.

8 ـ يتم الإعتناء والإهتمام بالمباني التي تشيدها التعاونيات وذلك لدفع العمل في هذا المجال، كما تقوم اللجان الشعبية المسؤولة عن الإسكان والبلديات بتقديم الأراضي اللازمة لتحقيق هذا الهدف.

النقل والمواصلات:

نظراً للدور الهام الذي يلعبه قطاع النقل والمواصلات في تنمية وتطوير مختلف قطاعات الاقتصاد في أي بلد في العالم، أخذت الثورة، منذ اللحظة الأولى لقيامها، بعين الاعتبار هذه النقطة وخصصت لها ميزانية ضخمة.

إن الهدف لم يكن فقط إنشاء شبكة مواصلات داخلية بل أيضاً طرق رئيسية تربط بين الجماهيرية والدول المجاورة.

وفي مجال النقل العام للركاب، يتم العمل لزيادة عدد الحافلات الذي كان يصل خلال عام 1983م الى 681 وحدة.

وفي مجال النقل الجوي العام للركاب تملك ليبيا من الطائرات ما يُغطي حاجة المواصلات الجوية داخل الجماهيرية وخارجها رغم أنها تعاني من الحصار الأمريكي الذي يجعلها غير قادرة على الحصول على قطع غيار للطائرات التي هي من صنع أمريكي.

وقد وصل عدد المسافرين على متن طائرات الخطوط الجوية الليبية الى حوالي مليوني مسافر سنوياً.

وفي مجال الاتصالات الهاتفية يوجد في ليبيا حالياً حوالي 400 ألف جهاز ويبلغ معدل الخطوط الهاتفية بالنسبة للسكان بعشرة خطوط لكل 100 مواطن.

أما في مجال النقل البحري فلدى ليبيا السفينتين (غرناطة) و(طليطلة) وهما من أحدث وأرقى سفن الركاب كما تملك أسطولاً يتألف من 14 سفينة لنقل السوائل و18 سفينة للشحن، وقد وصل وزن البضائع المفرغة في الموانىء الليبية خلال عام 1982م الى حوالي 8 ملايين طن. وهناك أيضا مشاريع مازالت تحت الدراسة والتخطيط لتعزيز هذا المجال.

إنه من الضروري أن نذكر، ولو بإيجاز، أهداف خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م في قطاع النقل والمواصلات.

إن الثورة الزراعية القائمة في الجماهيرية والتي قامت بإنشاء مراكز زراعية ضخمة موزعة في كل المناطق التي تشمل الساحل الذي يبلغ طوله أكثر من 1800 كيلومتر، قد أدت إلى ضرورة الإهتمام بقطاع النقل والمواصلات، وذلك بهدف ربط مراكز الإنتاج بالطرق الرئيسية والفرعية لتسهيل عمليات النقل بين كافة أنحاء الجماهيرية.

ويتم سنوياً إنشاء حوالي ألف كلم من الطرق المعبدة، الأمر الذي سيؤدي عند إنتهاء مدة خطة التحول الخمسية خلال هذا العام 1985 الى وجود حوالي 5000 كلم من الطرق المعبدة الجديدة في الجماهيرية.

وتشمل هذه المشاريع أيضاً عملية بناء الجسور في تقاطع الطرق و إنشاء الطرق العامة الواسعة بالإضافة الى إنشاء مراكز مراقبة وتفتيش الشاحنات الناقلة ومراكز مراقبة لأعمال صيانة الطرق.

ويتم العمل حالياً على إدخال السكك الحديدية كوسيلة جديدة للنقل والتنقل.

ويتلقى الطيران المدني دعماً لا يستهان به، كما يتم العمل الآن لضم وحدات جديدة للأسطول الجوي وخاصة الذي يهتم بأعمال نقل المسافرين والشحن داخل الجماهيرية.

إن الخطوط الجوية العربية الليبية تغطي أيضاً الرحلات إلى الخارج حيث تربط الجماهيرية بكافة دول أوروبا وجزءاً من دول آسيا وافريقيا. ويتم حالياً تخريج دفعات جديدة من الطيارين والمساعدين والمضيفات والأخصائيين في خدمات الطائرات والمطارات الخ...

وتجدر الإشارة إلى أن خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م، تشمل أيضاً مجال النقل البحري والموانىء.

فمن بين أهداف هذه الخطة تطوير الموانىء وزيادة طاقتها الاستيعابية الى حوالي 000 000 16 طن خلال سنة 1985م، في الوقت الذي كانت فيه طاقتها الاستيعابية خلال عام 1980م حوالي 000 000 7 طن فقط.

أما بالنسبة للنقل البحري التجاري فيتم العمل حالياً لتدعيم الأسطول التجاري وتغطية حوالي 60٪ من احتياجات نقل البضائع.

كما يتم العمل أيضاً لزيادة عدد سفن الأسطول النفطي الى 19 سفينة تصل سعتها إلى حوالي 000 277 1 طن.

وهكذا سيصبح الأسطول البحري الليبي مؤلفاً من 34 سفينة تصل سعتها إلى حوالي 5 ملايين طن.

الصحة العامة:

خلال المرحلة ما بين 1970 ـ 1983م ارتفع مستوى كفاءة الخدمات الصحية في مجال الطب العام والجراحي والوقائي، وذلك عن طريق بناء مؤسسات صحية ومستشفيات ومراكز صحية ثابتة ومتنقلة في كل أنحاء الجماهيرية. عدد الأسرّة في الجماهيرية الآن يصل إلى حوالي 000 25 سرير والزيادة مطردة.

وقد ارتفع أيضاً عدد الأطباء بشكل ملحوظ حيث أن عدد الأطباء في ليبيا كان خلال عام 1970م يصل الى 783 طبيب بينما وصل الآن الى 4500 طبيب، أي بنسبة طبيب واحد لكل 752 مواطن. أما خلال الأيام الأولى بعد قيام الثورة فقد كانت هذه النسبة منخفضة جداً أي أنه كان هناك طبيب واحد لكل 2562 مواطن.

وبالنسبة للممرضات ارتفع العدد أيضاً بشكل يفوق ما كان متوقعاً، ويبلغ عدد الممرضات في الجماهيرية الآن حوالي 000 20 ممرضة، كما أن عدد الفنيين والمساعدين يزيد حالياً عن 3500 تقريباً.

ويوجد في الجماهيرية الآن 28 عيادة طبية شعبية وحوالي 208 مراكز صحية أساسية و958 وحدة صحية.

إن خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م لا تشمل فقط إنشاء مراكز لتقديم الخدمات الصحية الأساسية بل تشمل أيضاً خطة إقامة نظام صحي يضم مختلف مجالات الطب العام والوقائي.

وقد قامت الجماهيرية بحملة مكثفة لتوعية السكان بمختلف الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة و إطلاعهم على مختلف أنواع الأمراض وأساليب الوقاية منها، وتشمل هذه الحملة أيضاً طب الأسنان بمختلف مجالاته.

الضمان الإجتماعي:

إن الضمان الإجتماعي هو دون شك أحد المجالات التي تلقى اهتماماً بالغاً في الجماهيرية، وذلك لتلبية احتياجات ومتطلبات كافة الفئات وخاصة الأطفال والعمال والشيوخ.

إن تطور هذا المجال يشمل أيضاً تخصيص جزء من الميزانية لتمويل مشاريع ثقافية وسياحية وسكنية واقتصادية اجتماعية.

إن أحد الانجازات الضخمة التي حققتها الثورة ـ وهذا أمر تأكدت منه بنفسي خلال زياراتي للجماهيرية ـ هو تأسيس مصحة مركزية للمعاقين عقلياً في مدينة بنغازي حيث تتم معالجة ورعاية المعاقين، ويتم أيضاً تدريبهم على مختلف الأعمال التي تتماشى مع حالة كل واحد منهم لكي يقوموا في المستقبل بأنشطة مناسبة لهم في المجتمع.

ويتم شهرياً تنظيم مباريات مختلفة بين المعاقين، وذلك في مختلف المجالات الرياضية: ككرة السلّة والكرة الطائرة والشطرنج، الخ...

وقد أتيحت لي الفرصة منذ عدة أشهر ـ خلال شهر يناير عام 1985م ـ بأن ألتقي بهم خلال عدة أيام في أحد أجمل الفنادق بمدينة طرابلس، حيث لمست حسن المعاملة والرعاية لهم من قبل أشخاص أخصائيين. والشيء الذي لفت انتباهي هو أنني لم أرَ وجهاً كئيباً واحداً بين عشرات الشباب المعوقين. فهم، بشكل أو بآخر، يشعرون بأنهم يشاركون في مسيرة بلدهم الثورية التي عرفت كيف تبعث فيهم معنويات روحية ومادية تمكنهم من القيام بدور هام في المجتمع.

الـرياضـة:

إن سياسة الجماهيرية في مجال الرياضة ترتكز بجوهرها على مبادىء الكتاب الأخضر التي تؤكد على أن كل المواطنين لهم الحق بممارسة كل أنواع الرياضة.

وتشمل خطة التنمية بين أهدافها الرئيسية عملية إنشاء مراكز رياضية في كافة أنحاء الجماهيرية ليس فقط في المدن والمراكز السكنية الضخمة بل أيضاً في كل حيٍّ من الأحياء. وهكذا فإن المراكز الرياضية الموجودة حالياً في ليبيا قد جعلت من هذا البلد مثالاً في هذا المجال لا يشابهه فيه أي بلد عربي آخر.

وكما هو متوقع، قامت ليبيا التي تطبق «سلطة الشعب» بإتباع سياسة رياضية تهدف إلى إنقاذ جوهر الحضارة الرياضية التي كانت تتميز به الأمة العربية قديماً.

ويتم انشاء «حدائق عامة» في كل أنحاء الجماهيرية وتضم ملاعب رياضية متنوعة بما في ذلك ألعاب الكرة. كما تشمل أيضاً مكاتب إدارية وقاعات مغلقة تستخدم لمختلف أنواع النشاطات الثقافية والرياضية.

ويتم أيضاً إنشاء أماكن خاصة بالشباب تمكنهم من الانصراف لنشاطات معينة رياضية وثقافية واجتماعية ونفسية ومعنوية وتوجه طاقاتهم وجهودهم نحو أعمال ايجابية فتصقل شخصياتهم وتساعدهم على اندماجهم الصحيح في مجتمعهم.

وتقوم الجماهيرية أيضاً بتدريب الشباب عسكرياً حيث أنها تعتبر هذا العمل عنصراً هاماً يحمي الشباب ويقوي فيهم الروح الوطنية ويحرضهم للقيام بواجبهم تجاه مجتمعهم والتضحية بحياتهم من أجله إذا لزم الأمر.

هذه إذن هي النقاط البارزة في السياسة الاقتصادية التي يصفها قائد الثورة بالاشتراكية.. إنها اشتراكية مميزة، كما ذكرنا سابقاً، حيث انها نتاج لفكر إنساني روحي يهدف بشكل رئيسي إلى ترميم القيم الحضارية وتحقيق الخير المشترك وحماية المجتمع عبر عملية ترسيخ المثل العليا والتبشير بحضارة إنسانية جديدة.

العامل العسكري: «الشعب المسلح»

فكر يصبح عقيدة:

إن إحدى أهم الفتوحات التي حققتها ثورة الفاتح هي تطبيق فكرة الدفاع الشعبي التي وضعها القائد والتي يتلخص مبدأها بمقولة «الشعب المسلح».

إنه من الطبيعي بعد عدة قرون من الخضوع للدول الاستعمارية المتعاقبة حيث كان الشعب الليبي يخضع للأتراك والطليان والألمان والفرنسيين والانكليز الذين حولوا أرضه الى ساحة معارك خلال قرون عديدة، أن تكون القيادة الثورية العليا التي يتزعمها القذافي قد اتخذت ـ عن طريق التحرك الشعبي المسلح ـ قرار تجنب وقوع مثل هذه الكوارث التاريخية مرة أخرى.

إن التاريخ قد برهن ـ والقذافي عرف كيف يتعلم من التاريخ ـ على أن المقاومة الشعبية المسلحة تتمتع بأهمية بالغة، ليس فقط في دعم القوات المنظمة بل أيضاً في الوقوف إلى جانبها أمام أي انهزام قد تعاني منه نتيجة تفوق عسكري من قبل القوات الغازية.

وفي الماضي غير البعيد أي مع بداية العقد الثاني من هذا القرن، ظهرت في ليبيا المقاومة الشعبية لمواجهة الغزو الإيطالي الذي استمر حتى عام 1931م حين أعدم شيخ المجاهدين عمر المختار.

والقذافي يعرف جيداً الشجاعة التي يتحلى بها شعبه، والروح التي لا تقهر والتي تتمتع بها كل القبائل التي تعيش على الأرض الليبية بل وعلى امتداد الساحة العربية كلها.

وحول هذا الموضوع، قال القائد: «عندما نتصفح تاريخنا، نرى بأننا شعب يصعب الانتصار عليه، إننا نعرف بأننا شعب مناضل، عنيد وصلب. إن كرامة الأمة العربية، و إصرار العرب وعزيمتهم وقوتهم، تتجسد في الشعب الليبي».

وقال أيضاً: «لقد سجل التاريخ كل ذلك، والطليان يعرفونه جيداً. فالتاريخ يروي بأن أربعة من أشهر العقداء الطليان قد قاموا بتنفيذ أشرس العمليات الهجومية محاولين إخضاع ترهونة.. لكن كل المحاولات قد باءت بالفشل ولم ينتج عنها سوى وقوع أعداد غفيرة من القتلى والجرحى والأسرى».

كما أضاف قائلاً: «لا يستطيع الطليان أن ينسوا بسهولة الهزائم التي مني بها كل من العقداء

«روبي» و«موتي» و«كارانك» و«بيليا»، ومقتل هذا الأخير في ترهونة. في ذلك الحين لم يكن في ترهونة عقداء ولا جنرالات، بل كان هناك شعب هو صاحب الأرض وصاحب الحق والمنتصر».

ويعطي القائد مثالاً آخر: «خلال معركة (الهوّاري) في الكفرة عام 1931م استخدمت ايطاليا 20 طائرة لتهاجمنا من الجو. كانت هذه القوة في تلك الأثناء تعتبر من أضخم عمليات الحشد الجوي. وكانت تملك بالإضافة الى تلك الطائرات حوالي 3500 جملاً محملاً بالعتاد والذخيرة، وأكثر من مائتي عربة كانت تنقل آلاف الجنود الأعداء. وبعد أن استشهد حوالي مائتا مقاتل، رحل الطليان.. وقد قال أحد القادة العسكريين الإيطاليين حول هذا الموضوع: «لقد برهن الليبيون رغم كل ما فعلناه عن قوة خارقة.. فقد صبروا وقاتلوا بضراوة، ولم يرضوا في أي لحظة أن ينتصر عليهم عدوهم، لقد كانوا يؤمنون بأن قضيتهم هي قضية حياة أو موت».

إن الموقف واضح جداً، فبالنسبة للقذافي، إن من هو صاحب الحق وصاحب الأرض ومن يدافع عن قضية عادلة، هو الرابح في النهاية ولو كان ميتاً، لأن الحقيقة هي التي تنتصر دائماً.

إن أرض الجماهيرية كلها محصنة ومنيعة، وليست قواتها النظامية فقط تتمتع بقوة التحرك والقتال والمواجهة ضد أي إعتداء طارىء، بل هناك أيضاً في كل مدينة وفي كل مصنع وفي كل مركز زراعي وفي كل بيت قوات شعبية تجعل من هذه الأماكن قلاعاً وحصوناً تكلف من يحاول الإعتداء عليها غالياً.

الشعب الليبي يعرف جيداً أن أي محاولة عدوانية خارجية ضده سوف تكون موجهة لسلب ثرواته الطبيعية واستغلالها. كما يعرف أن الانهيار والإنحطاط الثوري يعني خسارة كل الإنجازات التي تحققت بعد سنوات طويلة من العناء والجهد. وهكذا، لابد من النضال دفاعاً عن أرضه التي هي ملك له، وعن المصانع التي هي ملك له، وعن الثورة التي هي ثورته أيضاً، وعن القائد الذي بذل كل ما بوسعه ليجعل الجماهيرية تحتل مرتبة عالية ومهمة جداً على صعيد المنطقة وبين دول العالم.

وبالإضافة الى القوات النظامية التي توجد في ليبيا، توجد أيضاً القوات الشعبية التي تضم حوالي مليوني شخص من رجال ونساء وشيوخ وشباب، حصلوا على تدريبات كافية، وهم على أتم الاستعداد لحمل السلاح لمواجهة أي اعتداء أجنبي.

إن القذافي لولا اقتناعه التام بأنه قد أقام في الجماهيرية نظاماً يستطيع الشعب في ظله أن يكون هو صاحب القرار والمصير، وهو المستفيد الأول من إنجازات الثورة، لما سلّم للشعب أي بندقية، ولما كان السلاح إلا في يد القوات المسلحة النظامية، إن القائد يؤمن بأن كل القادة الأغبياء يشكون ويخافون دائماً من عملية تسليح شعوبهم رغم معرفتهم بأن أعداءهم الأبديين يتسلحون ويحشدون قواتهم على حدود بلادهم لمهاجمتهم والاعتداء عليهم.

لقد نقل القذافي لكافة أبناء شعبه المسؤولية الفردية والجماعية في نظام الدفاع الشعبي واستخدام السلاح ليدافع كل فرد عن بيته وعن وطنه وعن أسرته وعن إنجازاته وعن كرامة وطنه وعن حريته. وهكذا، إذا سقط هو كما سقط عمر المختار «أسد الصحراء» وهو يقاتل، يواصل الشعب كله نضاله.. إن ليبيا لن تكون بعد اليوم مستعمرة لأحد، و إن حصل ذلك فسوف يحصل، دون شك، فوق أجساد الشعب الليبي كله، ولن ترتفع راية أي محتل في الأراضي الليبية الا بعد أن تدمر ليبيا بكاملها.

لقد تمكنت المقاومة الليبية خلال العقود الأولى من فترة الاستعمار الايطالي، من دحر الغزاة في أكثر من منطقة.

إن الجماهيرية هي دائماً على أهبة الاستعداد للقتال وللرد على أي عملية عدوانية تتم ضدها، وذلك ضمن إطار المبادىء التقليدية والقوانين الدولية المعترف بها.

وتواجه القيادة السياسية للجماهيرية حالياً ظاهرة خاصة وهي الإعتداء بواسطة الوسائل السياسية والإقتصادية والعسكرية والإعلامية والنفسية الإجتماعية من قبل أولئك الذين يريدون تدمير ثورة الفاتح وليبيا.

إن هذه الظاهرة قد حملت المسؤولين في القيادة العسكرية على توجيه نصيحة للقيادة السياسية العليا بعدم الارتباط بوسائل تقليدية حيث أن هناك دوافع عديدة تجعل ذلك غير ملائم لمواجهة الاعتداءات بالشكل المطلوب.

إن القائد قد قيّم وضع الجماهيرية الحالي تقييماً صحيحاً لمواجهة التكتلات الامبريالية. وهو يعرف تماماً أن الجماهيرية هي الآن في وضع أصعب وأدق من وضع أي بلد في حالة حرب تقليدية، وأن كل قرار هام، لابد أن يتم اتخاذه بعد التقييم ببرودة أعصاب والتحسب للعوامل المختلفة والمتعددة والمعقدة التي تتميز بها كل الاستعدادات لأي اعتداء خارجي.

إن العدو لن يكتفي فقط بتدمير ليبيا عسكرياً، وأي إعتداء يقوم به الأسطول السادس الأمريكي و إن أدى إلى أزمة ذات عواقب غير متوقعة، يمكن أن يكون ذو مفعول تدميري، خاصة إذا كان ذلك الإعتداء رداً على أي عذر مختلق يتم بدعم بعض الدول المجاورة التي تعمل كأقمار صناعية لواشنطن كما هو الحال الآن في مصر مبارك وغيرها، وكما كانت الحال في سودان النميري. وبدون أي شك، إن أي اعتداء من هذا النوع لابد أن يعقبه احتلال واستعمار واستغلال لأراضي ليبيا وثرواتها الطبيعية من قبل القوات الأجنبية.

هل هناك أمام الشعب الليبي غير المقاومة الشعبية الضارية لتجنب مرحلة جديدة من العبودية والاستعمار؟.. كلا.. والقذافي يعرف ذلك، ولهذا السبب قام بتسليح شعبه ونصح كل مواطن ومواطنة قادر أو قادرة على ذلك أن يتلقوا التدريبات العسكرية اللازمة ومبادىء وأسس الدفاع للقيام بالدور المطلوب منهم دفاعاً عن أرض وطنهم.

إن مراكز الامبريالية قد شنت ضد الجماهيرية حرباً تخريبية تهدف إلى تدمير النظام

السياسي القائم فيها و إلى شل حركتها النضالية في جبهة النضال الدولي ضد السيناركية. إنها حرب تخريبية لأنها تهدف إلى تدمير النظام الاجتماعي الطبيعي الذي أقامته ثورة الفاتح منذ عام 1969م.. وهكذا يبدو لأي كان تناقض غريب، وهو أن الإنسان الذي تتهمه مراكز السيطرة الغربية بأنه شيوعي، يهاجَم على كافة الجبهات بأحدث أساليب «الحرب الثورية»، ولكي يدافع هو عن نفسه لابد أن يلجأ الى الأساليب التقليدية لمواجهة هذه الحرب مؤسساً تنظيماً دفاعياً يضم كافة أسس السلطة العامة والشعب المسلح.

إن هذه النظرة القذافية للدفاع القومي تتضمن ثلاثة عناصر أساسية هي:

1 ـ **القوات المسلحة النظامية الفعلية**، وهي التي تملك كميات وافرة من الأسلحة الحربية الحديثة والمتطورة: دبابات، طائرات مقاتلة وطائرات نقل وطائرات عمودية، صواريخ أرض ـ جو، وجو ـ جو، وجو ـ بحر، وجو ـ أرض، وأرض ـ أرض ذات المدى القصير والمتوسط والبعيد، ومدافع ثقيلة وخفيفة، أي كل ما يحلم به أي عسكري في هذا العالم من الأسلحة التي تفوق في قدرتها العسكرية العملية قدرة أسلحة كثير من الدول الأوروبية. ويضاف إلى هذه الكميات الوافرة من السلاح عدد لا يستهان به من العناصر المتخصصة والطيارين الممتازين ورجال الدبابات والمدفعية.

إن القوات المسلحة الليبية هي الآن في مرحلة نمو وتطور رغم المشاكل التي تواجهها ليبيا كدولة لا تتمتع بعدد كبير من السكان، أو بالتقنية الضرورية لصنع أسطول ضخم مؤهل للقيام بحراسة حوالي 2000 كلم من الخط الساحلي والدفاع عنه من أي عدوان قد تقوم به القوات الجوية والبحرية لمنظمة حلف شمال الأطلسي.

ولا يمكن التفكير أبداً بأن تقوم أي دولة أوروبية أو أي دولة مجاورة بأي محاولة لاحتلال الجماهيرية بدون الدعم الكامل من قبل منظمة حلف شمال الأطلسي، حيث أن ذلك سيكون انتحاراً جماعياً، الا إذا استخدمت بالطبع الأسلحة الذرية.

إنه من الصعب بالنسبة للجماهيرية التخلص من نظام القيادات المتخصصة وخاصة في الأوضاع الراهنة. وما يتم عمله الآن هو دمج روح التآخي والاتحاد التضامني بين العاملين العسكري والمدني كي يتمكن الشعب المسلح من القيام بالعمل الذي يتماشى مع أعمال القوات النظامية.

وما يتم عمله دون شك هو تحويل ليبيا الى قوة مسلحة عملاقة قادرة على الدفاع عن حقوقها، على طول وعرض أراضيها وفي مجالاتها الجوية ومياهها الإقليمية.

2 ـ **الاحتياطيون**، وهم الذين يقومون بأعمال التدريب باستمرار، وهؤلاء ليسوا فقط أولئك الأعضاء الذين ينضمون لفترة قصيرة الى صفوف القوات المسلحة لإتمام الخدمة الإلزامية، بل هم كل الذين كانوا ولا يزالوا، وفقاً للمبادىء العسكرية في الجماهيرية، مجهزون لمواجهة أي إعتداء.

إن هذه القوات الاحتياطية لا تتماشى مع المبادىء التقليدية بل مع «نظام القتال بكل الأسلحة» حيث تندمج وتتدرب مثلاً قوات المشاة مع قوات المدفعية، والقوات المسلحة الخاصة على كل أنواع الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات في كل فرقة من الفرق المصفحة.

إن الاستراتيجيات التي كانت تخصّ أعمال المواجهة بين القوات المصفحة وقوات مماثلة لها، قد بطل مفعولها منذ زمن.. والاحتياطيون يتدربون على استخدام كافة أنواع الأسلحة الحديثة التي يتم الحصول عليها والتي هي أسلحة فتاكة كالصواريخ التي تستطيع إفشال أي هجوم جوي أو برّي بواسطة العربات المصفحة، والتجارب الأخيرة تؤكد على ذلك.

وهناك شيء آخر يتميز به العسكريون الاحتياطيون وهو تحركهم السريع لتلبية الاحتياجات التي تتطلبها الظروف العسكرية.

3 ـ **القوات المدنية**، وهي تلك القوات التي تلقت تدريبات عسكرية خلال السنوات الأخيرة دون الإنضمام إلى صفوف القوات المسلحة، وذلك استجابة للمبدأ الجديد وهو مبدأ الدفاع القومي الذي نادت به ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة.

إن هذه القوات الشعبية المنظمة تنظيماً جيداً والمنتشرة في كل أنحاء الجماهيرية والتي تكمن قوتها في حماسها المعنوي والسياسي وفي تمسكها بشخص القائد، هي العمود الفقري لمقاومة أي إعتداء ضد نظام الجماهيرية.

إن ثورة الفاتح قد قامت بعمل سياسي مرن وقد وضعت قيد التنفيذ استراتيجية نفسية اجتماعية حقيقية اقتناعاً منها بأن أي عمل فعال لمواجهة أي إعتداء ذو طابع معقد، يكمن في قوة الشعب المعنوية قبل الجسدية.

و إن أي قوة متحركة تتألف من حوالي ألف شخص، تستطيع، إذا كانت منظمة ومدربة تدريباً صحيحاً، أن تهزم عدداً كبيراً من القوات التي هي غير مقتنعة تماماً بما تفعل، و إن كانت تفوق القوة الأخرى عدداً وتسليحاً.

وتقوم النساء أيضاً بدور هام في المجال العسكري في الجماهيرية، ولا يهدف ذلك الى التحضير في المعاهد والكليات العسكرية فقط من أجل الانضمام للقوات المسلحة، بل للقيام بمهام أساسية في حال وقوع أي أزمة وذلك بحماية المدنيين والقيام بعمليات الإنقاذ.

وقد تم إنشاء مراكز للتدريب وتعلم فنون القتال، وتجدر الإشارة هنا إلى ما قاله القذافي بهذا الصدد: إن كل شعب يريد أن يحمي نفسه يجب أن يتحول كله إلى جيش و يتعلم أحدث فنون القتال. إن كل قطعة أرض هي ساحة قتال. وكل مواطن هو مقاتل حتى و إن كان أعزل من السلاح. عليه أن يختار بين الدفاع أو الزوال كأي عنصر من عناصر القوات العسكرية التقليدية. من هنا تنبع ضرورة إنشاء جيش شعبي. وهذا ما تتطلبه الظروف الاستراتيجية والعسكرية في هذا القرن للدفاع عن الحريات وعن الممتلكات والخيرات والثروات وعن الكرامة.

إن اللجان الثورية منذ أن تم تأسيسها حتى الآن، تزداد أهميتها يوماً بعد يوم، كشرايين للجماهير وكأوعية تربط بين العاملين العسكري والمدني، وتتجه نحو هدف واحد هو الدفاع عن الأرض وعن الكرامة وعن العزة القومية.

إن القوات المسلحة تضم أيضاً لجاناً ثورية، ورغم أنني ذكرت ذلك سابقاً، أرى أنه من الملائم إعادة ذكر بعض المفاهيم.

إن عمل «الضباط الوحدويون الأحرار» لم ينته بانتصار ثورة الفاتح، ولا بحل «مجلس قيادة الثورة» عند الإعلان عن «قيام سلطة الشعب» في سبها عام 1977م. والروح الوحدوية التي جمعت الضباط الثوريين عام 1969م، لا يمكن أن تموت أبداً، لأنها هي أحد الأركان الأساسية للنظرية العالمية الثالثة. كما أن العزم على إنشاء القوات الشعبية قد نبع من الضرورة الحتمية لإيجاد تلاحم بين القوات المسلحة وكافة أبناء الشعب الليبي لتحقيق فكرة «الشعب المسلح».

والعسكريين والمدنيين في الجماهيرية تجمعهم وحدة مبادىء ومفاهيم وعمل عبر نقطة الإنطلاق التي هي فكر القائد، وعبر التطهير الاستراتيجي والعقائدي الذي ظهر من خلال تفهم القائد للواقع التاريخي والتوجيه الأسلوبي للثورة.

إن المؤتمر التاريخي الأول الذي عقده الضباط الوحدويون الأحرار في ثكنة قاريونس خلال شهر الطير (ابريل) عام 1979م قد قرر تشكيل اللجان الثورية التي تضم عسكريين من مختلف المستويات.

وكُلفت هذه اللجان الثورية بالأهداف والمهمات والأعمال الآتية:

1 ـ التوجيه الثوري للقوات المسلحة.
2 ـ نشر النظريات الجديدة لثورة الفاتح.
3 ـ دفع الوحدة العربية والاسلامية والتبشير «بالحضارة الجديدة».
4 ـ سحق أي محاولة تقام ضد الثورة.
5 ـ ممارسة المراقبة الثورية.
6 ـ تفهيم عناصر القوات المسلحة مغزى البلاغ رقم واحد الذي تلاه العقيد معمر القذافي في اليوم الأول من شهر الفاتح (سبتمبر) عام 1969م.
7 ـ حث القوات المسلحة على التعجيل في عملية تسليح الشعب.
8 ـ تشجيع الشعب على حمل السلاح.
9 ـ تدريب الجماهير الشعبية على استخدام السلاح وحث القوات المسلحة على التعجيل في عمليات التدريب.
10 ـ تعديل برامج التعليم وضم التدريب العسكري وفنون القتال إليها.
11 ـ تدعيم سلطة الشعب المسلح.

12 ـ التبشير بالمبادىء الثورية والتأكد من انتشارها وتحقيق المستوى الخلقي المطلوب لمواجهة أي أحداث طارئة.

ان اللجان الثورية للقوات المسلحة قد تلقت أمراً بدراسة ووضع تشريع «للضباط الوحدويين الأحرار» وبتنظيم تحركاتهم وأعمالهم وتصرفاتهم بهدف تدعيم الأفكار والقيم الأخلاقية والأدبية للثورة.

بعد سنوات عديدة من وضع وتطبيق المبدأ الذي يقول بأن السلاح يجب أن يكون بيد الشعب، تحولت الجماهيرية إلى معقل حصين سوف يصعب على أي معتدٍ غزوه والسيطرة عليه، ونستطيع القول بأن ذلك سوف يكون ليس صعباً فقط بل ومستحيلاً أيضاً.

وبعد، فإنه ـ وفقاً للنظرية العالمية الثالثة ـ ستختفي يوماً ما القوات المسلحة النظامية ويحلّ محلّها «الشعب المسلح». ولتحقيق هذه المقولة لم تتوقف قوة الثورة في الجيش النظامي الحالي وفي صفوف المدنيين من الشعب عن العمل الجادّ لتحقيق هذه المقولة التي تحدث ولا شك تغييراً جذرياً في المعايير العسكرية العالمية.

ويمكن القول أن الثورة في ليبيا أحرزت حتى الآن تقدماً ملحوظاً في تطبيق هذه المقولة، فقد توقف العمل بقانون التجنيد الإلزامي، ويتنامى التدريب العسكري الشعبي أفقياً بسرعة غير متوقعة، فقد تمّ تدريب كافة الفتيان الشباب والرجال سواء منه التدريب العسكري الأساسي أو التخصصي، أما على صعيد الفتيات والنساء فبعد أن تم تدريب الطالبات والموظفات وصل التدريب الآن الى ربات البيوت. ويصف الثائر القذافي مقولة «الشعب المسلح» بأنها تخلق الشعب الذي لا يهزم قط.. والتاريخ يشهد بقوة على ذلك.

العامل الثقافي : ثقافة تقليدية وثقافية ثورية

الاحتلال الاستعماري والاحتلال الثقافي :

عندما تسلم القذافي الزعامة السياسية الثورية في ليبيا وجد أن شعبه يعاني من بقايا ومخلفات الاستعمار الأجنبي الذي استمر قروناً عديدة. ولم يكن الحكم الملكي قد فعل شيئاً لتصحيحها حيث كان أكثر اهتمامه موجهاً لخدمة الشركات النفطية الدولية وحليفتيه الرئيسيتين أمريكا وبريطانيا.

ولم يكن هناك فقط نسبة عالية جداً للأمية خلال عام 1969م بل إن الثقافة كانت مدمرة ومنهارة تقريباً، وكانت قد فقدت أي صلة أو ارتباط بالتقاليد والأعراف التي كان لها، بالإضافة إلى الحضارات القديمة، ماضٍ زاهر في تلك المناطق.

إن افريقيا بكاملها هي أفضل مثال على ما سببه الاحتلال الاستعماري وتغلغل الثقافة الأوروبية لهذه الشعوب من أضرار فادحة.

إن كل الأمور الثقافية وخاصة تلك التي لم تكن ممثلة عبر مؤسسة طبيعية كالأساطير والكتابات والمعتقدات الدينية وتنظيم الإجتماعي والممارسات الخلقية والعادات، قد سُحقت بعنف من قبل قوات الغزاة التي لم تحمل إلى هذه القارة المقهورة الا رسالة الموت والظلم.

إن المواطن الأسود هو بدون شك من تألم أكثر من غيره خلال القرون الأخيرة. فقد عاملوه كحيوان واستخدموه لنقل البضائع على أكتافه، ولحراثة أراضي أسياده، أو للعمل في منازلهم كخدم دون الحصول على أي أجر معنوي أو مادي مقابل عمله.

والمواطن الأسود الذي كانوا يرغمونه حتى على نسيان لغته الأصيلة، قد تحول الى عبد يتكلم الفرنسية أو الانكليزية أو البرتغالية دون أن يكون له أي «حق» سوى الموت وهو يعمل.

إن استقلال كافة الدول الافريقية تقريباً، وخصوصاً تلك التي يحكمها حالياً ويسود فيها الجنس الأسود، لم يجلب ــ باستثناء بعضها ــ سوى شرّ آخر ربما يكون استئصاله أصعب بكثير.. وهو «الاستعمار الحديث» الذي يتميز باستمرارية سلطة الأسياد القدماء التي يمارسها بصورة غير مباشرة عملاء يعملون لخدمة المصالح نفسها. لهذا، لا تفاجىء مثلاً تصرفات بعض القادة الأفارقة الذين يهتفون ويعلنون بكل فخر واعتزاز بأن الفرنسيين هم «أجدادهم»،

والذين يفضلون في اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية الدفاع عن مصالح فرنسا أو بريطانيا بدل الدفاع عن مصالح دولهم الافريقية.

وقد أحدث الاحتلال الثقافي أضراراً فادحة بين السود في افريقيا عامة وفي المنطقة الشمالية من القارة الافريقية خاصة، حيث تقع بعض الدول العربية. فحتى مدة لا تتعدى ثلاثة عقود كانت نسبة الأميين بين السكان الأصليين في الجزائر تصل الى 92,3٪ تقريباً، وفي أنغولا 95,7٪. زد على ذلك، أن هذه الدولة الافريقية العربية هي أفضل مثال على أن المستعمرين لم يحاولوا فقط تدمير قاعدته الدينية بل قاعدته اللغوية أيضاً، لدرجة يمكن التأكيد معها على أن الجزائر لا تزال حتى الآن مزدوجة اللغة حيث أن عدداً كبيراً من سكانها العرب لا ينطقون الا باللغة الفرنسية. أما في ليبيا، حيث كان هناك مقاومة أكبر لتغلغل المستعمرين في مجال الثقافة، لم تمس اللغة بسوء الا قليلاً باستخدام مفردات ايطالية لبعض المواد الفنية لكن نسبة الأميين بين السكان كانت عالية جداً.

ثقافة تقليدية وتربية ثورية:

إن تطبيق المبادىء الأساسية لثورة الفاتح، التي يتضمنها فكر القائد، قد حمل الجماهيرية على تحقيق درجة عالية في التحول على مختلف الأصعدة، وخاصة في المجال الاجتماعي والاقتصادي. كما أن التغييرات التي حصلت في مؤشرات القيمة الشرائية وفي التركيبة الاقتصادية بالإضافة الى التحول في مجال الزراعة وتربية الماشية والتحول الصناعي خلال السنوات الأخيرة، وفي مستوى معيشة السكان، قد أدت إلى إحداث تعديل عميق في عادات الشعب وميوله ورغباته.

والأمر الذي لم يهمله القذافي يوماً هو ضرورة إرفاق كل هذا الازدهار الذي تحقق في المجال المادي بحملة تربوية ملائمة تحل المشكلات ذات الطابع الأخلاقي والتي تظهر عادة في مثل هذه الحالة، حيث أن المجتمعات التي تواجه تحولاً سريعاً وقوياً في مستواها الإجتماعي الاقتصادي، تفقد مقاييسها وانسجامها واستقرارها وتتقاعس عن العمل من أجل أهداف أسمى، هي في هذه الحالة، القيم التي تتميز بها الحضارة والثقافة العربيتين.

وهل كان بإمكان القائد نظراً لروحيته العميقة، السماح بظهور اقتصاد استهلاكي في بلده؟. إن الرد سلبي حتماً، لأن الاقتصاد كلما اقترب من التشجيع على الاستهلاك كلما ابتعد عن خدمة النظام الاقتصادي الطبيعي وخدمة المصلحة العامة وخدمة المجتمع الواقعي والعادي وخدمة الإنسان الواقعي والعادي، الذين يجب أن تنتظم متطلبات الحياة الدنيوية له تمشياً مع الهدف النهائي ومع شريعة الله.

إن القذافي بحكمته، قد قرر توجيه كل قوة الجماهيرية الاقتصادية نحو إشباع الحاجات الأساسية للإنسان الليبي العربي المسلم.. الثقافية منها والمعنوية والمادية.

لقد أعلن عن أسس الثورة الشعبية ـ الثقافية في خطابه التاريخي في مدينة زوارة، ومنذ تلك اللحظة دفع ببرنامج واسع النطاق يشمل عملية محو الأمية والتحضير الفني والمهني وتعديل وتقويم مناهج التعليم وتطوير وسائل نشر الثقافة.

إن خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م تشمل برنامج عمل خاص بالمجال الثقافي وتتلخص استراتيجيته وتصميمه العام بالنقاط الآتية:

1 ـ إن استراتيجية العمل الثقافي في الجماهيرية تستند الى المفهوم الشامل للثقافة الذي يضم التراث المعنوي والإجتماعي والمادي للشعب، الذي، بالنسبة لليبيين، ينبع من الأسس التاريخية للأمة العربية التي تصل تشعباتها الى أبعد من التراث العربي الإسلامي.. هذا التراث الذي يعيش في تطور مستمر. كما يتأكد أيضاً على أن الحركة الثقافية العربية المعاصرة هي حركة فريدة، حيث أنها في الوقت نفسه حركة حضارية مستقلة. والجوانب التاريخية والأبدية الحية لهذه الحركة قد بقيت وحدها وفية للتراث العظيم للأمة العربية وهويتها المحددة التي هي حصن أصالتها، التي تسمح لها بالعمل انطلاقاً من موقف صلب ووفق التطورات اللاحقة.

وهكذا يتم العمل بجدية تامة لتدعيم الروابط الثقافية بين أبناء الشعب انطلاقاً من جذورها العربية الاسلامية فتحث وتشجع ميولهم الفنية التي تعتبر جزءاً من أصالتهم التي ورثوها عن الماضي، كما وتطور فيهم الذوق الفني والجمالي.

وقد تم الاهتمام أيضاً بخلق الأوضاع التي تسمح بتطور ونمو القدرة الإبداعية والحفاظ عليها.

2 ـ ونتاجاً لما ذكر سابقاً، قامت المؤسسات الثقافية بتوجيه جهودها وبشكل مكثف لمهمة التنظيم الشامل لنمو الشعب الثقافي، وذلك بدراسة وتنظيم وتنفيذ المشاريع والبرامج التي هي بمثابة نقطة الانطلاق والطريق الصحيح لتطبيق المبادىء التي اتخذتها الثورة على الصعيد الثقافي.

والغرض هو تشجيع الروح الإبداعية لدى الليبيين وذلك بتدعيمها وتغذيتها في كل مجالات الحركة الثقافية والفكرية والفنية والأدبية، كتعبير عن الثقافة التي تنبع من الجذور الشعبية القومية.

3 ـ إنشاء شبكة متماسكة تضم عناصر ثابتة ومتحركة تعمل على دفع الثورة الثقافية الى أبعد مكان في الجماهيرية، كمكاتب إعلامية مثلاً أو مراكز ثقافية على مستوى بلديات ومكتبات عامة ومكتبات مدرسية ومكتبات للمؤتمرات الشعبية ومكتبات لمثابات اللجان الثورية وللجمعيات ومكتبات للأطفال ونظام إعارة الكتب للمواطنين المقيمين في المناطق البعيدة ومكتبات سياحية ومراكز ثقافية سياحية.

نرى إذن كيف أن «الفقيه» الذي كان في الماضي يدعم اجتهاد معمر القذافي وحبه للاستطلاع والتعلم خلال مرحلة طفولته، قد تضاعف وانتشر في كل مكان متجسداً في قوة إنسانية حقيقية تعمل في كافة المجالات وبأحدث الأساليب لنشر الثورة الثقافية في كافة أنحاء الجماهيرية. لكن الثقافة لا تقتصر فقط على الإبداع والتحضير والتحول، بل هي أيضاً مسيرة التحول ذاتها، ومسيرة النشاط الإنساني التي تهدف الى الخير.

إن الثقافة والتعليم هما شيئان متحدان فيما بينهما. فليس هناك أي ثقافة تدوم في وسط لا يستطيع الحصول على العلم. لهذا السبب قام المستعمرون دائماً بإرفاق احتلالهم لبلد ما بالتحول والتغيير الجذري لنظامه التعليمي، وذلك بتكييفه وفق قيمهم الثقافية وبتدمير ثقافة شعب هذا البلد.

لقد تفهمت ثورة الفاتح هذا الوضع منذ البداية، وأكدت على أنه بدون تعليم قومي وشعبي يستحيل ترميم القيم القديمة للشعب، التي تميزت بها الحضارة والثقافة العربيتين والتي يجب تكييفها مع متطلبات العصر.

العدد التقريبي للطلاب وفق الخطة الخمسية
1981 ـ 1985م

	1980 1981	1981 1982	1982 1983	1983 1984	1984 1985	1985 1986	نسبة الزيادة السنوية 81-80 86-85
				الأعداد بالآلاف			
التعليم الابتدائي	675	706,9	728,3	747,6	768,3	788,8	٪3,2
التعليم الإعدادي	222,7	254,7	267,7	281,1	291,3	300,1	٪6,2
التعليم الثانوي	49,9	54,1	62	68,5	74,2	78,3	٪9,6
التعليم الفني	13,8	14,6	17	19,8	23,1	27	٪14,4
معاهد المعلمين	27,8	26,9	26,3	26,9	28,9	30,5	٪1,9
التعليم الجامعي والعالي	19,3	21,1	23	25,1	27,4	30,5	٪9,6
المجموع:	1008	1078,3	1124,3	1169	1213,2	1254,7	٪4,4

العدد التقريبي للطلاب:

3245,8	3960,8	٪3,2

نسبة الطلاب في المستويات المذكورة:

31,1	31,7

نظام تعليمي ذو أسس وامتدادات واسعة النطاق:

إن خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م. ليست سوى مرحلة التطبيق العملي لمبادىء النظرية العالمية الثالثة التي صاغها العقيد معمر القذافي كما ذكرنا مراراً في الفصول السابقة.

إننا نرى في هذه الجداول النسبة المسجلة في مختلف مستويات التعليم خلال الخمس سنوات الأخيرة، وأيضاً منذ اليوم الذي قامت فيه ثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969م.

تطورالتعليم خلال مرحلتي
1968 ـ 1969م
1985 ـ 1986م

	1968–1969م	1975–1976م	1980–1981م	1985–1986م
التعليم الابتدائي:				
عدد الطلاب	281607	573897	674976	788780
عدد القاعات	8861	21521	25680	30279
نسبة كثافة كل قاعة	31,8	26,7	26,3	26
عدد المدرسين	9909	26158	34551	41515
نسبة الطلاب لكل مدرس	28,4	21,9	19,5	19
التعليم الإعدادي:				
عدد الطلاب	29564	123428	222676	300086
عدد القاعات	838	3980	7452	10717
نسبة كثافة كل قاعة	35,3	31,3	29,9	28
عدد المدرسين	2272	7854	17320	24000
نسبة الطلاب لكل مدرس	13	15,7	12,9	12,5

التعليم الثانوي:

عدد الطلاب	7454	18263	49365	78288
عدد القاعات	272	649	1496	2700
نسبة كثافة كل قاعة	27,4	28,1	33	29
عدد المدرسين	608	1810	3318	6524
نسبة الطلاب لكل مدرس	12,3	10,1	14,9	12

التعليم الفني:

عدد الطلاب	1259	3391	13847	27000
عدد القاعات	38	133	509	1020
نسبة كثافة كل قاعة	33,1	25,5	27	26,5
عدد المدرسين	196	340	1004	2250
نسبة الطلاب لكل مدرس	6,4	10	13,8	12

معاهد المعلمين:

عدد الطلاب	5159	21071	27827	30511
عدد القاعات	188	783	986	1052
نسبة كثافة كل قاعة	28,7	26,9	28	29
عدد المدرسين	466	1822	2107	3051
نسبة الطلاب لكل مدرس	11,1	11,5	13,1	10

التعليم الجامعي والعالي:

عدد الطلاب	3001	13418	19315	30000
مجموع عدد الطلاب	328044	753468	1008006	1254665
نسبة الطلاب بين السكان	**16,5**	**28,1**	**31,1**	**23**

تطور التعليم الجامعي خلال مرحلتي
1968 ـ 1969م
1980 ـ 1981م

الكلية	1978–1969م	1972–1973م	1976–1985م	1980–1981م
أدب وتربية	1002	2322	2687	3470
اقتصاد	435	1104	1856	3000
قانون	411	820	2006	2350
التربية	294	888	1532	3150
المجموع	2142	5194	8081	11970
دراسات تطبيقية	308	508	928	2650
هندسة	354	754	1246	2750
زراعة	197	575	851	2000
طب	–	235	786	2000
طب أسنان	–	–	76	200
صيدلية	–	–	62	430
الطب البيطري	–	–	–	370
الهندسة النفطية	–	181	423	1600
المجموع:	859	2253	12453	12000
المجموع العام:	3001	7447		23970

بإيجاز، وكما يلاحظ من خلال الجداول المذكورة حيث يتم عرض المؤشرات والمعلومات الهامة حول تطور مختلف مستويات التعليم في الجماهيرية، نجد أن كل ما يتعلق بالتعليم قد وضع هذا البلد العربي في المرتبة الأولى بين دول العالم نظراً للنمو بل وحتى للقفز التعليمي الذي تم خلال مرحلة قصيرة جداً. إنها ـ كما يقول ثوار الفاتح ـ منهج حرق المراحل.

إن الفرص التي تتاح للطالب بالإضافة الى التسهيلات المتعددة التي يحصل عليها ليتمكن من تحصيل العلم في مختلف مجالات التخصص في ليبيا وفي الخارج هي كلها غير عادية إذا ما قورنت بالفرص والتسهيلات التي يحصل عليها الطالب في أي دولة أخرى.

فالجماهيرية الآن مليئة بمؤسسات التعليم، على طول وعرض أراضيها، وتغطي كافة مستويات التعليم كالآتي ذكرها:

أ ـ رياض الأطفال:

لقد شجعت الثورة على إنشاء المؤسسات التي تهتم بالأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم خمس سنوات، والتي لم يكن لها وجود قبل عام 1969م. وقد تم حتى الآن بناء 25 مدرسة في طرابلس وبنغازي ومصراتة ومنطقة الجبل الأخضر، كما يتم العمل على إنشاء مؤسسات أخرى في أماكن أخرى من الجماهيرية، كل ذلك على أن لا تحل هذه المؤسسات والرياض محل الأم، فالنظرية العالمية الثالثة تؤكد على أن «الطفل تربيه أمه».

ب ـ المرحلتان الابتدائية والإعدادية:

إن المؤشرات والأرقام التي ذكرناها في الجداول السابقة تبرهن على اهتمام الجماهيرية بتشجيع قطاع التعليم في مختلف المستويات. وحالياً قد تم إقرار التعليم الإلزامي والتصاعدي. فالأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و12 سنة، يجب عليهم أن يجتازوا المرحلة الابتدائية الإلزامية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعليم الإلزامي قد انتشر تدريجياً ليشمل المرحلة الإعدادية أيضاً.

ج ـ المرحلة الثانوية:

إن هذه المرحلة التعليمية قد نالت أيضاً اهتماماً زائداً، حيث تم وضع برامج لتحقيق مستوى أفضل للطالب الذي يحضر نفسه لدخول الجامعة، وذلك دون إهمال التعليم الفني الذي تكون مدته أربع سنوات بعد إنهاء المرحلة الإعدادية. ويمكن ذكر بعض التخصصات مثل الاقتصاد والصناعة. وقد تم ايجاد توازن في هذه البرامج بين هذه المرحلة التعليمية والمدارس العليا وبعض التخصصات الأخرى وفق استراتيجية «خطة التحول» وبهدف شمل كافة مجالات التعليم.

د ـ معاهد المعلمين:

تؤكد الخطة الخمسية على ضرورة تغطية الاحتياجات من مدرسين ومدرسات، هذه الضرورة قد ظهرت في الجماهيرية كنتاج لعملية تطبيق قرار التعليم الإلزامي في المرحلتين الابتدائية والإعدادية.

وقد خصص نظام التعليم في معاهد المعلمين مستويين: المستوى العام (سنتان) والمستوى التخصصي (أربع سنوات). وتعمل الاستراتيجية في هذا المجال على إرفاق زيادة عدد الطلاب بزيادة في عدد المدرسين والمدرسات، وذلك للمحافظة على نسبة الطلاب في كل قاعة، وبزيادة عدد القاعات في كل أنحاء الجماهيرية لتخفيض نسبة الطلاب في كل قاعة.

هـ ـ التعليم الفني:

إن هدف الخطة الخمسية هو تطوير التعليم الفني لتوجيه أولئك الطلاب الذين أنهوا دراسة المرحلة الإعدادية وحثهم على تحمل المسؤوليات في المستقبل، في مجالات الصناعة والزراعة وتربية الماشية والخدمات العامة.

و ـ التعليم الجامعي:

إن مجرد الإطلاع على جدول التطور في مستوى التعليم الجامعي منذ قيام ثورة الفاتح، يمكننا من ملاحظة أهمية هذه المرحلة التعليمية بالنسبة للجماهيرية.

ولتحقيق انتشار التعليم الجامعي، تم في عام 1973 إنشاء كليات جديدة في جامعتي طرابلس وقاريونس بالإضافة إلى كلية التربية في مدينة سبها وأخرى في مدينة الزاوية.

إن نظام التعليم الذي يطبق في الجماهيرية هو أداة ممتازة لمرافقة مشاريع تطبيق الثورة الثقافية التي أعلن عنها القذافي في خطاب زوارة والتي يُظهر نجاحها ويؤكد على الواقعية التي تتم بواسطتها مواجهة كل المشاريع في المجال الثقافي ـ التربوي.

هذا، وهناك خطة طموحة لدفع التعليم إلى مستويات راقية جداً وتحمل عنوان «قلب البنية التعليمية» وهي وحدها ثورة في الثورة التعليمية، وتهدف إلى تركيز ورفع مستوى التخصص الجامعي التقني عن طريق التمهيد والتحضير للدراسات التخصصية الجامعية من المرحلة الثانوية. وقد شكلت لجنة تربوية خاصة لتحقيق هذه الثورة التعليمية وقطعت شوطاً مبشراً في هذا المجال. ويدرس الآن خارج الجماهيرية مجموعات من الطلبة الليبيين تخصصات تقنية عالية ونادرة ليصبحوا بعد تخرجهم مدرسين رواداً لقلب البنية التعليمية في الجماهيرية.

ربما يبقى أمامنا كثيراً من الشرح لهذا الوضع، لكن الإنجازات العملاقة التي حققتها الثورة لا يمكن وصفها وصفاً تفصيلياً وكاملاً في هذا الكتاب الذي يهدف إلى إجراء دراسة تحليلية وبخطوط عريضة للنجاح الذي حققته نظرية القائد على الصعيد التطبيقي.. هذه النظرية التي يصفها سطحيّون بل وحتى جهلة بأنها وهمية غير قابلة للتطبيق!..



نقطة الانطلاق

□ نقطة الإنطلاق □

ينقسم العالم اليوم إلى ثلاثة تكتلات: إثنتان منها تتناقضان ظاهرياً بينما تتحدان فيما بينهما باطنياً عبر «الحبل السرّي» للسيناركية، وهما الرأسمالية والشيوعية. أما الكتلة الثالثة فتتألف من مجموعة دول ضعيفة تفتقد لوحدة عقائدية وعملية، وامكانياتها ليست كافية لمواجهة قوة الدول الضخمة التي تتزعمها واشنطن وموسكو.

وقد أحدث العمل التفككي والمركز للدول الضخمة معادلات معقدة في الوضع الدولي يتوقف عليها السلام والأمن العالميين.

إن التوتر المتزايد، ونحن على عتبة القرن الواحد والعشرون، يمتد إلى كافة أنحاء العالم ويشمل كافة مجالات العمل الإنساني، فلا أحد ولا شيء يخرج عن نطاقه، وطالما أنه لا توجد حلول لهذا الوضع فإن العالم يسير نحو أزمة حادة وخطيرة بإمكانها أن تفجره وتدمره.

إننا نحيا دون شك في عالم تسحقه مفاهيم تفرض على الشعوب عبر وسائل الاتصال الضخمة، أسلوب حياة برجوازي وماركسي تماشياً مع «فلك نفوذ» كل منهم.

وأمام أوج المادية غير المحدود ظهرت بعض القوى التي تناضل من أجل استرجاع المعنى الأسمى للوجود، مع توجيه النداء لنا كي نشارك في اللقاء مجدداً بالروح الضائعة وكي نسحق نهائياً تلك المظاهر التي ترتكز على مذاهب المركزية البشرية والأحدية واللذة والمادية، التي قلبت العالم ودمرت النظام الاجتماعي الطبيعي.

في المرحلة التاريخية التي عقبت الحرب العالمية الثانية تركزت أدوات السلطة العالمية في أيدٍ قليلة، كما أن الشعوب التي ترفض سياسة التكتلات الضخمة، تواجه كافة الضغوط والاعتداءات بهدف إخضاعها الى فلك نفوذ أو آخر. إن مراكز القرار العالمية هي التي تقوم بتوجيه الحركة التخريبية الشاملة التي سببت الأزمة الحادة التي يعاني منها العالم والتي تدمر الشعوب تدميراً هو أضخم على الصعيد الخلقي والمعنوي مما هو على الصعيد المادي والاقتصادي والإجتماعي. هذه الحركة التي توجه بالطبع لتشجيع إجرام الدول وحرم الشعوب من حقها في تقرير مصيرها، وتدمير النظام الإجتماعي الطبيعي الذي يجب أن ينتهجه عادة كل مجتمع منظم في أي مكان وجد فيه.

إن بيرون وعبد الناصر هما الرجلان اللذان تصديا، استناداً إلى قاعدة عقائدية ثابتة وخاصة ضمن إطار الجغرافيا السياسية الأمريكية اللاتينية والعربية، لسياسة التكتلات وخاصة مراكز القرار العالمية الضخمة ذات الشعار الرأسمالي أو الشيوعي.

وبعد موت هذين الرجلين بقيت سفينة دول العالم الثالث بدون دفة وشراع وبدون وجهة محددة.

من يستطيع أن يمثل بشخصه طموحات شعوب الأمة العربية وشعوب أمريكا اللاتينية، أمام غياب هذين الشخصين الفريدين، وذلك لتوحيدها في النضال المشترك من أجل تحقيق استقلال حقيقي ومن أجل استرجاع القيم الروحية التي ضاعت بسبب هجمات المادية المدمِّرة؟

من يستطيع أن يمثل بشخصه الروح التحررية للشعوب الافريقية المضطهدة والمقهورة والمقيدة بالاستعمارين القديم والحديث، مع العلم أن مقاومة هذا الأخير هي أصعب بكثير؟

من يستطيع أن يدل الشعوب المظلومة على طريق التحرر ويهديها على الطريق المستقيم كي تقوم بمهمتها التاريخية على أكمل وجه، هذه المهمة التي تختلف عن المنهج الايديولوجي الغامض الذي يقلل من إمكانية تحقيق وحدة عقائدية وعملية، إن هذه المهمة هي التي تسهم في رفع وتيرة مستوى النضال إلى أقصى حد؟

وبإيجاز، إن الروح التحررية وهذه البطولة وهذا النور يندمجون كلهم في إحدى أبرز الشخصيات في عالمنا اليوم، هو قائد الثورة في ليبيا المفكر معمر القذافي، الذي قد صمم على اتخاذ موقع القيادة في هذا التاريخ ليبرهن عبر مثاله الخاص وعبر مثال شعبه أن الشعب ليكون حراً عليه أن يصمم على ذلك.

إن هذه الحقيقة تظهر واضحة من خلال ما ذكرناه سابقاً لأن الشعب الليبي قد انبعث كطائر العنقاء من الرماد، بعد أن دمره الاستعمار، وذلك بفضل شجاعة وعزم وقدرة العقيد القذافي الذي بدأ رأس حربته يجتاز حدود الجماهيرية، إلى واشنطن ولندن وباريس وحتى الى موسكو أيضاً. إنه لا يوجه حربته ضد هذه الدول ليدمرها عسكرياً، لأن ذلك هو أمر مستحيل، بل ليؤكد لها على أنه يوجد في دولة عربية افريقية شعب قد صمم على العيش بحرية وعلى التضحية بكل شيء دفاعاً عن قيمه الأساسية الثقافية والحضارية، يقوده في ذلك الرجل الذي اختار أصعب الطرق وأشقها لمقاومة العدو، والذي لا ولن يخون المبادىء التي رفع راياتها مهما كلف الأمر.

لهذا، لا يجب أن يتفاجأ أحد بأن يكون القذافي قد حمل على عاتقه مسؤولية نقل رياح الحرية إلى كل مكان موجهاً جهوده نحو إزالة الخونة والعملاء في دول وحكومات تدعي بأنها غير منحازة، بينما هي في الحقيقة عميلة تخدم مصالح الدول الضخمة.

إن القذافي وثورة الفاتح هما نقطة الإنطلاق لتحقيق وتدعيم حرية الشعب الليبي، إنهما

نقطة الإنطلاق بالنسبة لتلك الشعوب التي تناضل من أجل حريتها ومن أجل طرد المستعمرين من أراضيها.

التضامن مع الجماهيرية.. التضامن مع القذافي.. هذا هو تصوري.. وليس هذا التصور تصور عميل مرتزق بل تصور مناضل قومي يطلق هذا النداء لتشكيل قوة دولية مشتركة تحمل فكر هذا القائد الثوري، وتقوم بعمل بطولي متواصل للحد وبصورة نهائية من أعمال الامبريالية العدوانية والاستعمارية.

إن نظرة القذافي للعالم وللمشكلات التي تعاني منها مختلف القارات والمناطق والدول هي نظرة صحيحة، و إن كان من الضروري تكييف أساليب النضال وفق الظروف الراهنة لإغلاق الطرق أمام العدو، وذلك يتم بإضافة السلاح النفسي إلى الأسلحة الضخمة التي تملكها الجماهيرية، لاستخدامه كرد على الهجمات اليومية التي تشنها وسائل الإتصال الضخمة والملتزمة مع الصهيونية والامبريالية، وضد شخصيات ومصالح مراكز القرار الدولية.

إن أمريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا هي ساحات قتال واسعة تخرج منها الامبرياليات الضخمة رابحة أو خاسرة في محاولاتها لإخضاع الدول غير المنحازة لنفوذها.

الآن، خلافاً لما كان يحصل خلال أيام مضت، لم يعد العالم الرأسمالي أو الماركسي آمنا وكأنه في معبد. فأسس أمنه واستقراره التي تم التعاهد عليها خلال عام 1945م، والتي تم تجديدها في «هيلسنكي» بعد عدة عقود من الزمن، بدأت تتفسخ ولا يستطيع أي من قادته أن يعتقد بأنه سينقذ نفسه من رد القوات المناضلةعلى المكائد التي يحيكها ضدها.

إن القذافي يعرف ذلك جيداً، ويقدر قيمة الدعم الذي يقدم لأي حركة تناضل ضد المراكز الامبريالية و إن كانت حديثة المنشأ.

إن الدعم الذي قدمه القائد للحكومة العسكرية الأرجنتينية خلال الحرب ضد بريطانيا لم يكن دعماً أو تأييداً لأحد أعضاء هذه الحكومة بل لأنه يعرف بأنها كانت حرباً من أجل قضية عادلة، بالإضافة إلى أنها كانت موجهة ضد الامبريالية التي احتلت يوماً وبمساعدة الامبريالية الأمريكية الأراضي الليبية وأقامت فيها قواعدها العسكرية.

والقائد، خلال حديث خاص مطول تبادلته معه في مقر قيادته العامة في «باب العزيزية» خلال شهر الكانون (ديسمبر) من عام 1982، أشار الى أنه كان قد تفهم جيداً بأن عملية استرجاع جزر مالفيناس وجورجياس وساندويتش الجنوبية والمناطق البحرية المحاذية لها، كانت تستند إلى وثائق شرعية وحقوق تاريخية، وبأن النضال كان يتم من قبل الشعب الأرجنتيني كله.. على هذه الأسس كان يرتكز الدعم الذي قدمه للشعب الأرجنتيني.

وفقاً لهذه النظرة ونتاجاً لعملية تطبيق مبادئه التي تتميز بروح التصدّي للامبريالية والاستعمار، قام القذافي وسيقوم دائماً بدعم أي حركة في العالم تناضل ضد مراكز القرار العالمية، دون الاهتمام بأمور أخرى سوى عدالة قضية هذه الحركة. وبهذه النظرة ذاتها يجب

إبداء الرأي حول تصرفات القائد إذا أراد أحد أن يعرف الدوافع التي تجعله يقدم الدعم حتى لبعض الحركات التي تختلف معه في شعارها الايديولوجي.

هل تساءل القذافي، قبل أن يقرر تقديم الدعم للشعب الأرجنتيني، عما إذا كان رئيس الجمهورية الأرجنتينية أثناء حرب مالفيناس الجنرال غالتييري ليبرالياً أو ماركسياً أو وطنياً؟...
إن الجواب هو كلا..

إذن، ليس هناك أي ضرورة بأن يقلق نفسه لمعرفة إنتماء أي زعيم للمعارضة أو أي رئيس أو أي شخصية من أي بلد كان طالما أنهم من الناحية العملية يمثلون الإحساسات والطموحات القومية إزاء أي مشكلة أو أي مسألة تتعلق ببلدهم.

إنني رغم انتمائي القومي وعدائي للرأسمالية بقدر ما هو عدائي للشيوعية، لا أستطيع التفكير ولو للحظة واحدة أو تضييع ثانية واحدة من الوقت في تحليل ما إذا كان القذافي هو أم لا ماركسي متستر لأنه يقدم السلاح والمواد الغذائية والملابس لأعداء أعدائه. إن كل لحظة من الوقت يضيعها أولئك الذين يهاجموه ويخلقون له المشاكل في كل بقاع الأرض، يمنحون الجماهيرية وقتاً ثميناً تستغله ليس فقط في تدعيم نظامها الدفاعي بل أيضاً في دعم قوات أخرى تناضل في هذا العالم.

أمريكا.. العدو العلني رقم واحد للجماهيرية:

إن أمريكا وحليفها الرئيسي الكيان الصهيوني بالإضافة إلى القوات التي تضمها منظمة حلف شمال الأطلسي، قد تحولت منذ عام 1969م الى ألدّ أعداء ليبيا والثائر العقيد القذافي الذي قال في مناسبات عديدة أنه على استعداد لإقامة علاقات ودية مع كافة دول العالم ومن بينها الولايات المتحدة نفسها.

لكن الرد الأمريكي على مبادرات القذافي لم يكن سوى القيام بمحاولات لاغتياله وبهجمات ضد الجماهيرية في مجالها الجوي ومياهها الإقليمية، بالإضافة الى عمليات رشو قادة الدول المجاورة لليبيا ليتآمروا معها ضد شعب الجماهيرية وقائده، زد على ذلك الحصار الإقتصادي والحرب النفسية التي تشنها على صعيد دولي ضد شخص القائد.

وقد تكون مصالح أمريكا السياسية الجغرافية وسياستها التوسعية في المناطق التي لم تخضع بعد لفلك نفوذها أو لفلك نفوذ الاتحاد السوفياتي، هي السبب الرئيسي لهذه المحاولات التي تقوم بها لتدمير الجماهيرية و إخضاع الشعب الليبي لها. لكن هناك أيضاً ضمن إطار العوامل المتعددة والمتشابكة التي تتلخص في هذه السياسة، سياسة العدوان الذي لا يرحم، يد «اللوبي» الصهيوني الذي لا يقبل بأي نوع من المفوضات بين أمريكا والقوات الثورية العربية التي هي عدو أبدي للكيان الصهيوني الذي يعتبر القذافي فارسها الأول.

إن هذا «اللوبي» الذي يوجد أيضاً في الدول الأوروبية وفي كندا وفي الأرجنتين يعمل بجدٍ

لمنع الثوريين العرب من تدعيم مواقفهم على الصعيد الدولي ومن القيام بضرب «المفاوضين» الذين يخونون قضيتهم القومية، وبهذا يكون قد حدّ من توسع نطاق الحرب ضد الإمبريالية الصهيونية التي تحتل فلسطين.

ولهذا السبب، إن أي نوع من التقارب أو التفاوض مع أمريكا أو حلفائها الرئيسيين ـ طبعاً باستثناء الصهاينة الذين يجب محاربتهم دون أخذ وردّ حتى يتحقق النصر الأخير ـ هو أمر مستحيل بالنسبة للجماهيرية التي تلمس كيف تزداد يوماً عن يوم شراسة المحاولات التي تتم لتدمير ثورة الفاتح ولتحقيق التصفية الجسدية أو على الأقل السياسية لقائدها الروحي والثوري.

إنه بديهي إذن الموقف الذي يتخذه القذافي، أي الرد بشكل مناسب وبمختلف الوسائل على الإعتداءات الموجهة ضد الجماهيرية، وذلك بإقامة نظام تحالفي يسمح أيضاً بخلق مشاكل للعدو على الصعيدين الداخلي والدولي.

مقر للإرهاب أم مقر للتحرر؟

إن وسائل الإعلام المغرضة تتهم الجماهيرية، بصورة دائمة، بأنها أحد مراكز الإرهاب الدولي، فتقول: «هناك تتدرب وتتسلح العناصر الإرهابية التي تقوم بأعمال على مستوى دولي»، بمعنى أنه بالنسبة للإعلام الامبريالي الصهيوني هو إرهابي من يناضل من أجل تحرير شعبه من الاستعمار البريطاني أو الفرنسي أو الأمريكي. لكن هذا الإرهاب يصبح بالنسبة لهم «إنقاذاً» عندما يتم دفاعاً عن المصالح الرأسمالية، وهكذا يتم التآمر بواسطة «العدالة» ويتم تمويل جيوش الغزاة الطامعين باسم «العدالة» ويتم القتل أيضاً بإسم «العدالة».

حسناً، إذا كانت محاولة تحرير الشعوب المقهورة هي محاولة إرهابية، و إذا كانت أشكال النضال التي تتبعها هذه الشعوب هي إرهابية، و إذا كان التصدي للاحتلال وللجرائم ضد الإنسانية التي ترتكب ـ كما هي الحال في فلسطين المحتلة ـ هو إرهابي، فإنني أعلن إذن بأنني إرهابي، لأنني أوافق وأؤيد وأتمنى أن يتمكن الشعب الأرجنتيني يوماً وبقوة المدافع من طرد الامبرياليين البريطانيين الذين استولوا بالقوة على جزرنا وعلى المناطق المحاذية لها في جنوب الأطلسي، والذين مازالوا يسيطرون على نصف أراضينا الجنوبية ويستغلونها، وذلك طبعاً بموافقة كل الحكومات المتعاقبة تقريباً التي تفاوض حتى على دماء جنودنا التي أريقت في ساحة المعركة.

لقد شدد القذافي على أن عدم فعالية النضال الشعبي على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري ضد التكتلات الضخمة يزول، ويصبح النضال فعالاً إذا تحمل الشعب مسؤوليته وشارك مباشرة في النزاع انطلاقاً من الأسس التي يعمل عليها العدو المشترك والتي هي:

أ ـ على الصعيد السياسي:

يقوم العدو بتوسيع رقعة أعماله العدوانية في العالم وذلك بتوقيع اتفاقيات صداقة ودفاع مشترك مع أية دولة وخصوصاً الدول التي تحكمها حكومات هزيلة، وذلك لتتمكن من محاصرة الدول القومية التي لا ترضى بأن يسيطر على سيادتها أحد، كما تقوم بإنشاء القواعد العسكرية ومصانع الأسلحة الذرية التي تهدد السلام العالمي.

ب ـ على الصعيد العسكري:

يعمل العدو بشكل مباشر أو بدعم أعداء الجماهيرية، كما فعلت فرنسا في تشاد مثلاً، لخنق المقاومة الوطنية وتحقيق سيطرة عملائها.

ج ـ على الصعيد الاقتصادي:

يعمل العدو عن طريق الحصار وعن طريق نشر الشركات متعددة الجنسيات التي تتمتع بالقدرة على احتكار المواد الأولية والمنتجات المصنعة والتقنية التي هي عنصر حيوي بالنسبة لنمو وازدهار أي بلد.

د ـ على الصعيد الثقافي:

يعمل العدو على تدمير هوية الشعوب الثقافية وقاعدتها الاجتماعية الطبيعية التي هي الدين واللغة والعادات، كما يفرض عليها ثقافة مزيفة تمكنت في حالات عديدة حتى من تدمير أدنى بقايا حضارات قديمة جداً.

هـ ـ على الصعيد الإجتماعي:

يحاول العدو تدمير الجبهة الداخلية للدول المناضلة كالجماهيرية، مساعداً على بث الفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية بواسطة عملاء له يدربهم على نشر الإشاعات المغرضة ضد الثورة وتوجهاتها، كما يمدهم بمختلف الأسلحة.

إن قائد الثورة قد رأى أنه من المناسب ـ طالما أن الشعب يؤيده تأييداً كاملاً ـ القيام بحث القوات المناضلة على مواصلة نضالها كما يعمل بنفس الوقت على تحقيق الوحدة العربية ـ و إن لم تكن في بادىء الأمر وحدة عقيدة ومبدأ فعلى الأقل تكون وحدة عمل ـ وذلك لحشد أكبر قوة ثورية ممكنة لتعمل بشكل فعال ضد الامبريالية.

إنه يعمل دائماً على تنسيق الأعمال الثورية بين القوات المتواجدة في افريقيا وفي فلسطين دون استبعاد حركات تحرر أخرى قد تتحالف مع بعضها ضد العدو.

إن القائد عمل على تحويل الجماهيرية الى مثابة عالمية تجمع القوات الثورية التي تناضل

ضد العدو الامبريالي وخاصة أمريكا والكيان الصهيوني العنصري. إنه يؤمن بأن الشعوب إذا اتحدت من أجل هدف واحد، فإن هذا الاتحاد يؤدي الى إعطاء قضيتها شرعية أكبر، وهذه تسمح له باستخدام كافة الوسائل الممكنة، بما في ذلك العسكرية، وخصوصاً في المناطق الساخنة كفلسطين، حيث تضع الامبريالية فيها كل ثقلها.

إن جهود القذافي بتحويل الجماهيرية الى مثابة عالمية لمقاومة الامبريالية لم تحظَ دائماً بردود إيجابية، وقد قامت بعض التنظيمات وخاصة ذات الاتجاهات الماركسية، بمجادلة مبادئه الدينية وحاولت إقرانه بتيار المادية التاريخية، لهذا أكد القذافي دوماً على أن الاشتراكية في النظرية العالمية الثالثة تختلف تماماً عن الاشتراكيات الأخرى بما في ذلك الاشتراكية الماركسية التي تستند الى المادية المطلقة أو المادية الجدلية.

ونستطيع أن نذكر أنه في بعض مداخلاته في المؤتمرات والملتقيات التي أقيمت حول «الكتاب الأخضر» في مدينة بنغازي مثلاً خلال عامي 1979 و1983م، أكد العقيد معمر القذافي على موقفه بالنسبة للاشتراكية.

ومؤخرا صدر كتاب «شروح الكتاب الأخضر» في الجماهيرية، حيث يعرض آراء وتفسيرات تبعد أي شك حول فكر العقيد القذافي ذي المضمون الروحي والقومي والطبيعي.

في شهر الصيف (يونيو) عام 1982م، تمكنت من حضور اجتماع مهم جداً وذلك بصفة مراقب، وجدت أنه لم تقم أي حركة أمريكية لاتينية ذات وجهة ماركسية بتأييد وجهات نظر القذافي. وقد قال لي أحد قادتها أن الأسس الدينية والقومية للعقيد القذافي وللجماهيرية هي أسس غير مقبولة حيث أنها تشكل خطراً في المستقبل على جبهة النضال الاشتراكي، وقال: «إننا اشتراكيون علميون ولا نستطيع أن نتقبل تصورات هي في جوهرها معادية للماركسية».

إنني أعتقد أن هذا الاستنتاج هو أفضل تأكيد على الموقف الثالث الذي يتخذه العقيد القذافي.

إن تأسيس قيادة قومية ثورية موحدة مقرها الجماهيرية ينبع من الضرورة الحتمية للقيام بعمل متماسك ضد كافة أشكال الامبريالية والاستعمار وخصوصاً تلك التي تؤثر على الأمة العربية وعلى القارة الافريقية، كالصهيونية والعنصرية.

إنه من الممكن الالتقاء مع القذافي في قوله أن المسؤولية ستقع على الشعوب نفسها وعلى حركاتها الثورية التي تملك في يدها كل ما تحتاجه لتحقيق النصر الأخير، بدءاً بالوحدة والتضامن والنمو المتواصل للعمل النضالي.

ويؤكد القائد على أن الشعوب يجب أن تدافع عن تراثها المادي وأن تصون مواردها الطبيعية من أطماع المحتكرين الدوليين، لتقوم بوضعها في خدمة النمو الداخلي للبلد وخدمة المصلحة العامة.

وأمام الاعتداء الخطير الذي تواجهه الجماهيرية يومياً، قرر القائد الرد على هذا الاعتداء

بالصورة المناسبة، أي باستخدام أسلوب المعاملة بالمثل في العلاقات مع أولئك الذين يقومون بمثل هذه الاعتداءات، وصمم على ضرورة تنفيذ العمليات في أوروبا وأمريكا إذا دعت الحاجة.

وقرر أيضاً القيام بحملة دبلوماسية واسعة النطاق وبعيدة المدى، تهدف إلى نزع السلاح من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهادىء، بدءاً بالبحر الأبيض المتوسط الذي تمتد عليه شواطىء ليبيا حوالي 2000 كلم تقريباً، والذي يريد القذافي جعله خالٍ من أي تواجد عسكري بحري للقوات التابعة لمنظمة حلف شمال الأطلسي أو للقوات التابعة لحلف وارسو.

وقد أكد القذافي مرة، في خطاب ألقاه بحضور أعضاء القيادة السوفياتية العليا وبحضور الزعيم الراحل بريجنيف، على أنه لن يسمح لحلف وارسو بإدخال السفن الحربية الى أي ميناء من موانىء ليبيا. لهذا، ليس هناك أي معنى لوجود الأسطول السادس في البحر الأبيض المتوسط وخاصة في المياه الإقليمية الليبية.

الحاجة الى قيادة قومية ثورية موحدة:

هل بإمكان الجماهيرية أن تتحول الى نقطة إنطلاق للشعوب التي تريد السير في الخط الصحيح نحو انعتاقها النهائي؟ إن الزمن وحده يستطيع الرد على هذا السؤال. وهناك شيء لا يمكن لأحد أن يشك فيه وهو أن الجماهيرية قد تحولت إلى مركز استراتيجي لقيادة العمل النضالي الدولي ضد الامبريالية بمختلف أشكالها.

إن ضرورة خلق قيادة قومية موحدة توجهها القوات الثورية قد طرحت في بداية شهر مارس عام 1985م أمام عدد كبير من الضيوف الذين كانوا يقومون بزيارة للجماهيرية. والهدف الأول من ذلك هو تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني بالاتفاق مع قوات المقاومة.

وقد أكدت الجماهيرية رسمياً منذ فترة قصيرة على ما يلي: «بالنسبة لما يجري حالياً من أحداث في العالم العربي، هناك هدف واضح وهو خيانة القضية القومية والاعتراف بالعدو الصهيوني. إن ليبيا تؤكد مرة أخرى على أن القضية الأساسية كانت وستبقى قضية فلسطين».

وأضاف البيان الذي صدر في تلك الأثناء عن المكتب الشعبي للاتصال الخارجي بأنه «لا سلام ولا معاهدات ولا مفاوضات مع العدو الصهيوني الذي يحتل فلسطين وأراضٍ عربية أخرى».

وبالتأكيد، إن هذا الموقف الليبي الذي يؤكد مجدداً على عزم ليبيا و إصرارها على تحرير فلسطين وعلى تحقيق وحدة الأمة العربية بالإضافة الى مشاركتها في نضال شعوب أخرى في مختلف أنحاء العالم، يستحق تفسيراً مفصلاً كي يتمكن القارىء من فهم الدافع الذي جعلني أعتبر شخص قائد الثورة في ليبيا نقطة انطلاق للبدء بالسير على طريق الانعتاق الحقيقي للشعوب من كل وصاية أجنبية أو هيمنة، سواء كانت هذه الشعوب من افريقيا أو من آسيا أو حتى من أمريكا اللاتينية.

نقطة الإنطلاق لتحرير فلسطين والقدس

منذ سنوات عديدة يعاني الشعب الفلسطيني من أفظع الاعتداءات التي يسجلها التاريخ المعاصر، وذلك ليس فقط من قبل الغزاة الصهاينة الذين احتلوا أرضه، بل أيضاً من قبل عدة دول غربية تتعاون عملياً مع القوات الصهيونية التي ستحاسب يوماً ما ـ ليس ببعيد ـ على مسؤوليتها عن حرب الإبادة التي تشنها.

إن هذا الاحتلال وتأسيس ما يسمى «بدولة اسرائيل» هما أمران لا يستندان الى أي أساس على الإطلاق، حيث أن الحقوق التاريخية والوثائق الشرعية تؤكد على أن الشعب العربي الفلسطيني هو السيد الحقيقي للأرض المحتلة (فلسطين) التي يسيطر عليها الغزاة بقوة النار والدم.

إن القذافي ينادي بضرورة استرجاع فلسطين، طبعاً بما فيها القدس، التي تخضع للاحتلال العسكري والتي توجد فيها الأماكن المقدسة للمسيحية والاسلام.

لمحة تاريخية عن القدس وفلسطين:

ان المصادر التاريخية التي تعود الى آلاف السنين تبرهن بكل وضوح على أن العبريين قد قدموا الى فلسطين كغزاة، فاضطهدوا الشعوب التي كانت أصلا تقطن تلك المنطقة والتي كانت سابقا قد عانت من هجمات شعوب أخرى قدمت من آسيا وأوروبا..

والقدس، المدينة المغتصبة حاليا، تأسست منذ زمن قديم جدا وقبل قدوم العبريين..

في القرن الخامس قبل الميلاد هاجر الى شرق المتوسط والى بلاد الشام (سورية ولبنان والأردن وفلسطين حاليا) الموجة الأولى من الكنعانيين قادمين من الجزيرة العربية. وبني ملك الكنعانيين «ملكي صادق» مدينة القدس وأعطاها اسم «اورشلام» أو «أورشليم» ومعناها «مدينة السلام» أو «مدينة الإله شالم». ويرد اسم «ملكي صادق» في الأناجيل المعتمدة، وقد عاصر النبي ابراهيم عليه السلام..

تجمعت قبيلة «يبوس» الكنعانية العربية في منطقة فلسطين وأصبح يطلق على أورشليم «يبوس» التي حرفت فيما بعد الى «قدس».

اشتهر اليبوسيون بشدة بأسهم وبتقدمهم الحضاري على الشعوب المجاورة وصدوا كثيرا من

الهجمات عن وطنهم حتى تمكن بني «بنيامين» العبريون من السيطرة على المنطقة وعلى مدينة يبوس فاعتصم ما تبقى من المقاتلين اليبوسيين العرب في حصون جبل صهيون ينطلقون منها بهجمات مفاجئة على المحتلين الغزاة ليقضوا مضجعهم..

نادى العبريون بأحد المحاربين الأشداء واسمه (شاؤل) ملكا عليهم ولكنه لم يتمكن من فتح مدينة القدس وقد قام اليبوسيون بهجوم معاكس على مملكة شاؤل العبري وجرت بين الطرفين معركة ضارية قتل خلالها شاؤل وتسلم المُلك أقوى قادته وهو (داود) وكان ذلك عام 1000 قبل الميلاد تقريبا.

وقد استطاع داود الملك والذي يعتبر نبيا في الأديان السماوية الثلاثة أن يفتح مدينة القدس (يبوس) وأعاد لها اسمها العربي الكنعاني «أورشليم»..

حكم داود مدة أربعين سنة ثم خلفه بعد وفاته ابنه سليمان كملك ونبي لمدة ثلاثين سنة. وبوفاة سليمان دبت الفوضى في المملكة العبرية واشتد فيها الصراع على السلطة وانتهت بانقسامها الى دويلتين هزيلتين «اسرائيل» و«يهوذا»..

لم يتوقف الكنعانيون العرب عن مقاومتهم للاحتلال العربي وقد تحالفوا مع الأشوريين ذوي الأصل العربي أيضا الذين ظهروا كقوة كبيرة في بلاد الرافدين وفي عام 722 قبل الميلاد هاجم الاشوريون الدويلة العبرية الشمالية «اسرائيل» وأزالوها نهائيا من الوجود وذلك بقيادة الامبراطور سرجون الثاني.

أما الدويلة العبرية الجنوبية «يهوذا» وكان عاصمتها القدس فقد تعرضت لهجوم من مصر قاده الفرعون نخاو الثاني. وقد حاول «يوشيا» ملك يهوذا صد هذا الغزو ولكن نخاو الثاني هزمه في معركة «مجدو» ثم قتله وعين «يهوياقيم» ملكا على يهوذا وفرض عليه غرامة حربية وجزية سنوية، وغدا هذا الملك عميلا لمصر..

الا أن الكلدانيين (وهم أيضا من أصل عربي) انطلقوا من بلاد الرافدين فاتحين في محاولة معروفة لتوحيد القسم الآسيوي من الشرق الأوسط في كيان واحد، ففتحوا البلاد التي تعرف اليوم باسم (سورية ولبنان والأردن) وحين اتجه لفتح فلسطين استنجد «يهوياقيم» بفرعون مصر «نخاو» الذي قدم بجيش كبير اجتاح المنطقة واستعاد قسما كبيرا من الأراضي التي فتحها نبوخذ نصر الكلداني. وأخيرا التلقى الجيشان العظيمان الكلداني والمصري في معركة ضارية عام 588 قبل الميلاد جرت في كركميش (مدينة تقع الآن شمال سوريا واسمها جرابلس) انتصر فيها الجيش الكلداني، وعاد نخاو الى مصر بما تبقى من جيشه، بينما اتجه نبوخذ نصر نحو مملكة يهوذا وقبض على ملكها يهوياقيم وأعدمه وحول المملكة الى ولاية وعين عليها «صدقيا» اليهودي بلقب (حاكم) وليس لقب (ملك). ومع ذلك فقد عمد «صدقيا» الى الاتصال بمصر من جديد يستعديها على الحكم الكلداني فتوجه نبوخذ نصر بنفسه على رأس فيلق من جيشه الكبير ودمر الولاية العبرية وخرَّب مدينة القدس وكذلك المعبد اليهودي الرئيسي (هيكل سليمان) وقتل

جميع القادرين على حمل السلاح وقبض على صدقيا فقتل أولاده أمامه ثم سمل عينيه وتركه حيا بضعة أيام ثم أعدمه..

وهكذا زال أي كيان للعبريين في فلسطين وأنهي الوجود العبري البشري الغريب عن المنطقة، حيث سيق ما تبقى من الشعب العبري أسرى الى بلاد بابل وكان ذلك عام 586 قبل الميلاد، وعادت فلسطين من جديد عربية خالصة.

وفي هذه الفترة ظهرت قوة جديدة في أقصى الشرق الأوسط الأسيوي، وأعني الفرس (وهم من العرق الآري) فأسسوا دولة قوية دخلت مع الامبراطورية الكلدانية في صراع ضار انتهى بانتصار الفرس. وقد كافأ الامبراطور الفارسي «قورش» العبريين لتقديمهم الأدلاء لجيشه بأن أعاد الأسرى المسبيين من بابل الى فلسطين وسمح لهم باعادة بناء هيكل سليمان..

وبقيت فلسطين تحت السلطة الامبراطورية الفارسية التي غزت فيما بعد مصر نفسها وضمتها الى امبراطوريتها الشاسعة. الا أن قوة عظمى، وهذه المرة أوروبية، ظهرت الى الوجود وهي الدولة الاغريقية (اليونان القديمة) فبعد أن بسطت نفوذها على قسم من أوروبا دخلت مع الامبراطورية الفارسية الشرقية في صراع رهيب كان بين كر وفر حتى تسلم (الاسكندر الكبير) زمام الدولة الاغريقية فقام بهجوم واسع على الامبراطورية الفارسية واستولى على كل ممتلكاتها في الشرق بما في ذلك فلسطين وكذلك مصر أيضاً، وكان ذلك عام 332/333 قبل الميلاد. وهكذا دخلت المنطقة بكاملها في مرحلة تاريخية جديدة كان للعبريين فيها كيان ديني في فلسطين أما النفوذ السياسي فكان للأمراء الإغريقيين الذين استقلوا عن أثينا بعد وفاة الاسكندر، منهم من حكم بلاد الشام (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) ومنهم من حكم مصر. وقد حاول العبريون اليهود أن يحصلوا على استقلال سياسي في فلسطين واتصلوا سرا بحكام مصر فجرد انطيوخوس ابيفانيوس الاغريقي حملة على فلسطين عام 168 قبل الميلاد فقتل من قتل من العبريين وخاصة منهم الكهنة وفي مقدمتهم الكاهن الأكبر «يهوذا المكابي».

خضعت مدينة القدس وماحولها بعد ذلك لحكم أمراء الأرمن حتى جاء الاجتياح الروماني. فقد ظهرت قوة عظمى جديدة في أوروبا هزمت الاغريقيين وورثت امبراطوريتهم الشاسعة، تلك هي الدولة الرومانية التي أصبحت امبراطورية كبرى. وقد اختص القائد الروماني «بومبي» بفتح منطقة فلسطين حيث هزم فلول الأمراء الاغريقيين ومن مالأهم من العبريين ودخل القدس فاتحا..

ظهر المسيح عليه السلام في فلسطين وانتشرت دعوته في أوساط الكنعانيين العرب وبعض من بقي من الرعايا الاغريقيين والرومان والعبريين وتآمر أحبار اليهود على السيد المسيح فقبض عليه وحوكم وصدر عليه حكم الإعدام..

المسلمون يؤمنون هنا بأن الذي نفذ فيه حكم الإعدام هو شخص آخر شبيه له تماما،

وذلك كما ورد في القرآن الكريم، بينما بقية الأديان تقول بأنه تم إعدام السيد المسيح نفسه صلبا وله ضريح في القدس بنيت عليه كنيسة القيامة.

وهكذا أصبحت القدس مدينة القدس مقدسة ومحجا للمسيحيين على اختلاف طوائفهم.

وقد حاول اليهود في هذه الفترة من جديد إقامة كيان سياسي لهم ولكن الرومان جردوا عليهم حملة عام 70م بقيادة «تيطس» فدمر القدس وهيكل سليمان وقتل كثيراً من اليهود فهاجر معظم من بقي منهم حيا الى أنحاء كثيرة من العالم متوزعين على قارات آسيا وافريقيا وأوروبا ولم يبق منهم في فلسطين الا شراذم قليلة ليس لهم أي معبد يقيمون فيه طقوسهم الدينية..

انقسمت الامبراطورية الرومانية فيما بعد الى قسمين الغربية وعاصمتها روما، والشرقية (البيزنطية) وعاصمتها القسطنطينية (استنبول) وقد تبعت الشام بما فيها فلسطين والقدس للامبراطورية البيزنطية..

وفي مطلع القرن السابع الميلادي ظهر الدين الاسلامي في شبه جزيرة العرب واعتنقه سكانها تدريجيا ولكن بفترة قليلة من الزمن، وقامت دولة اسلامية الدين عربية القومية شملت كل شبه جزيرة العرب فاصطدم كيانها السياسي بالقوتين الأعظم، الامبراطورية الفارسية في الشرق (العراق وايران وأفغانستان) والامبراطورية الرومانية في بلاد الشام..

وعلى صعيد فلسطين تقدمت الجيوش العربية الاسلامية فاتحة، ولاقت مقاومة عنيفة من جيوش المحتل البيزنطي، أما السكان المحليون وكان معظمهم من الكنعانيين ذي الأصل العربي فقد رحبوا بالفاتحين. وحين وصلت القوات الفاتحة الى القدس وحاصرتها طلب أحبارها المسيحيون من عرب وبيزنطيين أن يكون تسليم المدينة بدون قتال الى أمير المسلمين عمر بن الخطاب. وفعلا قدم عمر ووقع لأهلها معاهدة سلام تعتبر وساما لامعا على صدر الأمة العربية، فلأول مرة يدخل جيش فاتح مدينة القدس فلا يهدم فيها معبدا ولا يقتل فيها أسيراً ولا يسلب ثروات أهلها. وقد أقرت المعاهدة أصحاب الديانات كل أهل دين على دينه، وأعفت الكهنة ورجال الدين من الضرائب ومن الخدمات العامة ليتفرغوا الى واجباتهم الدينية بمعنويات عالية..

يؤمن المسلمون بأن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قد أسرى الله به ليلا من المسجد الحرام في مكة الى القدس وصلى في بقعة ذكرت في القرآن الكريم باسم المسجد الأقصى..

وعلى هذا فقد بنى المسلمون في هذه البقعة جامعاً ترسيخاً لقدسية المكان، علما بأن المسلمين كانوا يتجهون في صلاتهم الى القدس ثم بدل الله هذا الاتجاه الى مكة المكرمة.

وينتهك الصهاينة اليوم حرمة المسجد الأقصى حيث يقومون بعمليات حفر وتنقيب ووصل الأمر الى محاولة احراق الجامع عام 1969م.

وهكذا أصبحت مدينة القدس لها مكانة مقدسة عند المسيحيين والمسلمين اضافة الى مكانتها الدينية عند اليهود..

وبدخول فلسطين وبقية بلاد الشام وبلاد الرافدين في الدولة العربية الاسلامية الفتية عادت فلسطين والقدس الى وضعها الطبيعي العربي. وبدا اليهود فيها أقلية دينية وقومية تتمتع بحريتها في لغتها وعاداتها ودينها كبقية الأقليات الأخرى من بقايا المسيحيين والرومان والأرمن المسيحيين والفرس والصابئة وغيرهم. أما هيكل سليمان الذي دمر عدة مرات فلم يتجدد بناؤه قط. وقد ادعى اليهود فيما بعد أن قسما من الجدار الغربي للمسجد الأقصى هو ما تبقى من هيكل سليمان ويسمونه «حائط المبكى» وقد دحضت الأدلة العلمية ادعاءهم هذا.

وفي القرن السادس عشر أصبحت فلسطين والقدس جزءاً من الامبراطورية العثمانية. وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، سيطر البريطانيون على القدس وذلك نتيجة الهزيمة التي مني بها الأتراك الذين كانوا يسيطرون على الجزء الأكبر من الأراضي العربية بما فيها فلسطين.

إن الانتداب البريطاني على فلسطين الذي تم عن طريق جمعية الأمم، كان أداة لخدمة المخططات الصهيونية التي كانت تهدف إلى إقامة «دولة يهودية» في فلسطين. وكانت هذه المخططات تنفذ بدقة دون الإكتراث بنصوص القانون الدولي وبميثاق هيئة الأمم المتحدة. ولا حاجة هنا لتكرار الأحداث التاريخية المعروفة منذ إعلان «بلفور» وزير خارجية بريطانيا عام 1917م وحتى اليوم. إن موضوع القدس لا يمكن فصله أبداً عن المشكلة العامة التي تعاني منها فلسطين. كما أن ما حصل حتى الآن لصالح التواجد الصهيوني في فلسطين وفي مناطق عربية أخرى في الشرق الأوسط، بالإضافة الى الاعتداء المتمادي على مدينة القدس، هو عمل لا أساس شرعياً له على الإطلاق وهو أيضاً مرفوض أخلاقياً.

لا يستطيع أحد أن يشكك بحقوق شعب فلسطين التاريخية وبأنه هو السيد الشرعي على أرضه المغتصبة من قبل الكيان الصهيوني بما فيها القدس.

لقد سيطرت شعوب كثيرة على فلسطين واحتلت القدس باستثناء المدة القصيرة التي سيطر فيها اليهود على المنطقة بكاملها.

إن الأبناء الشرعيين لفلسطين قد حافظوا على أرضهم خلال عشرين قرناً ولم يغادروها رغم الغزوات المتواصلة التي حصلت في المنطقة ورغم التضحيات الكبيرة التي قدموها بسبب أعمال الغزاة.

إن الحقوق التاريخية والوثائق الشرعية التي يملكها الشعب الفلسطيني تتعرض للخرق من قبل قوات الغزاة الاحتلالية القادمة من قارات أخرى والتي تقوم بقتل الشيوخ والنساء والأطفال والمدنيين العزّل من السلاح، والتي تفتقد لأي ارتباط أو هوية تاريخية ودينية وثقافية وقومية، ليس فقط بالنسبة للمنطقة بل أيضاً بالنسبة للعبريين القدماء الذين قطنوا فلسطين وتوصلوا إلى السيطرة عليها مدة تزيد عن القرن.

إن العمل الصهيوني في فلسطين وفي الشرق الأوسط يجب أن يتم الإعلان عنه كعمل إجرامي ضد الإنسانية جمعاء. لابد من استنكار كل أعمال الصهيونية وقواتها وذلك بمعاقبتها

على الجرائم التي ترتكبها وعلى عدم صحة الأعمال التي أدت إلى اتفاقية تقسيم فلسطين وظهور ما يسمى بـ «دولة اسرائيل» واعتراف المجتمع الدولي بها، بالإضافة الى احتلال القدس التي سلبت من أصحابها الشرعيين لتدويلها عام 1947م وتقسيمها عام 1948م وتهويدها عام 1967م.

باعتراف الأطراف تظهر الحقائق:

إن وجود الكيان الصهيوني لا يشكل خطراً على الشرق الأوسط وحسب، بل على الإنسانية كلها، لأن هذا الكيان يعتبر مقر القيادة الاستراتيجية التي تطمح للسيطرة على العالم، وتعتبر «دولة اسرائيل» النقطة المركزية لتحقيق هذا الهدف المشؤوم.

لكن، وبما أن «خلاف الأطراف يظهر الحقائق» فيعتبر من المهم جداً ذكر كلمات الإرهابي بيجن الذي، وهذا شيء مؤلم حقاً، تقاسم جائزة نوبل للسلام مع الخائن السادات. هذه الكلمات التي ذكرها في تصريحاته التي نشرتها الصحيفة اليهودية [ ]» بتاريخ 27 من شهر ناصر (يوليو) عام 1967م حيث قال: «لقد كان بإمكاننا نحن اليهود أن نسيطر على أوغاندا ومدغشقر وأمكنة أخرى لإقامة وطن يهودي، لكننا لا نريد شيئاً آخر سوى فلسطين، ليس ذلك لأن البحر الميت إذا تبخرت مياهه ينتج معادن وشبه معادن بما يقارب الخمسة ترليون من الدولارات، وليس لما تعنيه فلسطين بالنسبة للإنجيل والنواحي الدينية، وليس لأن باطن الأرض الفلسطينية يحتوي على كميات من النفط تعادل عشرين مرة احتياط الأمريكتين معاً، بل لأن فلسطين هي نقطة تقاطع بين أوروبا وآسيا وافريقيا، ولأن فلسطين هي المركز الحقيقي للسلطة السياسية العالمية والمركز الاستراتيجي للسيطرة العالمية».

إن هذه الكلمات التي قالها من حمل على عاتقه مسؤوليات ضخمة في قيادة الكيان الصهيوني، تبرهن هي نفسها عن الهدف الحقيقي لهذا الذراع الرهيب للسيناركية الدولية أي: السيطرة من فلسطين على كل الشرق الأوسط، لإقامة مركز استراتيجي سياسي وعسكري للسيطرة العالمية من قبل اليهود.

ليس هناك أدنى شك ـ وبهذا لا ضرورة لأن يعلن أحد عن تأييده التام للقذافي ـ أن الصهيونية هي التعبير التاريخي للعنصرية وفق ما أعلنت عنه الجمعية العامة للأمم المتحدة بكلمات مشابهة لهذه، وذلك بتاريخ 10 من شهر الحرث (نوفمبر) من عام 1975م.

لا يستطيع أحد أن يحرم أي شعب في هذا العالم من حقه في الدفاع عن أسس هويته القومية. فالشعب هو المجتمع السياسي للأمة التي تتشكل عبر مجموعات من الأفراد الذين يتقاسمون وحدة أصل وجنس وثقافة وتقليد وتاريخ ولغة وأرض، بالإضافة الى أنهم يواجهون مصيراً واحداً. إن اليهود «الاسرائيليين» ليسوا شعباً حيث أنهم يفتقدون حتى لأدنى العناصر الضرورية لذلك.

إن الصهيونية قد خلقت غريزة للتمييز الذاتي، وهذه قد أعلن عنها بن جوريون حين قال للجالية اليهودية في الأرجنتين: «احذروا من مخاطر الاندماج، لأنه سيؤدي دون شك الى زوال الجنس اليهودي المختار».

إن مخطط السيطرة اليهودية ـ الصهيونية هو مخطط مشبع برائحة العنصرية، وهو بتناقضه المظهري لا يخلو من كونه غير ملائم نظراً لأن اليهود ليسوا جنساً، وهذا أمر يلاحظه أي شخص يراقب عدم تجانس المميزات البيولوجية النفسية للجماعة اليهودية.

إن السكان اليهود في فلسطين المحتلة لا يشكلون وحدة جنسية كما يقولون. إنهم فقط مجموعة غير متجانسة من الأفراد قد تجمعهم أطماع و إحساسات امبريالية مشتركة لكنهم لا يشكلون أي جنس على الإطلاق. ورغم ذلك فإن الصهاينة يقومون بخلق سياسة داخلية عنصرية، كما وأنهم لم ولن يترددوا عن تمييز اليهود الذين تعتبرهم الأقلية الحاكمة غير أنقياء والذين تحرمهم ليس فقط من إمكانية شغل الوظائف الحكومية الحساسة بل أيضاً من حقهم في أن يدفنوا في مقابر معينة.

إن «القومية الدولية» لليهودية، التي يطالب بها الصهاينة كمبدأ هوية يهدف إلى جمع الجاليات اليهودية المنفية ضمن الكيان الذي يضطهد الشعب الفلسطيني، تُستخدم «كحصان طروادة» وفقاً لمصالحها تجاه جمود الشعوب والحكومات التي لا تعمل على الدفاع عن نفسها والتي هي مسيّرة بوسائل الاتصال ومهددة بالضغوط الدولية.

إن «قانون العودة» هو الأساس الشرعي للنظرة التي تهدف وفق السيادة الصهيونية الاسرائيلية إلى الحصول على تعديل القانون الأساسي لليهود وذلك لتغيير وضعهم من مواطنين لدولة معينة ـ بفضل اعترافهم الديني ـ إلى أعضاء مجموعة دينية «قومية» معترف بها قانونياً، وبواجبات نحو دولة أجنبية لا يعترف بها كدولة من قبل عدد كبير من الدول وهي «اسرائيل».

إن هذه الأطماع هي غير مقبولة إطلاقاً. ولهذا يظهر تأييد قوي لتصرفات وأفكار القذافي الذي يرفض وجود روابط شرعية سياسية بين الجاليات اليهودية المنفية والكيان الصهيوني وخاصة تلك الروابط التي ترتكز على الإنتماء الديني.

إن الحرب ضد الكيان الصهيوني سوف تزداد ضراوة يوماً عن يوم، حيث أن غطرسته ـ في لبنان مثلاً ـ سوف تزداد حدة بفضل الدعم الذي تقدمه له الدول الصناعية الغربية الضخمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. هذه الدول التي تمده بأحدث الأسلحة وتستخدم حق النقض في مجلس الأمن لإلغاء العقوبات التي يحاول أن يفرضها عليه المجتمع الدولي. وتتمتع الصهيونية أيضاً بدعم الدخل المادي اليهودي العالمي وبدعم «السلطة الرابعة» التي هي وسائل الإعلام والتي تغير كما يحلو لها سير العلاقات الدولية والتوازن الداخلي للدول.

وفي خضم هذا العذاب الذي يعاني منه الشعب العربي الفلسطيني، يرتفع صوت القذافي

وسيفه دعماً لأعمال القوات الثورية المناضلة، وهذا ما يسمح بتنبؤ مستقبل يعود فيه المناضلون ـ بعد كارثة لبنان ـ الى السير على طريق النصر.

«لا سلام ولا صلح ولا تفاوض مع العدو الصهيوني الذي يحتل فلسطين والأراضي العربية»، هذه الصرخة أطلقها جمال عبد الناصر عام 1967م من مدينة الخرطوم عاصمة السودان في اجتماع مؤتمر قمة لحكام الدول العربية، ولم تعد تنطلق الآن الا من طرابلس، إنها أفضل لحن موسيقي تصغي له آذان المناضلين الذين يتصدون للمخططات الصهيونية، رغم وجود بعض الأقليات الفلسطينية والعربية المحاورة والخائنة التي لا تعي بأن انتصار القضية الفلسطينية يمر عبر هزيمة الكيان الصهيوني الكاملة وعبر إقامة دولة فلسطينية تكون عاصمتها مدينة القدس.

إنني كمناضل قومي ملتزم منذ سنين عديدة في النضال ضد الامبريالية الصهيونية التي لم تقم بتدمير فلسطين وحسب، بل بتدمير دول أخرى عديدة، أود أن أعلن في ختام هذا الفصل تأييدي المطلق **لنقطة الانطلاق** التي تدعو الى رفض تواجد الاستعمار الصهيوني في هذه المنطقة من الوطن العربي الكبير، و إلى استخدام كافة الوسائل لتحقيق الانتصار النهائي على العدو.

إن حل المسألة الفلسطينية بالطريقة الشرعية السياسية والعسكرية والاقتصادية لابد أن يبدأ بتصحيح الأمم المتحدة لأخطائها، وبطرد ممثلي الصهاينة في المنظمات الدولية وسحب الاعتراف الدبلوماسي بإسرائيل وبفرض حصار اقتصادي عام عليها وبتنفيذ العقوبات العسكرية المباشرة.

إن الشعب الفلسطيني يملك الحق المطلق بالعودة إلى وطنه للتأكيد على الهوية العربية لأرضه المحتلة بما فيها القدس كعاصمة لدولته المستقلة.

أما بالنسبة للمدينة المقدسة، فعلى المسؤولين الفلسطينيين بعد التحرير أن يوفروا و يضمنوا قدوم المؤمنين من كافة الأديان و يبرهنوا للعالم ـ مثلما فعل الخليفة عمر ـ بأن العرب ليسوا كالصهاينة الذين يلطخون أيديهم بدماء الأبرياء.

إن الشهامة التي يتميز بها العرب هي أمر يشدد عليه القذافي في مقترحاته دائماً حول فلسطين. إنه يتميز بتسامحه مع معارضيه وأعدائه و إن كانت بعض وسائل الإعلام تؤكد عكس ذلك.

ليس عبثاً أن تكون ثورة الفاتح من سبتمبر قد تفجرت دون إراقة دماء.

إن مقترحات قائد الثورة هي بشكلها ومضمونها ـ وهذا طبعاً بنظري وبرأيي الشخصي ـ نقطة الانطلاق لتحرير فلسطين واسترجاع القدس.

نقطة الإنطلاق للوحدة العربية

قال «لاكروا دي مارليز» في ذكر جميل حول الاسلام والعرب: من المستحيل أن يتحدث الإنسان عن النبي محمد الا وأن يشعر بإعجاب نحو هذا الرجل ما فوق العادي.

نبي ومشرِّع وجندي في الوقت نفسه، ظهر في وسط عربي قام هو بتحريره وجمع حوله رعاة غير متحضرين تحت راية دين جديد وخلق منهم جنوداً لا يقهرون.

ربما يكون البعض قد خلق علوماً عسكرية أفضل، وربما يكون البعض الآخر قد سنّ قوانين أفضل، لكن، مَن غيره وُلد في عمق الصحراء خلال القرن السادس استطاع أن يجمع بين غار الشاعر وعظمة المشرّع ويد المقاتل!

إن الأمة العربية قد وصلت تحت راية الإسلام إلى قمة العظمة وخلقت حضارة تركت آثاراً لا تمحى من المغرب الى الهند ومن وسط فرنسا مروراً باسبانيا إلى داخل الصحارى الافريقية.

ليس هناك أي أمة أخرى فعلت ما فعلته الأمة العربيَة واكتشفت ما اكتشفته الأمة العربية، وليس هناك أحد علّم الأوروبيين الفلسفة اليونانية التقليدية كالعرب، وليس هناك أحد جمع شعوب كثيرة تحت راية الإسلام كالعرب. حتى أعداء العرب وجيوش الغزاة اعتنقوا هذا الدين وتعلموا فنون ولغة الحرب».

وقد قال «غوستافو لي بون»: «شعب شبه متوحش حقق الحضارة العربية، خرج من الصحراء العربية، هزم الفرس واليونانيين والرومان، أسس امبراطورية امتدت من الهند إلى اسبانيا، وحقق أعمالاً فنية مازالت بقاياها تثير فينا الدهشة والاعجاب».

لقد قمت خلال عشر سنوات باثنتي عشرة زيارة للدول العربية. أتيحت لي فيها الفرصة للقيام بدراسة الواقع الثقافي والتاريخي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني والعسكري للدول العربية.

اطلعت على تاريخها المجيد وجلت كل دول منطقة شمال افريقيا، وكل الدول العربية في جنوب غربي آسيا التي توجد فيها أهم معالم الحضارة القديمة. ان كل هذا جعلني أتعمق بحقيقة وأهمية هذا العالم العربي.

هناك دراسات قليلة جداً غير عربية قادرة على تفهم هذا العالم وأسراره. كما أن المؤرخين

قد أخطأوا بشكل عام في محاولاتهم لمعرفة الأسباب التي أدت إلى بزوغ مجد العرب من جهة ثم الى غيابه من جهة أخرى. ويفشل الدارسون الغربيون حالياً في محاولاتهم حيث يعتقدون بأنهم مؤهلين لتحليل المشاكل المعقدة التي يعاني منها العالم العربي اليوم. وهكذا ظهر «جان جاك سرفان شريبر» الذين يعتبرونه ظاهرة هذا العصر بينما هو في الواقع من تدعمه وسائل الإعلام المضادة للأمة العربية وتطلعاتها بالإضافة إلى أن كل دراساته واستنتاجاته ترتكز على معلومات تاريخية مزيفة.

ليس هناك أحد، غير الدارسين العرب، يستطيع أن يعرف جيداً المشاكل التي تواجهها الأمة العربية في أيامنا هذه، ولا أحد غيرهم يعرف الأسباب والدوافع التي أدت إلى الانبعاث الجزئي للأمة العربية والعوامل الرئيسية التي قد تؤدي إما إلى مجد تاريخي و إما إلى الاندثار النهائي.

واذا كان هذا الدارس قائداً ثورياً لدولة تقوم بتحقيق تجربة تعتبر من أهم التجارب التي حصلت خلال العقود الزمنية الأخيرة، واذا كان أيضاً رجلاً شجاعاً قادراً على القيام بكل المحاولات لتحقيق وحدة هذه الأمة العربية، فليس هناك أي شك بأنه سيتحول إلى عامل وحدة للشعوب العربية التي تفوق إرادتها الثورية حدود بلادها ومواقف قادتها وحكامها.

إن القذافي قد أصاب بدون شك الهدف في تشخيصه للداء السياسي الذي يصيب العرب والذي يحد من طموحاتهم لتحقيق هدف أول وهو تحقيق وحدتهم تحت راية الإسلام.

إن هذا الداء الذي تتلخص عوارضه بالخيانة والأنانية والحسد والضعف أمام العدو، لابد من معالجته كأي داء آخر، وما يطرحه القائد هو حث الجماهير العربية على تدمير الحدود المختلفة بين الدول الشقيقة، أبناء أمة واحدة.. هذه الحدود التي رسمها الاستعمار والدول الكبرى.. وحث هذه الجماهير على توحيد الجهود لاستعادة عزتها وبعث مجدها التاريخي.

هل هناك أية غرابة في الأمر عندما يقوم العدو بتوجيه الاتهامات الكاذبة ضد القذافي؟

إنني أعتقد بأن هذا أمر متوقع، لأنه من عادة الجهلاء أن ينتقدوا من يفوقهم ذكاء وحنكة.. لقد اتهموا المسيح ومحمد بالهذيان، فماذا ننتظر منهم إذن.

ويقول «لي بون» إن العلم الحديث يصف كبار مؤسسي الأديان والامبراطوريات بمجانين رغم أنهم يجسدون روح مرحلة ماضية وأجيال قديمة زائلة تتكلم بألسنتهم». كما يقول: «ليس التاريخ سوى ارتباط أحداث قام بتحقيقها الإنسان ليؤمن بهذا أو بذاك، أو ليعبد هذا أو يدمر ذاك».

توجد في الأمة العربية، دون شك، شخصيات ذكية ومحنكة.. وهذا أمر لا جدال فيه لكن الثورات لا تتحقق فقط بواسطة رجال أذكياء أو مؤهلين، فهي تحتاج إلى رجال يحملون عقيدة ومبدأ ويتمتعون أيضاً بشجاعة وعزم.

لهذا السبب لم تنتصر الثورة العربية الآن.. هذه الثورة التي يعتبر هدفها الأول تحقيق

الوحدة العربية التي تمر عبر عملية تدمير العدو الصهيوني والتواجد الاستعماري وعبر الإطاحة بالحكام الخونة.

إن القذافي هو قائد ثوري وهذا ما أكده عبر قيادته الروحية والسياسية للجماهيرية وعبر دعمه لكل الشعوب التي تناضل من أجل قضايا عادلة في هذا العالم بدءاً بقضية الشعب الفلسطيني التي يخونها بعض الحكام، وبصفته عدو الامبريالية، مهما كان شعارها، التي وضعت منذ مدة طويلة ثمناً لرأسه.

إن إخلاص القذافي ليس معروضاً للبيع، وبهذا يختلف عن غيره من الحكام والقادة الذين لهم أسعار في سوق الخونة، والذين يبيعون أنفسهم ويطعنون شعوبهم وقضيتهم وكل قيم الأمة العربية العظيمة.

الوحدة العربية ليست أمراً جديداً في فكر القائد:

إن الجماهيرية توجد الآن من جديد تحت «عدسة مكبّر» المحللين، وذلك بسبب محاولة تحقيق الوحدة مع المغرب الذي كان عاهله الملك حسن الثاني حتى فترة خلت من خصوم العقيد القذافي.

إننا نتساءل الآن، هل تغيّر القذافي؟.. الجواب هو كلا، فالقذافي لم يتغير، ومسألة الوحدة العربية ليست بشيء جديد في فكره. لقد حاول تحقيقها مع دول أخرى كمصر وسوريا وتونس والسودان.. كما كانت المحاولات هذه عميقة أحياناً وسطحية أحياناً أخرى نظراً لتدخل بعض العوامل السلبية المختلفة.. إن القذافي سيواصل محاولاته و إن كان بعض القادة لا يفهمون عمله بالإضافة إلى أن بعضهم لا يتردد في خيانته له.

إن أهم الأمور بالنسبة للقذافي هو أن يفهم كل الشعب العربي رسالته وأن تبدأ الجماهير بالتحرك لأنها هي نفسها تتضمن روح الوحدة. والتباين ليس بين البلاد العربية بل بين القادة الذين تتعارض مصالحهم الأسرية أو الفردية الضيقة مع مصالح الأمة العربية التي ليس أمامها سوى خيارين: إما الوحدة و إما الزوال.

لهذا قام القائد مؤخراً بشرح موقفه بكل وضوح، حيث قال: «ان انبثاق الوحدة بين ليبيا وأي دولة عربية، كما هي الحال مع المغرب، هو أمر يعتبره قصار البصر والجهلاء معاهدة، بينما هو في الواقع وحدة تتم كنتيجة حتمية لضرورة تاريخية صمم الشعب العربي الليبي على تحقيقها بدءاً بالروابط الثنائية والثلاثية إلى أن وصلنا الى ما نحن عليه الآن. إننا نعمل ضمن تكتلات وليس بمعاهدات أو محاور حيث أننا نبذل جهودنا لتحقيق وحدة الأمة العربية من المحيط الى الخليج».

محاولات التوحيد ضد محاولات التفريق:

وجه القائد خلال المدة الأخيرة اتهاماً لأمريكا وللكيان الصهيوني بأنهما يعملان معاً على تقسيم العرب مسلمين كانوا أم مسيحيين، وقال: «إن الأمريكيين والصهاينة يعملون على تفريق المسلمين وتقسيمهم الى سنّة وشيعة، ويقسمون المسيحيين الى طوائف متعددة، وذلك لخلق مواجهة وصدام بينها».

وأكد أيضاً على أن «المنطقة العربية هي منطقة استراتيجية لأنها تضم قناة السويس وباب المندب ومضيقي هرمز وجبل طارق».

وفي خطاب ألقاه مؤخراً قال القائد أنه «لو اتحد العرب واتفقوا لما كانت تتمكن أي طائرة أو أي باخرة من التحليق أو العبور في المناطق التي تخضع لسيادتهم أو التي تسيطر عليها قواتهم، ولما كان الأعداء يستطيعون أن يسيطروا على هذه الأمة العربية لو أنها متحدة ومتماسكة».

إن موقف القذافي بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية مع أمريكا قد تصلب نتيجة الاعتداءات المتكررة. لهذا السبب يتصدى القذافي لأولئك القادة العرب الذين يحافظون على علاقاتهم الودية مع واشنطن رغم أحداث لبنان. ولقد قال مرة: «إنه من العار أن يذهب الحكام العرب ليهنئوا ريجان بفترة رئاسته الثانية. إننا بلد صغير ونتحدى أمريكا، والعالم كله أصبح يعرف ذلك، إننا لا نعارض تبادل الزيارات مع دول أخرى. لكن أمريكا تدعم الصهاينة دعماً كاملاً، وهم من يقومون يومياً بمذابح واعتداءات على العرب، إنهم يقصفون جنوب لبنان بأسلحة أمريكية. إن الاتحاد السوفياتي اذا تحول يوماً الى عدو لأي بلد عربي سوف نقطع علاقاتنا معه، لكن أمريكا هي التي لا تحترم الحكام العرب. إن هؤلاء الحكام العرب لم يتمكنوا من إرجاع أمريكا عن قرارها بفرض حصار على الطائرات الليبية الثماني التي كان قد تم دفع ثمنها. لقد قلت لهؤلاء الحكام بأن يحتفظوا بهذه الطائرات وأن يستخدموها في بلادهم، بدلاً من أن تستغلها أمريكا. إن أمريكا قد تعدت حدود كل هذه الأعمال عندما منعت الطلبة الليبيين من مواصلة دراستهم في جامعاتها.

وحول نضال الأمة العربية، نجد أن القذافي مقتنع تماماً بأن هذا النضال هو قضية وجود، لهذا فإنه لا يخاف من كل الأعمال الإرهابية التي يقوم بها الصهاينة وحرب الإبادة التي يقومون بها ضد قرى جنوب لبنان. إنه يقترح عدم إعطاء أي هدنة للصهاينة كي لا يتمكنوا من إعادة التسلح ومن تنظيم صفوفهم ومن تدعيم أنفسهم اقتصادياً. وقد قال أيضاً «سوف نواصل دعمنا للمقاومة اللبنانية التي تدافع عن جنوب لبنان. إن النظام المصري قد منح العدو الصهيوني هدنة ويمده بحوالي أربعة آلاف برميل من النفط يومياً، بالإضافة إلى مواد كيماوية وكميات ضخمة من الحديد، استخدمها العدو لتدمير العرب».

العلاقات بين الدول العربية :

لابد وأن القارىء قد لاحظ بأن الجماهيرية لا تتقيد بأي نوع من التقاليد على صعيد السياسة الدولية، لكن تصرفات القائد، على الأقل، لا تفاجىء لأنها نتاج حتمي للمبادىء التي يعتنقها، خلافاً لكل أولئك القادة الذين يظهرون للرأي العام بأنهم يعملون تحت اسم «الديمقراطية» و«الحقوق الإنسانية» و«مهمة التمدن المقدسة»، بينما في الواقع يقومون خلف الستار بمحو ما وقعته أيديهم، وبدلاً من أن يواجهوا أعداءهم بكل كرامة في ساحة القتال، يقومون بالتخطيط لاغتيالهم بالأساليب التنكرية والسرية.

إن العلاقات بين الدول العربية هي بصورة عامة كثيرة التقلب، وتظهر وكأنها نتيجة تشنج معدي مؤلم يعاني منه قادة الدول العربية. فاليوم يتحادثون مع واشنطن ولندن، وغداً مع باريس، وبعد غد ربما مع موسكو. و إن كانت هناك استثناءات فهي قليلة جداً وتعد على أصابع اليد، ولحسن الحظ أن قائد الثورة هو أحدها.

إنه في علاقاته مع القادة العرب يعتمد على مقياس معين وهو درجة تصدي هؤلاء القادة العرب للتواجد الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط، ودرجة دعم القوات الفلسطينية المناضلة، كما وأيضاً درجة التأييد لقضية الوحدة القومية التي يعتبرها وحدة جماهير وليس وحدة قادة.

إن عدم اعتراف القذافي بالحدود المصطنعة بين الدول العربية هو أحد العوامل التي تلفت انتباه المراقبين والتي تغضب بالطبع الحكام العرب.

منذ مدة قصيرة عاد القذافي ليؤكد على موقفه بالنسبة للحدود مع الجزائر التي لا يمكن أبداً وصفها بحدود «ساخنة» كالحدود مع مصر السادات ـ مبارك وسودان النميري، والحدود مع تشاد حينما كان هبري يسيطر على المنطقة الشمالية منها، فقال: «لا نستطيع تغيير أو تعديل شيء في حدودنا مع الجزائر لأننا لا نعرف حدوداً بين ليبيا والجزائر. اذا كان الرئيس الشاذلي بن جديد يود استخدام قاعدة الشط لتدريب الجزائريين فيها واستخدام الأجواء الليبية، فإن ذلك سيكون فخراً لنا، إنني لا أعترف بحدود أقامها المستعمرون الفرنسيون والإيطاليون ضد مصلحة الشعب العربي. إن الجزائر تشكو أحياناً لأن طائرات ليبية تدخل مجالها الجوي من قاعدة «الشط». لقد أبلغت الرئيس بن جديد بأنه اذا أراد بناء معاهد ومستشفيات وحل مشاكله في منطقة «الشط» فإنه يستطيع القيام بذلك لأن «الشط» هي منطقة عربية. إننا لا نطلب أي تغيير في الحدود مع الجزائر. إننا نطلب تطبيق اتفاقية «حاسي مسعود» التي تقول بأنه إذا اعترفت مصر بالعدو الصهيوني (تم توقيع الاتفاقية قبل حرب 1973م) فإننا سوف ننادي بالوحدة بين الجزائر وليبيا والبدء بمسيرة تحرير وادي النيل. ان هدفي هو تحقيق الوحدة العربية. ولا يهمني من يشاركني في تحقيق هذه الوحدة اذا كان ملكاً أو رئيس جمهورية، ثوري أو رجعي، يميني أو يساري. إن هدفي هو إنقاذ الأمة العربية المهددة بخطر التمزيق لتحويلها

إلى فريسة سهلة. هكذا يكون سهلاً على العدو إزالة الأمة العربية واستبدالها بالصهيونية التي تستند إلى الامبريالية الأمريكية.

هناك خطر يحدق بالقومية العربية وبالوحدة العربية. والحل هو إزالة الحدود وترك جانباً المشاكل الصغيرة بين الدول العربية على هذه الحدود. إن مشروع الوحدة العربية هو تحت تصرف أي نظام. ان الوحدة بين ليبيا والمغرب تؤكد على إمكانية تحقيق وحدة عربية بين بلدين ذوي نظامين مختلفين».

إن القيادة القومية الموحدة التي تطرقنا للحديث عنها في فصول سابقة، قد بدأت تتخذ شكلاً واقعياً منذ اللحظة التي أعلن فيها العقيد القذافي عن اقتراحاته وتصوراته بالنسبة لها، في مدينة طرابلس.

لقد قال هو نفسه أن نداءه هو نقطة الانطلاق لتشكيل هذه القيادة الاستراتيجية لتحقيق الوحدة العربية وتوجيه الحرب نحو العدو الصهيوني. وحول هذا الموضوع ذكر بأن محادثات عديدة قد حصلت مع قادة فلسطينيين ولبنانيين ومع الرئيس اليمني الذي قام بزيارة للجزائر لهدف نفسه. كما أجرى القذافي اتصالات ومكالمات هاتفية مع الرئيس السوري حافظ الأسد لاطلاعه على هذا المخطط.

ويقترح القائد بأن تنضم كافة المجموعات الثورية العربية الى القيادة القومية الموحدة «كي تعرف أمريكا ويعرف الصهاينة أن الحرب ليست فقط بينهم وبين الجبهة الوطنية الديمقراطية اللبنانية والسورية والفلسطينية والليبية واليمنية بل هي بينهم وبين الأمة العربية كلها».

الجماهير العربية والوحدة القومية:

إن القذافي ـ مثل أي مفكر وقائد ثوري عربي ـ يؤمن بأنه فقط عن طريق توعية الجماهير وبوحدتها ونضالها تستطيع هذه الأمة أن تحقق وحدتها النهائية وانتصارها على أعدائها الذين يريدونها مدمرة وغارقة في مشاكل سياسية معقدة.

لقد أكد القذافي قائلاً: «إننا نريد تشكيل قيادة جديدة، وأن نبدأ عصراً جديداً هو عصر الجماهير، لأن الجماهير توجد اليوم على هامش المعركة التي لا تشارك فيها سوى الجيوش النظامية وهذا لا ينتج عنه سوى الهزائم».

إننا لا نستطيع هنا الا أن نتذكر مبادىء القذافي و إصراره على تسليح الشعب الليبي وتدريبه عسكرياً، كي تتحول الجماهيرية إلى قلعة صامدة وحصن منيع لا يقهر.

ولكي لا تكون الأمة العربية بعيدة عن قضية مقدسة كقضية فلسطين، لابد من مواجهة أعمال القوات الصهيونية الامبريالية وعملائها بتحريك الجماهير وبتشكيل اللجان الثورية التي تعتبر نواتها القيادية أي كما حصل للتجربة الجماهيرية. وقد قال القائد منذ مدة قصيرة: «يجب علينا نحن أن نكون جيل العصر القومي والوحدوي لمجابهة خطر التفرقة».

لكن، وبدون شك، إن توحيد الجماهير في صف واحد هو عمل يحتاج الى نضال داخلي مسلح يمكن معه تجاوز العراقيل التي يضعها بعض القادة العرب لتجميد وشل حركة الجماهير. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا النضال إذا انبثق عن استراتيجية موضوعة بدقة وموجهة من قبل قيادة مشتركة، لابد أن يؤدي الى مشاكل قد تكون أخطر بكثير من المشاكل التي يراد حلها.

إن الأمة العربية لن تستطيع الانتصار على العدو والتخلص من التواجد الاستعماري والامبريالي بالتعبير فقط عن رغبتها بذلك أو بالعمل الدبلوماسي الفاتر الذي يعتمده بعض القادة والرؤساء والملوك الذين تقع على عاتقهم مسؤولية مباشرة في منطقة المواجهة مع الكيان الصهيوني التي تشمل مصر وسوريا ولبنان والأردن.

ونتساءل هنا، كيف يمكن أن تقوم القوات الليبية والجزائرية مثلاً بمواجهة الصهيونية دون أن تقوم أولاً بشن حرب استنزافية مع مصر السادات ـ مبارك؟ ان الحل يمر عبر طرق أخرى، وقد يكون الطريق الأقصر والأنسب هو الذي قلما يتقيد بالتقاليد المرعية في الحياة السياسية الدولية والعلاقات الشرعية بين الحكومات وهو الحث على النضال الشعبي لإسقاط القادة الخونة ولإقامة نظم ثورية تترجم وتحقق إرادة الأمة العربية كلها، دون أن تتصارع مع بعضها البعض بل تتحد فيما بينها حول قضية مقدسة وهي القضية الفلسطينية.

و إن كان الصهاينة وحلفاؤهم يعملون يومياً ضد الوحدة العربية مستخدمين بذلك أفظع الوسائل، فكيف يمكن الاعتقاد بأن الانتصار عليهم سوف يتم بغير النضال أو بغير قوة السلاح؟

إن حمل السلاح لمواكبة القوات النظامية ـ المطهرة ـ تحت قيادة قومية ثورية هو أمر إلزامي على الجماهير أن تتفهمه وأن تنتهجه لتحقيق الانتصار العسكري الكامل على العدو.. ويجب أن تتفهم الجماهير أيضاً أنه في أيامنا هذه حيث تستخدم أحدث الوسائل التقنية في صناعة المعدات العسكرية، وحيث تعدلت كافة المقاييس العسكرية، لابد أن يتماشى النضال مع الأسس والأساليب التي يشير إليها العلم وفنون القتال. في الجماهيرية، وهي أفضل مثال، يوجد ارتباط محكم ودعم متبادل بين القوات المسلحة النظامية والقوات الشعبية المسلحة، ولو أن الأمة العربية كلها تقوم باتخاذ هذا المنهج وبتقليد هذا النموذج لكان الوضع يختلف تماماً ولكانت هذه الأمة قلعة صامدة لا تقهر وحاجزاً منيعاً أمام أي اعتداء أجنبي.. مثلما كانت في أوج حضارتها القديمة.

إن القذافي يعي ذلك تماماً، وليس هباءً ما قام به منذ عشرين سنة ـ عندما كان لا يزال فتى ـ حيث ناضل واستمر في نضاله من أجل المبادىء الوحدوية بكل إخلاص وتضامن ووفاء مع كل القوى التي تقاسمه وتشاركه هذا الفكر وهذه النظرة بالنسبة للأمة العربية.

ومنذ مدة قصيرة ألقى القذافي خطاباً وجهه لشباب الأمة العربية قال فيه: «إنني أقترح

عليكم أن تكونوا القوى الحية التي تحث الجماهير وتؤسس الحركة الثورية التي ستكون محرك هذه الجماهير».

وكان يوجد بين الشباب سوريون ومصريون فبيّن أن هذا الجيل لم يعايش الوحدة ولا الانفصال، الأمر الذي يعني أن الذين يعملون على تفريق العرب لم يتمكنوا من زرع الحقد بين شباب مصر وسوريا. لم يتمكنوا من تفريق أبناء الأمة العربية ولا إرادتهم الوحدوية، لأن هذه الأمة هي في الواقع أمة واحدة والنضال يتوقف على مبادىء ثابتة وتاريخية لن يستطيع الأعداء تدميرها.

وأوضح القائد لهؤلاء الشباب العرب أن الوحدة بين مصر وسوريا (لنتذكر هنا بأي حماس قاد الطالب معمر القذافي وكان في التاسعة عشر من عمره المظاهرة التي قامت بسبب انفصال هذه الوحدة) لم تفشل بل اغتيلت غدراً. وقال: إن الانفصال قد فرض بعنف ووحشية رغم أن الوحدة لم تتم بهذا الأسلوب بل إنها تمت بإرادة الشعبين المصري والسوري.

لنعد إلى موضوع الجماهير. إنني اتفق مع القذافي على أنه إذا كانت الجيوش والشعوب مجمدة ومشلولة لأسباب معينة، معنوية كانت أم مادية، فإنه لابد من تنظيم قوة ثورية مسلحة تعطيها الحياة وتدفع بها نحو النصر.

إن دور الجماهير العربية في الوحدة القومية هو برأي القذافي مسألة هامة، وقوله صحيح بأن الحكام يفككون أحياناً ما يوحده الشعب، محتقرين بذلك التاريخ ومدمرين ما كلف الشعب دماء وتضحيات جمّة في ساحات القتال.

ويكرر القذافي قوله بأن الأمة العربية هي واحدة، والدليل على ذلك هو أن مصر التي تقع في افريقيا قد اتحدت مع سوريا التي تقع في آسيا رغم المسافات والدول التي تفصلها عن بعضها. والأمر نفسه قد حصل أيضاً بين ليبيا والمغرب. ويؤكد القذافي على أن مسألة الوحدة العربية ليست مسألة جغرافية بل اجتماعية أي قومية.

ولا يخفي القائد رغبته بالقضاء على نظام السادات ـ مبارك الاستسلامي، فقد قال مرة أن إسقاط هذا النظام هو أمر ضروري يفرضه وجود الأمة العربية، كما أكد على أن هذا النظام يهين شهداء مصر ويدوس على جثث الذين سقطوا في ساحة القتال، وهذا عمل استفزازي واحتقار وإهانة للشعب المصري.

إن نقطة الانطلاق لانتصار الوحدة العربية تشير إلى الطريق الذي يؤدي حسب مفهوم القذافي إلى الترسيخ القومي الذي يعتبر هدفاً يتحقق عبر هزيمة الامبريالية الصهيونية، وعبر انتصار القوى القومية الثورية وإسقاط أولئك القادة الذين يستجيبون لمراكز القرار الدولية.

لهذا ينصرف القائد لتنسيق عمل القوى الثورية العربية وحثها على النضال. وقد قال مؤخراً وربما تذكر يومها ما قاله عمر المختار لغراسياني قبل أن يرسله هذا الأخير الى حبل المشنقة ليعدمه: «إما أن ننتصر وإما أن نموت.. لكننا لن نستسلم أبداً..». وقال القذافي «نحن العرب

لا نقبل بوجود (اسرائيل) في العالم العربي، إننا نعرف أن الصهاينة بعد القضاء على الفلسطينيين سوف يقضون على السوريين واللبنانيين والعراقيين والليبيين وعلى العرب في شبه الجزيرة والمغرب. إنه خطر قادم دون شك. لكننا سنواصل النضال حتى تبقى الأمة العربية أو (اسرائيل). إننا سنواصل النضال ضد العدو الصهيوني غصباً عن العرب الجبناء أو الرجعيين الذين سيقضي عليهم هذا العدو إذا لم ينضموا إلينا».

نقطة الإنطلاق لتحرير افريقيا

إن افريقيا هي، بدون شك، القارة الأكثر معاناة من السيطرة الأجنبية التي أخضعت مواطني هذه القارة ـ وخصوصاً الجنس الأسود منهم ـ لظلمها واضطهادها وحكمت عليهم خلال أجيال عديدة على العيش في ظل أقسى عبودية.

إن زمن العبودية البشعة الرهيبة قد تم تجاوزه تقريباً في هذه القارة باستثناء النظام العنصري في جنوب افريقيا التي هي حليفة سياسية وعسكرية للكيان الصهيوني الذي يستمر في نفوذه بفضل دعم وتأييد مراكز القرار الدولية.

لكن، وكما وضحنا في الفصول السابقة، فإن العبودية قد استبدلت بسوط آخر يهيمن على القارة حالياً ألا وهو الاستعمار الحديث. هذا هو العدو الرئيسي الذي يجب أن تتصدى له القوات الثورية في الدول التي تخضع لهذا الاستعمار من أجل تحقيق التحرر الكامل للقارة الأفريقية.

إن ثورة الفاتح تضع بين أهدافها الأساسية هدف تحقيق الحرية الحقيقية للقارة، التي يجب أن تبدأ بمكافحة تبعية العدد الكبير من دولها لأسيادها القدماء الذين يعتبرهم بعض البلهاء والمستعمَرين فكرياً بأنهم أجدادهم.

عندما انسحبت قوات الاستعمار نهائياً نحو عواصم الدول الاستعمارية تركت وراءها مقاعد شاغرة في جزء كبير من الحكومات للعملاء الذين تثق بهم والذين يقومون ضمن إطار ما تفرضه عليهم الامبريالية بالحكم نيابة عن «دوائر النفوذ» التي تقسم القارة والتي تسيطر فيها بصورة أساسية فرنسا وبريطانيا بالإضافة طبعاً إلى أمريكا والكيان الصهيوني والاتحاد السوفياتي.

لقد تطرقت في الفصول السابقة للحديث عن تجربتي كمشارك مراقب في المؤتمر التاسع عشر لرؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية الذي عقد في طرابلس في أواخر عام 1982م. وأعود هنا لأؤكد على أن القادة الذين لم يحضروا المؤتمر وعملوا على أن لا يصل القذافي إلى رئاسة هذه المنظمة لمدة سنة واحدة، لم يفعلوا ذلك وفقاً لإرادتهم بل وفقاً لأوامر أسيادهم وخاصة «رونالد ريجان» و«فرنسوا ميتران»، دون أن ندخل طبعاً في إطار الرشوات

المادية التي تلقاها كل من هؤلاء القادة ليخون القوى الثورية الافريقية التي يقودها الثائر العربي الأفريقي معمر القذافي.

إن الصفعة التي تلقاها الرئيس الفرنسي منذ مدة قصيرة خلال محادثاته مع القذافي قد ساعدت في تأجيل عدوان استعماري جديد ومباشر ضد افريقيا.

• إن الأمور ليست مثلما يعتقد الرأي العام العالمي ومثلما تظهرها وسائل الإعلام الملتزمة مع الإمبريالية والتي شوهت الحقائق لتخلق مواجهة ضخمة بين فرنسا والجماهيرية.

إن هذا التشويه في الحقائق هو من تصميم إدارة ريجان التي أرادت بذلك أن تغطي مشاركتها في اتخاذ القرارات مع فرنسا من أجل التدخل عسكرياً في تشاد. هذه القرارات التي تنبع من تقييم خاطىء للنوايا الليبية والتي تستند إلى معلومات مزيفة كان يطلقها كل من البيت الأبيض وقصر الإليزيه.

لابد وأن ريجان قد قال لميتران: «تتدخلوا أنتم أو نتدخل نحن»، وذلك طبعاً بعد إطلاق إشاعات حول قيام ليبيا بغزو مدينة «اندجامينا» عاصمة تشاد. إن هذا البلد هو أحد المراكز العصبية للمواجهة التي تحدث بين القوات الثورية الأفريقية التي تنتهج فكر القذافي وبين مصالح الدول الغربية الضخمة.

لقد شرح القذافي بنفسه في شهر الكانون (ديسمبر) من عام 1984م الوضع المختلف بين فرنسا والجماهيرية والناتج عن المخططات الأمريكية، وأعلن عن استنكاره للفخ المزدوج الذي سقط فيه ميتران «الأول عندما قامت أمريكا باقناعه بأن ليبيا تنوي غزو «اندجامينا» وبأنه إذا لم تتدخل فرنسا فسوف تقوم هي بالتداخل.. وهكذا أرسلت فرنسا قواتها الى تشاد».

وأضاف القائد قائلاً: «في تلك الأثناء اتضح أنه ليس هناك أي هجوم مدبر، لأننا لو كنا ننوي اجتياح مدينة «اندجامينا» لكنا فعلنا ذلك حتى ولو كانت القوات الفرنسية متواجدة هناك. بدون شك إننا لم نقم بذلك العمل لأننا لم نكن ننوي القيام به. إن ذلك لم يكن سوى تلفيق أمريكي».

وقال أيضاً: «لقد حافظت ليبيا على رباطة جأشها إزاء تواجد القوات الفرنسية في تشاد، بالإضافة إلى أنها طلبت من قوات «فراولينا» عدم مهاجمة القوات الفرنسية. وهذا ماحصل بالضبط. ولكي نعبر نحن عن موقفنا، طلبنا من العناصر الليبية التي كانت تقوم بدعم «الفراولينا» أن تنسحب فوراً كي تنسحب أيضاً القوات الفرنسية. وقد تم الانسحاب بنجاح، وصدر البيان الفرنسي ـ الليبي المشترك، كما قامت لجان مراقبة مشتركة بتحمل مسؤولية مراقبة الانسحاب».

وقال أيضاً: «أما الفخ الثاني الذي نُصب للرئيس الفرنسي فهو قيام أمريكا بإعلام فرنسا بأن الانسحاب لم يتم كما كان متفقاً عليه، فأدى ذلك إلى إحراج موقف لجنة المراقبة وجعلها في وضع يثير الاستهزاء والسخرية. إننا نعمل دائماً على إفشال مخططات أمريكا وكشف أعمال إدارة ريجان».

إن القائد القذافي قد شرح في تلك المناسبة للصحفيين الفرنسيين أن جنوب تشاد يخضع لسيطرة فرنسا ولا أحد يعرف أكثر مما يعرفه المسؤولون الفرنسيون في قصر الإليزيه حول الوضع في المنطقة. وأوضح على أن هناك عدداً كبيراً من التشاديين الذين ينتهجون الفكر الجماهيري المطبق حالياً في الجماهيرية التي يعتبرونها سنداً حقيقياً للذين يناضلون من أجل تحرير افريقيا.

على أي حال، إن الوضع الحالي في تشاد يؤكد على أن انسحاب القوات الفرنسية هو الدليل على بداية انهيار السلطة الغربية في المنطقة، وعلى انتصار النضال التحرري الذي يقوده العقيد القذافي الذي لم يطلب أي دعم من أي دولة غير افريقية مثلما فعلت قوات حسين حبري التي طلبت مساعدة فرنسا.

إن وضع الدول الأفريقية ـ باستثناء المنطقة العربية ـ لا يختلف كثيراً عن الوضع في تشاد. فالاستعمار فيها ليس فقط استعماراً ثقافياً وسياسياً بل هو أيضاً استعمار اقتصادي، الأمر الذي يزيد في قوة العملاء الذين يحصلون على جزء من الأرباح التي يحصل عليها أسيادهم من الشركات متعددة الجنسيات المتواجدة في القارة، حيث أن الفريقين لا يكترثان لوضع الشعوب وحقوقها، فيحددان أسعار المنتجات الافريقية في السوق العالمية. وهكذا، بينما تقوم فئة قليلة العدد بجمع الثروات التي تنتج عن المبيعات من القطن والنحاس والماس، يعاني الشعب الافريقي من مجاعة يمكن إزالتها بجزء بسيط من الثروات التي يسلبونها من خيرات أراضيه سنوياً.

إن القذافي هو أول القادة الأفارقة الذين يناضلون من أجل تحقيق الاستقلال النهائي للقارة. ومن الطبيعي أن تقوم الدول الصناعية الغربية الضخمة وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا وفرنسا بإطلاق الصرخات ضد الجماهيرية، حيث أن هذه الدول هي المستفيدة من الأرباح التي تنتج من استغلال باطن القارة وثرواتها، بالإضافة إلى أنها تستخدم اليد العاملة الافريقية بصورة مجانية تقريباً أو مقابل كسرة خبز.

نقطة الانطلاق تبدأ عند هزيمة الاستعمار الحديث:

مثلما يجب أن يبدأ النضال ضد التواجد الامبريالي والاستعمار في فلسطين الذي هو بمثابة شوكة مغروسة في جسد وفي روح الأمة العربية، فإنه يجب تحريض الشعوب على طرد الحكام الذين يخونون المصالح الكبرى لأوطانهم، يجب أن بدأ استئصال السيطرة الأجنبية من القارة الافريقية بطرد معظم الرؤساء والحكام الذين ليسوا سوى دمية بيد الاستعمار.

إن ثورة الفاتح لم تعلن فقط بأنها إسلامية وعربية بل أعلنت أيضاً أنها افريقية وبأنه من واجبها ـ كما فعلت حتى الآن ـ تشجيع القوى التي تكافح التواجد الاستعماري وسوط الاستعمار الحديث في هذه القارة المقهورة.

ليس لأحد الحق بأن يطلب من الثائر القذافي أو أن يرغمه على تجاهل المشكلات الرهيبة التي تعاني منها القارة الافريقية وكأنه هوكائن غريب عن القارة أوكأنه بدون إحساس أو بدون دم حرّ يجري في عروقه. أي حق يملك ريجان ليوجه تحذيراً للقذافي كي لا يتدخل بمشكلة بلد افريقي أو آخر، في الوقت الذي ينتمي فيه هو نفسه للقوات التي سببت جروحاً عميقة لا تزال حتى اليوم تنزف في جسد وروح كل مواطن افريقي وخصوصاً المواطنين السود.

إن قضية تشاد هي المثال الواضح على الكارثة الافريقية، فتشاد هي دولة غارقة منذ سنوات عديدة في حرب أهلية، وفي مأساة رهيبة ورثتها عن الاستعمار وعن المشاكل العامة التي خلقتها القوة الفرنسية.

عندما كان الوضع غير مستقر، وعندما كان الشعب التشادي يسبح في بحر من الدماء ويعاني من الجوع، قامت ليبيا بتلبية نداء القوى الوطنية للتدخل العاجل في تشاد وذلك من أجل ترميم النظام وتقديم المساعدات الضرورية له كالأدوية والملابس والمواد الغذائية. وبعد مدة قصيرة توقف القتال وبدأت مرحلة استقرار جعلت من الممكن القيام بالخطوات الأولى نحو إعادة بناء تشاد. لكن، كما قال القذافي منذ مدة، وبحضوري أنا شخصياً «إن جو السلام الذي حققته ليبيا لم يستمر طويلاً حيث أن المستعمرين وعملاءهم في افريقيا يضعون مخططات لشلّ أي عمل حضاري في المنطقة، كما هو الحال في أمريكا اللاتينية وفي بعض المناطق الأخرى في هذا العالم».

إن خروج القوات الليبية من تشاد ـ ونتحدث هنا عن المرحلة التي تمكن خلالها «وداي» من تدعيم موقفه ـ بناء على طلب السلطات كانت هي نفسها قد قامت بتقديم المساعدة وبتدعيم الموقف والتي سقطت وبحماقة في الفخّ الذي نصبته لها فرنسا، قد أدى إلى حمل هذا البلد مجدداً إلى الإنهيار الذي لم يستطع التخلص منه، و إلى الأحداث التي ذكرناها سابقاً والتي أدت إلى التدخل العسكري الفرنسي.

لقد أكد القذافي منذ مدة قصيرة على أن مشكلات العرب يجب أن يحلها العرب. ولنشرح ذلك مطولاً، أعتقد أن مشكلات الأفارقة يجب أن يحلها الأفارقة دون أي نوع من التدخل الأجنبي وخصوصاً من قبل تكتلات الدول المنحازة للرأسمالية أو للشيوعية الدولية.

ربما يكون هذا شيء وهمي، لأنه إذا أردنا على سبيل المثال أن لا تقوم أمريكا، في أيامنا هذه، أو الاتحاد السوفياتي بحشر أنفها في افريقيا مثلما تفعل الآن لتوسع «دائرة نفوذها»، فإننا نكون في وضع وهمي أكثر مما هو واقعي.

لذا يجب على الدول الافريقية أن تتخذ «موقفاً ثالثاً» يعبر عن اتجاهاتها الاستقلالية ويعمل على تدعيمها، مثلما فعلت ثورة الفاتح في الجماهيرية.

إنني أود أن أوضح هذا الأمر جيداً كي يتأكد القارىء من أنه لا يمكن، بأي شكل من الأشكال، طرح فكرة نشر النضالات التحررية ضمن استراتيجية التدخل السوفياتي في القارة والسيطرة عليها، الأمر الذي تكون نتائجه مشؤومة بقدر ما هو مشؤوم الشرّ الذي ينبغي أن يعالج.

على أي حال، ان ما يسمى «التضامن السوفياتي» قد اصطدم بجدار الواقع عندما لم يناسبه أن يغامر برجل واحد من رجاله، وكما هو الحال أيضاً في عدم ايجابيته بالنسبة للمجزرة التي قام بتنفيذها الصهاينة والأمريكيين وعملائهم في لبنان، كما وأيضاً بالنسبة لما حصل في منطقة جنوب الأطلسي بين الأرجنتين وبريطانيا حيث لم يتدخل الاتحاد السوفياتي حتى باستخدام حق النقض، على الأقل، في هيئة الأمم المتحدة لتجنب قيام بريطانيا الامبريالية بإرسال «قواتها» لاسترجاع الجزر والمناطق المحاذية لها والتي هي ملك شرعي للشعب الأرجنتيني.

إن افريقيا تعاني الآن من صفعات ورد صفعات من قبل أولئك الذين ليسوا، في النهاية، سوى خدم لحكومة أو لأخرى أو لأي شركة متعددة الجنسيات في العالم الغربي.

إن القوات الثورية لا تستطيع تحقيق التماسك والقوة الضرورية لاستلام السلطة السياسية وطرد الشركات الأجنبية متعددة الجنسيات والقضاء على النفوذ والتواجد الأجنبي واستئصال الاستعمار الحديث.

إن هذه القارة العظيمة التي تشق طريقها نحو الانعتاق النهائي، الى أن تقف شعوبها كلها إلى جانب الانطلاقة الثورية التي بإمكانها خلع الحكام الفاسدين والتي هي نقطة انطلاق لوضع حد للعبودية وللمآسي وللتبعية.. إن هذه الإنطلاقة هي التي يعلن عنها العقيد معمر القذافي باستمرار.

□ نقطة الإنطلاق لتحرير أمريكا اللاتينية □

إن السيطرة الإمبريالية على أمريكا اللاتينية، و إن لم تترك أثراً عميقاً كما حصل في افريقيا، قد تميزت أيضاً بسحق حقوق دولها وبممارسة سيادتها بشكل مطلق على شعوبها التي أخضعتها لسلطة المال الدولية التي هي بيد الدول الرأسمالية والاقتصاد اليهودي العالمي.

وليست أمريكا وحدها الدولة التي تخضع شعوب أمريكا اللاتينية لها، رغم أن البعض يعتقد ذلك، كما أن حلفاءها الذين يؤيدونها في هذا العمل الاستعماري ليسوا فقط بريطانيا والكيان الصهيوني بل أيضاً الدول الغربية الصناعية كلها التي لها، بشكل أو بآخر، مصالح في المنطقة والتي لا تتردد أبداً بالاتحاد مع واشنطن أمام أي تهديد ضد مراكز السلطة العالمية، وهذا ما حصل مؤخراً خلال الحرب التي وقعت بين الأرجنتين وبريطانيا في منطقة جنوب الأطلسي.

كما أن اسبانيا التي هي بمثابة الوطن الأم للأرجنتين، وايطاليا التي قدم أبناؤها خلال القرن الماضي إلى الأرجنتين في مجموعات ضخمة تحتل اليوم المرتبة الثانية بين الجاليات الأجنبية من ناحية العدد والأهمية، لم تمتنعا عن دعم الامبريالية البريطانية.

لقد نسيت اسبانيا أنها عانت من ظلم يشابه ما عاناه الأرجنتينيون، وهو ما يتعلق بمسألة جبل طارق، كما نسيت أيضاً أن الأرجنتين قد خرقت الحصار الدولي الذي فرض عليها منذ زمن لا يتجاوز عدة عقود لترسل لها المواد الغذائية التي كانت تحتاجها، بالإضافة إلى أنها وقفت إلى جانبها خلال المجاعة التي كانت تعاني منها.

إن ما يحصل اليوم هو أن اسبانيا وايطاليا تلتزمان مع استراتيجية السيطرة الرأسمالية على أمريكا اللاتينية ومع الامتداد السياسي والعسكري لمنظمة حلف شمال الأطلسي في منطقة جنوب الأطلسي ومع الاستخدام المناسب للسوق الأوروبية المشتركة لمحاصرة و إخضاع دول المنطقة اقتصاديا بأساليب استغلالية تقنية تشابه الأساليب التي استخدمت في قارات أخرى.

إن كل دولة من الدول العميلة للولايات المتحدة الأمريكية، التي تنتهج النظام الرأسمالي والديمقراطي الليبرالي وترتدي قناعاً آخر يختلف عنه تماماً مثلما يحصل في حكومات كحكومة

«ميتران» في فرنسا، وحكومة «غونسالس» في اسبانيا، اللتين لم ولن تتخليا بملء إرادتهما عن نفوذهما وسيطرتهما على أمريكا اللاتينية في المجالين الاقتصادي والسياسي.

إن ما يحصل، هو أنه بالنسبة للغزاة الطامعين ولبعض الحكام الملتزمين مع استراتيجيات مناسبة للمحافظة على استعمارها لدول أمريكا اللاتينية بأسلوب الاستعمار الحديث، لابد أن يتم طردهم بالأسلوب المناسب و إذا دعت الحاجة بالثورة المسلحة.

لهذا، فإنه من الضروري أن تتحد دول أمريكا اللاتينية، في أقرب وقت ممكن، حول أفكار واضحة وأهداف مشتركة، و إلا فسنظل حتى عام 2000م نخضع لسيطرة الاستعمار، مثلما قال الجنرال بيرون مرة: عقب الحرب العالمية الثانية تزعمت أمريكا العالم الأنجلوساكسوني، لكن بريطانيا لم تحصر سلطتها في الأرجنتين فقط، حيث أن سلطتها كانت تقوى تدريجياً منذ بداية القرن الماضي والفضل في ذلك يعود إلى تعاون العملاء الارجنتيين معها.

إنه من المستحيل إجراء دراسة شاملة لهذا الموضوع في هذا الكتاب رغم أنه مهم جداً الشرح الدقيق والمفصّل لنفوذ الامبريالية البريطانية في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والإجتماعية للأرجنتين، بالإضافة إلى كافة البرجوازيين الأرجنتينيين الذين يستخدمونهم والذين يدعمون مخططتهم لاحتلال أراضي جنوب الأرجنتين الغنية بالثروات الطبيعية بشكل نهائي، ولاحتلال هذه المنطقة التي سيطر عليها الاستعمار واستثمرها بمساعدة قوانين خاصة كانت تصدرها الامبريالية لتدعم «التاج» البريطاني.

الاستعمار الحديث يتغلغل في أمريكا اللاتينية:

إنه من غير الممكن أبداً غضّ النظر عن الوضع الذي تعيشه أمريكا اللاتينية دون الإعلان عن أن مرض الاستعمار الحديث قد توصل إلى اتخاذ شكلٍ تغلغل حقيقي في المنطقة، تصعب جداً مقاومته و إزالته. إن مراكز القرار العالمية تعرف جيداً القيمة الاستراتيجية للمواد الأولية والمواد الغذائية التي تنتجها أمريكا اللاتينية والتي تعتبر في الأرجنتين طاقة اقتصادية ضخمة.

ولهذا السبب قامت الامبريالية بفرض سيطرتها بصورة الاستعمار الحديث الذي لا يظهر بوضوح كالاحتلال العسكري المباشر لبلد أو لمنطقة في أمريكا اللاتينية من قبل قواتها.

ونتساءل هنا لماذا تقوم أمريكا وبريطانيا بصرف أموال طائلة على هذه المنطقة لولا وجود عملاء لها في أمريكا اللاتينية يحكمون لمصلحتها، والدليل على ذلك ما تخصصه بريطانيا من أموال وما خصصته لعملية احتلال جزر «مالفيناس».

إن أية دولة من دول أمريكا اللاتينية تتحرر من قيود الاستعمار تواجه دائماً معارضة أجهزة الاستعمار الحديث التي تقوم بحملة عدوانية ضدها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بالإضافة إلى القيام باستبدال عملائها وبمواصلة عملية النهب والاستغلال.

إن هدف الامبريالية هو حصر دول أمريكا اللاتينية في اقتصاد يرتكز على الزراعة والمواشي دون السماح لها بتطوير صناعتها، كما هي الحال بالنسبة للأرجنتين التي يعتبر جهازها الصناعي منهاراً ومدمراً باستمرار، كما حصل خلال مسيرة اعادة التنظيم الوطني تحت قيادة أكثر عملائها فساداً وهو «خوسيه الفريدو مارتينز دي هوس» الذي حوّل القادة العسكريين، بدون استثناء، إلى شركاء له في مخططاته الدنيئة.

إن الحرب ضد الاستعمار الحديث يجب أن توجه بالدرجة الأولى لعملية إزالة العملاء الذين يحكمون أمريكا اللاتينية باسم مراكز السلطة العالمية. إن التجربة الإجتماعية الديمقراطية ليست سوى شكل جديد للاستعمار الحديث الذي يحاول بعد فشله في أوروبا فرض نفسه على منطقتنا بمساعدة وسائل الإعلام وعن طريق حملات محكمة التخطيط والتمويل تحرك جماهير المنتخبين بإحكام ودقة.

إن الإجتماعية الديمقراطية ليست سوى أداة جديدة للسيطرة على الشعوب و إخضاعها لنفوذ الامبريالية وأسيادها، وربما لتغيير شيء من سمعتها، قد رأت أنه من المناسب التنازل عن بعض الأسس الثقافية للماركسية، لكن بالنسبة للأسس الاقتصادية يدافعون عن المصالح الرأسمالية، والدليل على ذلك ما فعلته الأرجنتين خلال فترة حكم «الفونسين».

إن هذه المبادىء ترتكز على الديمقراطية الليبرالية وعلى الماركسية، اللتين تعتبران جزءاً من مسيرة دولية توافقية واحدة فشلت تاريخياً وتنتمي للعهود الماضية. إن هذه التجربة عندما تبدأ بإفقاد الشعوب صبرها، وذلك بسبب الخداع المتواصل من قبل السياسيين المخادعين وبسبب عدم وجود بديل للحكومات العسكرية التي تخدم الامبريالية، سوف تقوم مراكز القرار العالمية بخلق أسلوب جديد لمواصلة الظلم والاضطهاد وسلب خيرات الشعوب.

إن هذه المراكز تتمتع بدعم قوات تدعي بأنها ثورية بينما هي في الواقع قوات تلعب على الرأسمالية والرجعية وهي حليفة للشيوعية ولن تسمح أبداً بظهور أنظمة تنتهج «نظرية ثالثة» أو «موقفاً ثالثاً».

إن الوضع الذي تعاني منه أمريكا اللاتينية لا يختلف بشيء عن الوضع الذي تعاني منه مناطق أخرى في هذا العالم، فالدول الصناعية تشتري المواد الأولية بأسعار زهيدة وتبيع منتجاتها المصنعة بأضعاف أضعاف هذه الأسعار مؤدية بذلك إلى رفع مستوى دخل مواطنيها في الوقت الذي تعاني فيه شعوب أمريكا اللاتينية من الفقر والجوع.

استراتيجية التغلغل الإمبريالي:

إن مراكز القرار الإمبريالية الغربية مع حليفها الرئيسي الكيان الصهيوني، قد أنشأوا بالتآمر مع مراكز التمويل الدولية شبكة ضخمة من العملاء الذين يعملون لمصلحتهم في كافة المرافق الحكومية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى الرياضية لدول

أمريكا اللاتينية، وذلك بالرشوة أو بالتفريق والاعتقال والقتل، حسب الظروف، لمن يعارضون مخططاتهم.

وتلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في استراتيجية التغلغل الثقافي والحرب النفسية بهدف تدمير العقول والسيطرة عليها، وهذا بالطبع هو عمل أهم بكثير وأقل كلفة وصعوبة من الاحتلال العسكري.

إن عدداً كبيراً من حكومات دول أمريكا اللاتينية قد سلم نفسه علناً أو سراً للمصالح الامبريالية، وذلك ليس لأن سياسة هذه الحكومات خاطئة أو لأن الروابط الاقتصادية بينها وبين الدول الغربية يمكن أن تبررها المصالح الوطنية، أو لأن خارج الحدود الجغرافية هناك عامل معنوي وحدوي، بل لأن قادتها قد باعوا أنفسهم علناً أو تحالفوا، وفق الظروف، مع المراكز الامبريالية التي تسيطر على بلدهم أو على منطقتهم.

وفي هذه «الأوبرا الموسيقية» للسياسة الداخلية والدولية، لا يتم فقط فرض اللحن على هؤلاء القادة بل أيضاً يتم فرض المجموعة الغنائية (الكورس) ومدير التوزيع الموسيقي (مايسترو) الذي يكون دائماً أهم من المسؤول نفسه.

إن عوامل السلطة في أمريكا اللاتينية تمر عبر أماكن لا تمت بأي صلة للقصور الحكومية ألا وهي مقرات الشركات متعددة الجنسيات والسفارات والمنظمات الدولية التي يوجد لها بعثات في كل دولة من هذه الدول، بالإضافة إلى بعض الجاليات القوية ـ كالجالية اليهودية في الأرجنتين مثلاً ـ كما وطبعاً عبر أهم مراكز الأقلية الحاكمة التي تسيطر بدورها على قيادات القوات المسلحة.

إن كل أولئك الحكام الذين حاولوا العمل ضد الامبريالية، لم يتمكنوا أبداً من إنهاء فترة حكمهم حيث تكون نهايتهم دائماً بالإسقاط أو بالاعتقال أو بالاغتيال، وذلك وفق الأعذار التي تراها مراكز القرار العالمية مناسبة. وهكذا تتهم واحداً بأنه شيوعي وآخر بأنه فاشي وثالث بأنه مجنون.

لقد تم التغلغل بين صفوف القوات المسلحة مع مرّ الزمن، وباستثناء بعضها فإن مناهج الدراسة المخصصة لتشكيل إطاراتها تتطابق مع استراتيجية التغلغل الثقافي.

فالترقيات تتم عبر «مصفاة» وليس حسب الكفاءات، ومراكز القوات المسلحة تنشأ وفق احتياجات السياسية الداخلية وليس وفق ما يتطلبه الأمن الحدودي والدفاع الوطني.

إن الملحقين العسكريين للدول الضخمة في دول أمريكا اللاتينية والملحقين العسكريين لدول أمريكا اللاتينية في الخارج، يشكلون جواً مناسباً «للإقناع السياسي» ولاختيار أولئك الذين يتسلمون في وقت قصير قيادة الوحدات الأرضية الرئيسية والوحدات البحرية والجوية وبعد ذلك يتسلمون مراكز القيادات العامة للقوات المسلحة أو الوزارات العسكرية في بلادهم.

إن المخططات الاقتصادية للامبريالية الرأسمالية في الأرجنتين قد كانت تُرسم خلال السنوات الأخيرة وفق مصالح «اللجنة الثلاثية» التي كانت تتمثل بشخص «مارتينز دي هوس». كما أن القادة العسكريين ـ كما قلت سابقاً ـ كانوا يعملون وفق المخططات المرسومة ويقومون أيضاً بتحضير أولئك الذين سيخلفونهم في قيادة القوات المسلحة.

وهكذا حصل نوع من الترابط الملحوظ بين القيادة الحكومية والقيادة العسكرية، الأمر الذي أدى إلى تحقيق استراتيجية من الدرجة الأولى وأساليب مناسبة لخدمة أسيادهم بصورة أفضل وفق التركيبة التي كانت تقام لتحقيق التبعية والاستعمار الحديث.

إن الكثير مما عرض سابقاً ينبثق عن التجربة الأرجنتينية، لكن يمكن التأكيد على أن هذه الحالة، رغم بعض الاختلافات الصغيرة أو الكبيرة، تنطبق تماماً مع المقياس المشترك للمأساة الأمريكية اللاتينية.

إن الطوق قد شمل أيضاً الفئات العمالية والقوى الشعبية حيث وضعت الامبريالية عدداً كبيراً من العملاء لها. إن كل شيء تقريباً في أمريكا اللاتينية يشبه مسرح عرائس ضخم ليست الشعوب فيه سوى دمى تحرك خيوطها الدول الضخمة كيفما تشاء.

الوحدوية، نقطة الانطلاق للنصر النهائي لاستقلال أمريكا اللاتينية:

إن الوحدة بين دول أمريكا اللاتينية قد تكون نقطة الانطلاق نحو ترسيخ استقلالنا المستقبلي ـ بالضبط كما يفعل القذافي بالنسبة للأمة العربية ـ وتدعيم حريتنا الفردية والقومية وحماية دول أمريكا اللاتينية من أي محاولة عدوانية جديدة ضدها وللسيطرة عليها.

لكننا نتساءل، هل حصلت في الماضي أي محاولة وحدوية كما حصل بين دول عربية وافريقية؟

إن الجواب هو نعم... فمنذ انبثاق الاستقلال في أمريكا الاسبانية كانت فكرة تحقيق مجتمع متكامل بين هذه الدول تراود أذهان عدد كبير من السياسيين. لكن وللأسف ـ وهذا يعترف به بيرون في كتاباته ـ انطلقت المعارضة في ذلك الوقت من بوينس ايرس ورفضت رفضاً قاطعاً المخطط الوحدوي مع تشيلي والبيرو، الذي كان قد صممه «سيمون بوليفار».. وكان ذلك الرفض نتاجاً للضغط الشديد الذي مارسته بريطانيا آنذاك.

وحصل الأمر نفسه بالنسبة للمؤتمرات الوحدوية التي عقدت في المكسيك ولاتفاق الوحدة الذي وقعته كولومبيا والبيرو، والذي كان مفتوحاً أمام كل دول القارة ذات الأصل الاسباني، حيث كان ينصّ على أن كل دول أمريكا الاسبانية القديمة، متحدة وقوية وعظيمة، تدعم وتؤيد قضية الاستقلال.

وقد قام بيرون نفسه بمحاولة وحدوية مع تشيلي والبرازيل، أيام «إيبانييز ديل كامبو»

و«خيتوليو فارغاس». وكان هؤلاء القادة قد اتفقوا على أن يتم توقيع اتفاق يساعد على تحقيق الوحدة النهائية.

ونذكر هنا ما قاله بيرون بهذا الصدد:

«إن الامبراطوريات الضخمة والدول الضخمة قد حققت منذ بداية التاريخ انتصارات عظيمة وذلك على أساس وحدة اقتصادية. وأنا أقول حالياً بأننا إذا كنا نحلم بعظمة بلدنا ـ ومن واجبنا أن نحلم ـ علينا أن نعرف بأن الاقتصاد سوف يصبح أساس كل النضالات المستقبلية.

إن الجمهورية الأرجنتينية وحدها، تفتقد للوحدة الاقتصادية، لكنها مع تشيلي والبرازيل تستطيع أن تشكل أفضل وحدة اقتصادية في العالم، لأن هذه الدول تعتبر احتياطاً للعالم كله في المستقبل».

ونتساءل هنا، ما الذي حصل لهذا المشروع؟

إن «بيرون» و«إيبانييز» ـ عندما وصل هذا الأخير إلى الحكم في تشيلي وقعا اتفاق الوحدة بموافقة «فارغاس»، لكن ـ حسب قول بيرون ـ أعلنت وزارة الخارجية البرازيلية عن معارضتها للرئيس البرازيلي نفسه واستنكرت المحاولة الوحدوية مؤكدة على أنها تتعارض مع الاتفاقيات على مستوى المنطقة، وبأنها كانت ستؤدي إلى تدمير وحدة القارة الأمريكية.

وقد قال «فارغاس» لبيرون الذي كان رئيساً للأرجنتين آنذاك، أن الوضع الداخلي للبرازيل كان صعب جداً، وأنه كان يفتقد للقوة في المجال السياسي وبأن بلده كان يعاني من مشكلة الجفاف في المناطق الشمالية ومن الجليد في المناطق الجنوبية، وبأن السياسيين كانوا يتمردون على السلطة الدستورية، وبأن الشيوعية كانت قد أصبحت تشكل خطراً كبيراً، وبأنه لا يتمكن من عمل أي شيء بالنسبة للاتفاق، وبأنه أيضاً اذا كان وزير الخارجية «ايتامارتي» لا يوافق على الاتفاق فهو لا يملك القدرة اللازمة للسيطرة.

وكانت نتيجة الفشل الدائم الذي مني به «خيتوليو فارغاس» أنه انتحر بعد مدة برصاصة أطلقها على رأسه.

وهكذا لم يتحقق مشروع بيرون الوحدوي. لقد كان هدف هذا المحور الثلاثي تحقيق وحدة أمريكا اللاتينية التي تعتبر أهم من الوحدة الاسبانية الأمريكية، وكانت ستشمل دولاً صغيرة ومتوسطة وكبيرة تنبع من أصل واحد ولها ثقافة واحدة ولغة واحدة.

صحيح أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل لكنه من الممكن إعادة الكرّة.

إن التضامن السياسي والتكامل الاقتصادي والتعاون في مجال العدالة الإجتماعية، هي الأهداف الأولى التي يجب أن تتحقق ليتم فيما بعد البدء بمسيرة شاقة وطويلة لتحقيق الوحدة الكاملة لأمريكا اللاتينية وخصوصاً قواها الثورية كي يتم التخلص، و إلى الأبد، من الاستعمار الحديث ومن الاضطهاد الامبريالي مهما كانت شعاراته.

ولا يجب أن تترك جانباً قوة السلاح ـ إذا لزم الأمر طبعاً ـ حيث أنها هي اللغة الوحيدة التي يفهمها الغزاة الطامعون عادة.

إن الطريق الذي رسمه المفكر الثائر معمر القذافي لتحقيق الانعتاق النهائي للشعوب الخاضعة لسيطرة الدول الكبرى والمصالح الامبريالية، قد انتشر نوره ليضيء طريق أمريكا اللاتينية نحو حريتها ووحدتها.

إن هذا «الضوء الأخضر» هو بديل يمكنه أن يكون نقطة انطلاق لتوحيد القوى الثورية في كافة القارات، التي تعرف كيف تتخلص في الوقت المناسب من أي تحالف بينها وبين مراكز الامبريالية للسلطة العالمية، مثلما فعل منذ حوالي ست عشرة سنة أحد أعظم المناضلين الوطنيين على مرّ العصور، وهو قائد ثورة الفاتح العقيد معمر القذافي الذي وقف على أطلال عالم مستهلك من قبل المادية، ليصرخ لمن يريد سماعه تلك الجملة القديمة العهد التي رددها «أسد الصحراء» وهي: «إما أن ننتصر و إما أن نموت.. لكننا لن نستسلم أبداً..».

5

مرة أخرى القذافي

تجــــــربــــــة رائـعــــــة

لوكان أرسطوطاليس حياً حتى يومنا هذا لكانت جملته الشهيرة وهي: «من ليبيا دائماً يأتي الجديد»، قد شملت بعض أصدقاء هذا البلد العربي الذي أعتبر نفسي من بينهم.

ان ما يحصل معي الآن هو أنني لا أجد الكلمات المناسبة لإنهاء هذا الكتاب الذي تعتبر الصفحات السابقة نهايته والذي يؤكد على تضامني مع النظرية العالمية الثالثة التي تلتقي في أمور كثيرة مع فكر الجنرال «خوان دومينغو بيرون» وحركة العدالة التي أنا أحد أعضائها.

كنت أفكر بهذا الأمر وبالاستنتاجات من هذا الكتاب عندما وردت الى ذهني فكرة تحولت وكأنها عمل سحري إلى احتمال هو في غاية الأهمية ألا وهي القيام بزيارة جديدة للقذافي وطرح بعض الأسئلة عليه وتبادل الآراء معه حول كتابي الجديد، بالإضافة إلى نقل بعض كلمات التشجيع له في هذه اللحظات الحرجة التي تمر بها الجماهيرية الآن وهي معرضة في أي لحظة لهجوم من قبل القوات الأجنبية بقيادة أمريكا.

إنه من المعروف لدى الجميع أن ريجان كان على وشك إصدار أمر بالهجوم على ليبيا مستخدماً بذلك حجة اختطاف الطائرة التابعة لشركة الخطوط الجوية [ر في بيروت من قبل عناصر تابعة لحركة «أمل» التي ليس للجماهيرية علاقات جيدة بها، وخاصة بعد أن قامت مجموعة تابعة لها بالإعتداء على مخيمات الفلسطينيين.

بعد أيام قليلة، كنت قد أصبحت على متن طائرة متوجهاً إلى طرابلس وآملاً أن أتمكن من مقابلة العقيد القذافي مرة أخرى، وكان القائد يقوم في تلك الأثناء بجولة في بعض المناطق الليبية يلقي خلالها المحاضرات ويطلع على سير الأعمال في بعض المشاريع.

وما أن صعدت إلى الطائرة الجاثمة على أرض مطار باريس للانتقال على متنها إلى طرابلس، حتى سمعت صوتاً ناعماً لإحدى المضيفات تطلب منا أن ننزل من الطائرة نظراً لوجود زيادة في الأمتعة المشحونة.. هذا كان يعني بتفسير أفضل أننا كنا معرضين لأن نتطاير في الجو في أي لحظة.. وبعد تدقيق طويل بصبر شبه شرقي، أقلعت الطائرة باتجاه العاصمة الليبية.

في اليوم التالي وبينما كنت أرشف فنجان الشاي الليبي الممتاز في مكتب الأستاذ محمد عقيل، أبلغني بصفته مسؤولاً في المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

أن العقيد القذافي سوف يستقبلني خلال الأيام المقبلة «في مكان ما من الجماهيرية».

وبعد أن عدت إلى الفندق الذي كنت أقيم فيه، كنت قلقاً بعض الشيء، وهذا أمر بديهي لابد أن يحصل لأي شخص يكون على وشك أن يقابل شخصية كالقائد الذي يتمتع بقدرة غريبة على العمل وهو في تحرك دائم يراقب شخصياً سير الأعمال في المشاريع الضخمة التي تقوم بتنفيذها ثورة الفاتح ومن بينها مشروع النهر الصناعي.

جهزت نفسي للذهاب برفقة الأستاذ عقيل الذي رغم مسؤولياته الكثيرة قام شخصياً بنقلي إلى المكان الذي كان مقرراً لإجراء المقابلة.

وبينما كنت أنتظر في مكان جميل محاطاً بالماء وبشجر النخيل في منطقة بعيدة عن طرابلس، كنت أرتجف وأنا أتذكر رحلتي السابقة التي أضطررت خلالها لقطع حوالي ألفين كلم. خلال أسبوع من مكان إلى آخر حتى تمكنت من مقابلته.

إن من يعتقد بأن مقابلة القذافي هي كمقابلة أي شخصية سياسية دولية، رئيساً كان أو ملكاً أو زعيماً سياسياً، يخطىء في اعتقاده، حيث أن القائد يختلف عن كل الشخصيات الأخرى لأنه لا يتقيد بأي نوع من «البروتوكولات» أو الأمور التقليدية.

وكانت مفاجأتي هذه المرة عظيمة ـ ربما بسبب وجود الأستاذ محمد عقيل ـ حيث أنني بعد ساعات قليلة كنت قد أصبحت في منتصف الطريق التي تؤدي الى المكان الذي نصبت فيه خيمة القذافي. وبينما كنت أقترب من الخيمة في ذلك المكان الصخري حيث الشمس المحرقة، كنت أفكر بتواضع هذا الرجل الذي أصبح مجرد ذكر اسمه يرعب العالم، وذلك بسبب ما تكتبه وتعلنه وسائل الإعلام التي يحركها العدو الصهيوني ـ الامبريالي.

وكان القذافي بابتسامته المعهودة ينتظرني عند مدخل الخيمة و إلى جانبه شاب عسكري ومجموعة من الأشخاص الذين يرافقونه دائماً. كان يرتدي كسوة عمل خضراء دون أوسمة.

إن الخيمة التي تشبه خيمته في مقره بباب العزيزية، مزينة ببساطة بسجاد جميل يعطيها شكلاً مميزاً.

وخلال المقابلة كان يقوم بأعمال الترجمة الدكتور «عبد السلام الجيلاني» الذي درس الطب في مدريد والذي تم استدعاؤه للقيام بهذه المهمة حيث كان من المستحيل إيجاد شخص يجيد اللغة الاسبانية. إن هذا الطبيب وهو أخصائي بأمراض العيون (وهذه الأمراض كثيرة في ليبيا نظراً لعدم وجود أطباء متخصصين في هذا المجال في فترة ما قبل الثورة)، وتجدر الإشارة الى دهشة هذا الطبيب التي فاقت دهشتي باللقاء مع القائد حيث أنه لم يكن حتى تلك اللحظة يعرفه مواجهة وبشكل مباشر.

وقبل البدء بالحديث مع القائد حول بعض النقاط التي كنت أريد أن أوضحها له والتي تتعلق بهذا الكتاب، اغتنمت الفرصة لأسلمه بعض النسخ من كتابي السابق (القذافي وعملية

القدس) الذي صدر باللغات الانكليزية والفرنسية والعربية والذي كنت قد سلمته نسخة منه باللغة الاسبانية في شهر الكانون (ديسمبر) من عام 1982م.

أشكرك كثيراً ـ قال لي ـ إنه عمل ثوري يفيد الثورة.. حقاً إنه عمل ثوري.

وكان أول موضوع تحدثت فيه مع القائد هو تقبل الملايين من البيرونيين الأرجنتينيين للنظرية العالمية الثالثة التي تلتقي في أمور كثيرة مع الموقف الثالث لحركة العدالة التي أسسها بيرون. وأكدت له أيضاً على أنه من الممكن أن يتقبل الشعب الأرجنتيني، رغم اختلاف طبعه، مبادىء الجماهيرية في محاولة لتوحيد الإحساس المشترك بين ثورة العدالة وثورة الفاتح.

وأعربت له أيضاً عن رغبتي باستشارته في بعض المواضيع التي كنت أراها مهمة ومناسبة لضمها إلى الجزء الأخير من هذا الكتاب.

وكان سؤالي الأول يهدف الى معرفة مدى ارتياح العقيد القذافي للانجازات التي حققتها ثورة الفاتح وخاصة بعد ظهور الكتاب الأخضر، والى معرفة تقديره الشخصي لكيفية تطبيق النظرية ونظرته المستقبلية لفكره والى معرفة ما اذا كان يريد توسيع كتابه المعروف أم لا.

فأجابني القائد قائلاً أن هناك سلسلة من الشروح للكتاب الأخضر هي مهمة جداً حيث أنها تزيد من توضيح النظرية. وأكد القائد على أنه لا يمكن أبداً قياس النتائج لنظرية عالمية خلال سنوات قليلة كالتي مرت على النظرية العالمية الثالثة، وأن تطبيقها في ليبيا كان يرتكز على بناء عالم جديد ومجتمع جديد هو المجتمع الجماهيري. وقال أيضاً أن هذه هي الأسس التي يجب على العالم أن يدرسها ليحقق هذه النظرية التي هي نواة السلطة الجماهيرية.

بعد ذلك قلت للقائد أن «الكتاب الأخضر» قد لقي نجاحاً لا بأس به في الأرجنتين وخاصة بعد إقامة معرضين للكتاب في بوينس ايرس. وأكدت للقائد على أن الملايين من البيرونيين في الأرجنتين يشاركونه وجهة نظره ونظريته العالمية الثالثة، كما طلبت منه أن يوجه رسالة للشعب الأرجنتيني عامة وللبيرونيين خاصة، وسألته إذا كان لا يعتقد بأنه قد حان الوقت لتحسين العلاقات بين البلدين وخاصة في المجالين الثقافي والسياسي، فأجابني قائلاً: «ان علاقاتنا مع الأرجنتين جيدة. لقد ناضلنا مع الأرجنتين خلال «حرب المالفيناس» ووقفنا الى جانب الشعب الأرجنتيني. إن البيرونيين هم أصدقاء لنا نحبهم كثيراً. إنني كنت احترم كثيراً خوان دومينغو بيرون حيث كنت أضعه في نفس مستوى جمال عبد الناصر. لقد كان موته خسارة كبيرة بالنسبة لنا لأنه لو كان حياً حتى الآن لكنا قمنا معاً بأعمال عظيمة مشتركة.

إنني أرجو منكم أن تعتبروني أخاً لكم ومثل بيرون الذي فقدتموه. عليكم أن تعرفوا جيداً مبادىء النظرية العالمية الثالثة وشروحها لأنكم لا يجب أن تنسوا أبداً أن خوان بيرون لم يكن بعيداً عن هذه النظرية. وقد يكون بيرون فكر بتطبيقها في العالم الثالث فقط، أما أنا فقد وضعتها لتطبق في العالم كله. علينا أن نوحد قوانا.. اعتبروا ليبيا بيتكم وجزءاً منكم. عليكم أن تشكلوا اللجان الثورية وتنقلوا للناس وللرأي العام مبادىء النظام الجماهيري حيث يتم تطبيق

سلطة الشعب عبر المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية. انني مستعد لإرسال أشخاص مؤهلين لشرح أسس نظامنا، كما تستطيعون أنتم البيرونيون القيام بزيارة الجماهيرية للالتقاء معنا والتعرف علينا بصورة أفضل».

لقد كانت دهشتي عظيمة لدى سماعي هذه الكلمات لأنني متأكد من صراحة وصدق العقيد القذافي، فقلت له بأنني اتفق معه تماماً وشكرته على هذه الكلمات ووعدته بأنني سأنقلها حرفياً للشعب الأرجنتيني وللرفاق البيرونيين.

وكانت أول زيارة قمت بها للجماهيرية قد تمت في شهر النوار (فبراير) من عام 1976م بمناسبة إقامة «ندوة الحوار الاسلامي ــ المسيحي». وزرت الجماهيرية بعد ذلك حوالي إحدى عشرة مرة.

وبعد أن أكدت للقائد على أن المؤتمر كان ناجحاً وبأنه يعتبر حدثاً هاماً في التاريخ المعاصر، وسألته عما إذا كان ينوي مواصلة ذلك الحوار و إذا كانت هناك عراقيل تحد منه.

فأجابني قائلاً: «نحن نرغب بإجراء هذا النوع من الحوار بين الأديان، وليس هناك أية عراقيل حتى الآن، و إذا حدثت في المستقبل علينا نحن أن نزيلها. إن ما يجب أن نفعله هو مراجعة الكتب المقدسة من جديد. وفي الواقع ليس هناك أي مواجهة بين هذه الأديان، واذا وُجدت فلأن البعض اختلقها ليسخدمها في مصالحه».

فقلت له: «ان الصهاينة هم الذين يجيدون خلق مثل هذه المشاكل».

هناك مسألة أخرى تقلقني دائماً وهي عدم اهتمام ليبيا للتهجمات المتواصلة ضدها من قبل وسائل الإعلام. لهذا قلت للقائد أن وسائل الإعلام هذه تسيء بتهجماتها لفكر «الكتاب الأخضر» ولشخصه هو، حيث أنها تقدمه للعالم كإرهابي. وقلت له بأنني أعتقد أنه من الضروري الرد عليها بنفس القوة وبنفس الأسلوب وعن طريق وسائل الإعلام التي لا يسيطر عليها العدو. وذكرته أيضاً بما قاله هو نفسه في محاضرة حول الكتاب الأخضر أنه من الضروري تحرير العقول كي يتمكن الإنسان من رؤية الأمور على حقيقتها، وقلت له بأنني أعتقد أن العدو يشن هذا النوع من الحرب لأنه يعرف جيداً بأن السيطرة على العقول هي أهم بكثير من السيطرة على الأراضي. وسألته مباشرة عما «ينوي أن يفعله لتقويم هذا الوضع».

فأجابني قائلاً: «أعتقد أن المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر هو مركز مهم جداً. لقد تمكنا من افتتاح فروع لهذا المركز في كل العالم مثلما فعلنا أيضاً بالمراكز الثقافية الخضراء.. إن الإعلام الأخضر ينتشر في كل العالم. أعتقد أنه بإمكاننا أن نبدأ بثورة ثقافية عالمية، وهكذا نستطيع تغيير العالم دون اللجوء الى الحروب والأسلحة، و إزالة كل استغلال والقضاء على كل الاستغلاليين المتواجدين حالياً في هذا العالم. كما وأيضاً إزالة كل تلفيق للديمقراطية ولسلطة الشعب. إنني أعتقد أن الحل هو تغيير العالم وخلق عالم جديد هو العالم الجماهيري».

وبما أن الأقوال العديدة تشير إلى مشاركة ليبيا في مسألة أمريكا الوسطى ودعمها لنيكاراجوا، سألت القذافي عن وجهة نظره تجاه مستقبل هذه المنطقة التي هي برأيي «منطقة ساخنة تعاني من ضغوط الدولتين العظمتين».

فأجابني بقوله: «إن ليبيا تبشر بعالم جديد هو العالم الجماهيري. إن أمريكا اللاتينية مدعوة للإنضمام إلى عصر الجماهير. إن الثوار في تلك المنطقة عليهم أن يدرسوا هذه النظرية (النظرية العالمية الثالثة) والكتاب الأخضر يجب أن يكون في جيب كل شخص في كل العالم، رجالاً ونساء. انني أعتقد أن مراكز دراسات وأبحاث الكتاب الأخضر وفروعها والمراكز الثقافية الخضراء يجب أن تنتشر في كل أمريكا اللاتينية».

وقلت له فيما بعد إنني في كتابي الجديد هذا أقترح بأن تبدأ القوى الثورية على المستوى العالمي حرباً ضد الاستعماريين القديم والحديث وضد الامبريالية، ترتكز على النظرية العالمية الثالثة ودون السقوط في أحضان أي من التكتلين الضخمين. وسألته: «ما رأيكم حول هذا الموضوع وإن كان موقفكم واضحاً جداً من خلال الأجوبة السابقة»؟

فأجابني قائلاً: «إننا نريد تشكيل جبهة مع الشعوب الصغيرة التي تضغط عليها الامبريالية.. هذه الشعوب التي يصفها ريجان بأنها إرهابية هذه الشعوب الثورية.. شعوب الحرية. إن من يريد الضغط والسيطرة عليها يقوم بذلك لأنه لا يريد بأن يصل الفكر الثوري الى هذه الشعوب. فريجان لا يستطيع القول بأنه يقف ضد هذه الشعوب لأنها ثورية وتقدمية. إن ما يفعله هو تشويه الحقائق، ويكذب عندما يقول بأن هذه الشعوب هي شعوب إرهابية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الشعوب هي في الحقيقة شعوب ثورية تناضل ضد الامبريالية إنها شعوب لا تخاف ولا تجزع من قوة هذه الامبريالية. إننا قد صممنا على السير في هذا الطريق وعلى توسيع هذه الجبهة، من نيكاراجوا الى كوريا الشمالية، وعبر كل الشعوب التي تريد الامبريالية السيطرة عليها. إننا بهذه الجبهة وبهذه القوة لسنا بحاجة لأن نقع في أحضان أحد، ولو أنني أعتقد بأن الاشتراكيين أو التكتل الاشتراكي سوف يدعمنا».

إن أحد الأمور الهامة التي يعالجها هذا الكتاب، هو دون شك موضوع النتائج التي حققتها خطة التحول الخمسية 1981 ـ 1985م. لهذا سألت القائد عن الإنجازات التي تحققت في مجال الإكتفاء الذاتي الذي ناضل القذافي من أجله زمناً طويلاً، وعن القطاعات التي تستفيد أكثر من غيرها نتيجة ذلك، وعن رأيه حول الأضرار التي يسببها الحصار الأمريكي الذي فرض على ليبيا، وذلك في المجال الاقتصادي، نتيجة التآمر الصهيوني ـ الامبريالي الذي يهدف الى تدمير الاقتصاد الليبي وشعب الجماهيرية.

فأجابني قائلاً: «أعتقد أنه يجب أن تعرف أن هناك بعض الصعوبات، فإننا شعب صغير ينتج النفط وكان يخضع للسيطرة الأجنبية التي كانت تريد تدميره وتحطيم قدرته الإنتاجية كي تتمكن هي من استغلال ثرواته النفطية وإرجاع الأرض له بعد أن تكون قد جفت آبار

النفط، وذلك طبعاً لتتمكن من التحكم به دائماً. لقد حصل مثل هذا الأمر مع أكثر الشعوب التي تنتج النفط. و إذا أخفقت الثورات في مهماتنا فسوف تدمر هذه الشعوب بكاملها.. إننا قد بدأنا منذ قيام الثورة بمرحلة إنتاجية جديدة. لقد تعاقدنا مع آلاف الشركات الأجنبية لبناء المستشفيات والمدارس والمصانع والمساكن ولتحسين الزراعة الخ.. لقد تمكنا بذلك من إقامة تركيبة تحتية هي الأساس لكل شيء، لكن بدون الوحدة العربية لن نتمكن من تحقيق كل ما نرغب به. إن بعض الدول العربية الصغيرة لم تبدأ بعد بتعليم أطفالها، ودول أخرى تفتقد لمساكن كافية لأبنائها. في الجزائر، مثلاً، هناك أسر عديدة تنصب الخيام على سطوح البنايات لتقيم فيها. وعندما حاولت الحكومة إزالتها حدثت تظاهرات احتجاجية ضخمة قام بها الشعب. إن المشكلة لم تحل بعد. لهذا السبب قمت أنا بطرح مشروع الوحدة العربية، ان كل دولة عربية منفصلة عن غيرها لا تستطيع العيش».

فقلت له: «إنك قائد ثوري ليس في ليبيا وحسب، بل في كل هذا العالم، كما إنك مفكر وقائد يتحمل مسؤوليات ضخمة كمسلم وكعربي وكافريقي. كيف تستطيعون أن تنسقوا بين كل هذه المسؤوليات والواجبات، خاصة في هذا العالم المعقد الذي نعيش فيه حالياً؟

أجابني قائلاً: «إنني أقود ثورة.. هذا كل شيء.. و إذا انحرفت عن الطريق أتعثر.. إن أعداء الثورة يسببون لنا أحياناً بعض المشاكل كي نبتعد عن طريق الثورة. لكننا نحن سنواصل الطريق والنضال الثوري والعمل ليلاً ونهاراً من أجله».

ولم أرد أن أترك على هامش هذه المقابلة مسألة الوحدة العربية، التي هي، بدون شك، عمل صعب وأحد أحلام العقيد القديمة والدائمة. إن القائد قد تقدم منذ عدة أشهر بمشروع للحكومات وللقادة العرب يقضي بتشكيل اتحاد عربي موجه بصورة أساسية للنضال ضد الأعداء الطبيعيين للأمة العربية.

لقد كان عندي بعض الشكوك التي أردت توضيحها و إزالتها عبر الردود التي كان يقولها لي القائد. فابتسم القائد وقال لي: «في الواقع إن ماحققناه حتى الآن هو إيجابي، و إن كان على الصعيد الدبلوماسي لن يقول أحد «لا للوحدة العربية»، و إن كانوا لا يعملون لتحقيقها. لقد تسلمت أمس جواب الشيخ زايد من الإمارات العربية المتحدة يقول لي فيه أنه موافق على المشروع ويطلب مني أن نجتمع لنعالجه معاً، كما وأننا ننتظر ردود الحكام والقادة الآخرين لمعالجة هذا المشروع.

إن نداء الثورة مستمر وهو واجب كل الثوار. فبين الثورة والوحدة لا يوجد أي تناقض، كما أننا لم نقل أبداً بأن الوحدة سوف توقف عملنا الثوري».

نظرياً، كانت الأسئلة قد انتهت، لكن المقابلة لم تنته عند ذلك الحد، وهذا ما كنت أتوقعه، حيث أنني أردت أن أعبر للعقيد القذافي ـ بكلمات تشجيع امكانيات الاتصال بين الجماهيرية والأرجنتين، مع الأخذ بعين الاعتبار أن عدداً كبيراً من المواطنين، نظراً لأنهم يتبعون

لحركة العدالة ويدافعون عن الموقف الثالث، يمكنهم العمل لبناء علاقات صداقة وتضامن جديدة بين البلدين.

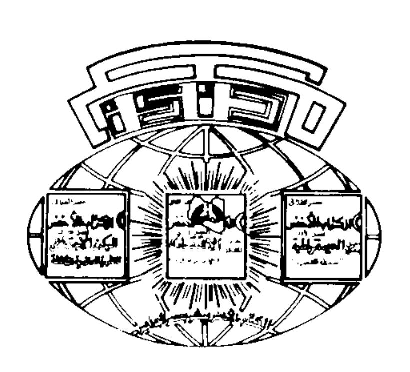
شكرته على حسن استقباله وعلى الوقت الذي سلبته من وقته الثمين مؤكداً له على أنني واحد من الأشخاص الذين يؤمنون بأقواله، علماً بأنني لست ليبياً، وبأن الكثيرين يؤمنون بقيادته الثورية على المستوى العالمي.

وقلت له: «اعرفوا بأنكم لست وحدكم في هذا النضال». فصافحني ورفع يدي بإشارة يتميز بها وقال لي: «شكراً، إنني مسرور بما قلته لي. إن هذا طبعاً يرفع معنوياتنا النضالية ويجعلنا نشعر بأن الأمور تسير على النحو الذي نريده. إن الاستغلال هو عدو يجب أن ندمره لأنه عدو الإنسان، بينما الحرية هي حق للإنسان في أي مكان. فنحن عندما نقول «البيت لساكنه» نرتكز على مبدأ يتعدى الحدود. إن أي أسرة تقيم في مسكن لشخص آخر، ترغب بأن يكون هذا المسكن ملك لها. وعندما نقول بأن العمال يجب أن يكونوا «شركاء لا أجراء» فلأننا نعرف بأن كل عمال العالم يرغبون بذلك. وعندما نقول بأن «المركوب يجب أن يكون ملكاً لمن يركبه»، فلأن رغبة كل سائقي السيارات الذين يعملون لأصحابها النائمين في بيوتهم، هي أن تكون السيارات ملكاً لهم».

وبعد أن شرحت له بأن الكتاب سوف يكون مخصصاً له اعترافاً بالدعم الذي قدمته ليبيا للأرجنتين في حربها ضد الامبريالية البريطانية، قال لي: «عندما تصدر هذا الكتاب سوف تشهد حقاً على اتحادنا في هذه الحرب. إنك أنت من يخدمنا بهذا الكتاب. نحن سنواصل النضال الى جانب الأرجنتين حتى تعود الجزر الى سيادتها».

وبينما كان القائد يوقع على آخر صورة أخذت لنا خلال اجتماعنا في مقر القيادة العامة بباب العزيزية في شهر الكانون (ديسمبر) عام 1982م، أضاف بعض الكلمات التي، إن لم أذكرها في هذا الكتاب، يكون ذلك تواضعاً مزيفاً من قبلي، والتي رفعت معنوياتي وساعدتني على مواصلة النضال وهي: «إننا في الحقيقة نحترمك كثيراً ونتمنى أن يكون هناك أشخاص كثيرون مثلك، ونعتقد أنه عليك أن تحمل الفكر الأخضر (النظام الجماهيري) الى البيرونيين والى الشباب البيروني وعليك أن تقول بأنك أنت نقطة الوصل بيننا وبينهم».

وبعد أن شكرته على هذه الكلمات وودعته، غادرت خيمته وبدأت السير ببطء نحو السيارة. ثم ودعت بعض مرافقي العقيد القذافي الذين أعرفهم من قبل عدت لأنتظر الأستاذ محمد عقيل الذي كان يتحدث مع مرافق للقائد. وبينما كنت بانتظاره رأيت العقيد القذافي الذي كان قد بقي في الخيمة وحيداً.. يصلي.



منشورات
المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
ص.ب 80984 ـ طرابلس
هاتف: 40705 ـ 45565 ـ 45594
تلكس: 20032 GREEN BOOK
المقر الرئيسي: طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
الفروع: بنغازي، بلجيكا، السويد، أمريكا، الهند، غانا، فنزويلا

« إن المفكر الثائر والقائد المعلم معمر القذافي هو رجل فريد من نوعه... إنه، وكأبطال التاريخ العظماء، لم يرض بأن يكون فقط مجرد مراقب للأحداث يستغلها في لحظة ما لمصلحته. لقد عرف كيف يجسد ويترجم الى الواقع إرادته الجبارة وأن يؤثر بشكل بارز على مجرى أحداث جماهيريته العربية الليبية وأحداث وطنه العربي الكبير والعالم.

إن قدرة العقيد القذافي وبراعته في تفادي أخطر المشاكل التي تخلقها له المؤامرات الامبريالية مكنتاه، ليس فقط من تدعيم موقفه ومكانته أمام الجماهير العربية والليبية والحركات الثورية الموجودة في العالم، بل وأيضا من إبراز شخصيته بعزم أشد في مجال السياسة الدولية، وانهم يحاربونه..

* يحاربونه لأنه حذر دون ريب من المساوىء التي يعاني منها العالم المعاصر.
* يحاربونه لأنه قائد صمم على تصدر القيادة ومواجهة القوات الامبريالية.
* يحاربونه لأنه لن يبيع أبداً ضميره أو إيمانه أو إخلاصه لشعبه وللقضية العربية التي تعتبر المسألة الفلسطينية محورها الأساسي.

إنني، اذا تفهم القارىء جوهر هذا الكتاب، أكون قد أتممت قسماً من المهمة التي أخذتها على عاتقي والتي هي إزاحة الستار الخفيّ الذي استخدمته وسائل الاعلام لحجب صورة القذافي الحقيقية، ومساندة النضال العالمي الذي يرتكز على نظرية عالمية ثالثة..

والاقتراح هو أن نعود ونلتقي من جديد لأن الكفاح الثوري مستمر في نقطة الإنطلاق.

أوراسيو كالديرون